

٣٤



الكاتب

لثقافة الإنسانية والتقدم

شاكل

لعدد الرابع والثلاثون

شباط ١٩٨٣

أهداف التوجه اليميني في الأرض المحتلة

لمحات من تاريخ عصبة التحرر الوطني ونضال الشيوعيين الفلسطينيين

حول الكتابات المعادية للاتحاد السوفيتي

بين الكونفدرالية وحق تقرير المصير

التاريخ لفلسطين ما بين ١٨٨٠ - ١٩٦٧

مع مشاكل الخريجين

نقد الفلسفة البرجوازية المعاصرة

الرواية العراقية في كتاب المستقبل

خليل بيدس ومساح الأذهان

الابداع الشعري الجديد : إلى أين..؟

تراثنا بين التشويه والطمس والسرقة

المطلوب : استسلام مقابل عدم التوسع

حذار من مجزرة جديدة

كلمة الكاتب

منذ اسابيع والاخبار تتحدث عن اكتشاف
جثث لفلسطينيين قرب مخيم عين الحلوة ،
ومخيم مية المية ، والرشيديه وبقية المخيمات
الفلسطينية في الجنوب اللبناني ، الذي يبرز
تحت الاحتلال الاسرائيلي ، وبالامس حملت
لجنة كاهان مسؤولية المجزرة التي وقعت
ضد الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا ،
لقوات الكتائب الفاشية ، محملة مسؤولية
ذلك لاهمال شارون وايتان ، وبعض
المسؤولين العسكريين والمدنيين
الاسرائيليين .

واليوم ... وبعد ان تسربت اخبار
عشرات الجثث قرب مخيمات اللاجئين
الفلسطينيين في الجنوب اللبناني ، الذي
يقع تحت سيطرة القوات الاسرائيلية ، يبدو
ان مجزرة جديدة من نوع جديد وبتكتيك
جديد ، ترتكب بصمت ، وتنفذ على مراحل ،
فمن المؤكد ان الضجة التي اعقبت مجزرة
صبرا وشاتيلا ، لا تروق للفاشين الجدد ،
وبالتالي قرروا تغيير تكتيكهم في ارتكاب
المجازر ، وذبح الفلسطينيين ، وقد يكون
المسؤول عن المجازر الجديدة قوات سعد
حداد ، ومنظمة حراس الارز ، او عناصر من
الكتائب ، وقد يكونوا كل هؤلاء ، لكن
المسؤولية الحقيقية ، تقع على قوات
الاحتلال ، التي عليها تقع مسؤولية
المحافظة على المدنيين وارواحهم ، وعلى
الحكومة الاسرائيلية ان تعي ذلك قبل فوات
الاولان ، وقبل ان تتكرر الكارثة ، اما التهرب
من المسؤولية فهذا لا ينطلي على احد ،
ولن ينطلي ، اذ انه لولا تسهيلات قوات
الاحتلال الاسرائيلي للقوى والميليشيات
اليمنية المختلفة لما حدث ما حدث ، ولن

يحدث ما سيحدث ، ونحن نحذر من مجزرة
جديدة قد تكون اكبر واشد من مجزرة صبرا
وشاتيلا ، وان كانت على مراحل ،
والمسؤولية الاولى تقع على عاتق القوات
الاسرائيلية المتواجدة في جنوب لبنان ،
وتمسك بزم الامور هناك . ومن ضمنها
المحافظة على ارواح الجميع ، وليس فقط
المحافظة على الميليشيات اليمنية كما كانت
تدعي وتبرر تدخلها في الجنوب اللبناني
سابقا لحماية "المسيحيين" من الذبح ...
ولتنظر الحكومة الاسرائيلية ، وتمعن النظر ،
فالقاتل هم حلفاء اسرائيل في لبنان على
اختلاف مسمياتهم واسمائهم ، والمقتول
، المدنيون الفلسطينيون في مخيماتهم او
"بقايا مخيماتهم" في عين الحلوة ،
والرشيديه ، ومية المية ، وقبلها ، صبرا
وشاتيلا وبرج البراجنة ، وقبل ذلك تل
الزعترو وغيرها ...

واذا افترضنا ان القوات الاسرائيلية
ليس لها علاقة بما جرى ويجري ، فلا يمكن
ان يعفيها احد او تعفي نفسها من مسؤولية
الصمت على القاتل ، وعدم معاقبته على ما
اقترب من جرائم ، وما يقترب الان .

شباط ١٩٨٣

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

السنة الرابعة

مساهم الاستاذ والمحرر المسؤول
أسعد الأسعد - القدس

المراسلة: رام الله - ص ب ٩٩٥
المواد الواردة لا ترد إذا لم تنشر

المحتويات

العدد الرابع والثلاثون

٣	أسعد الأسعد	x المطلوب استسلام مقابل عدم التوسع
		x تشتت النضال وحرفه
٦	صارم حكمت	x اهداف التوجه اليميني في الارض المحتلة
		x بين الكونفيدرالية وحق تقرير المصير
		x المناطق المحتلة ساحة الصراع الرئيسية
١١	عيسى الكرمي	x في المرحلة التالية
		x مركز الثقل في النضال للشعب الفلسطيني
١٥	زكي خيري	x انتقل الآن الى الارض المحتلة
		x لمحات من تاريخ عصبة التحرر الوطني
١٩		x ونضال الشيوعيين الفلسطينيين
٢٢	بشارة دوماني	x التاريخ لفلسطين ما بين ١٨٨٠ - ١٩٦٧
٣٥	بافيل بينديلي	x الحصار الائتماني اوهام خطرة
		x الحق في الراحة في ظروف النظامين
٤٠		x الاجتماعيين المتعارضين
٤٦	محمد فرج	x الابداع الشعري الجديد الى اين؟
٥٠	حسن عزعزي	x نقد الفلسفة البرجوازية المعاصرة
٥٩	عاطف سعد	x مع مشاكل الخريجين
		x حول الكتابات المعادية للاتحاد
٦٣	محمد سعيد	x السوفييتي في بعض الصحف المحلية
٦٥	مصطفى عبود	x الرواية العراقية في كتاب المستقبل
٧٧	د. احمد ابو مطر	x خليل بيدس ومسارح الازدهان وفن القصة
٨٧	جميل السلحوت	x تراثنا بين التشويه والطمس والسرقة
		x حسن مصطفى من رواد الحركة الفولكلورية الفلسطينية
٩١	عطا الله قطوش	x ترتيب المواد بخصم لضرورات فنية

٩٥	جميل السلحوت	لقاء مع فوزى البكرى	x
٩٩	ي. بورغن	مع الكتب : قرع ناقوس الخطر	x
١٠٥	هاشم غرايبة	هرطقة في زمن الاحتلال	x
١٠٨	انصار صامد فرج	من الاعماق	x
١١٠	فريد خورى	محطات خفيفة	x
١١٣	فاتنة الزغير	رأى في مسرحية المتهم	x
١١٤	فضل الربماوى	قصة قصيرة : زيتونة الولي مرشد	x
١١٦	محمد موسى مناصرة	قصة قصيرة : الوفاء	x
١٢٢	فايز منصور	قصة قصيرة : الساعة تدق	x
١٢٤	سليمان السلمان	يا جبل الحلم ... اتيناك / شعر	x
١٢٥	محمد خالد رمضان	بركات لطيف يحمل قطاره ويمشي	x
١٢٦		اصدااء ثقافية	x



المطلوب استسلام مقابل عدم التوسع

استعد الأسعد

في وقت يكاد يكون من ادق وأخطر الاوقات التي مرت وتمر بها القضية الفلسطينية ، تبرز بشكل اكثر الحاحا ، الحاجة الى تقييم المرحلة ، واستخلاص النتائج والعبر ، حتى يمار الى رسم معالم المستقبل بناء عليه ، فهناك مجموعة من العوامل والظواهر ، تدفعنا الى التاكيد على ان ما يجري الان ، هو استكمال لما بدى به في السابق ، مستهدفا اجزاء القضية الفلسطينية ، وتسليم زمامها الى غير المعنيين بها . ويبدو ان ذلك قد ينطلي على البعض ، بوعي او بغير وعي ، سياتي ذلك ، ولعل الجميع بات يدرك ان المطلوب الان ليس غير الاستسلام والاستسلام فقط وبدون مقابل ، غير تعهدات بعدم احتلال اراض غير المحتلة الان ، او بمعنى اصح ، عدم انطلاق القوات الاسرائيلية شرقي نهر الاردن ، وهو ما لوح به حكام اسرائيل في اكثر من مناسبة ، والغريب في الامر ، ان البعض يحاول تقليد النعامة ، فيسمع ويرى ، ولا يريد ان يفهم غير ما يناسب تطلعاته الذاتية ، وبصلحته الشخصية الضيقة .

وجوده وظله على اية مفاوضات قد تجري في المستقبل ، لتفادي عدم تكرار ما حدث في سيناء ، اذ لم يبق شيء للتفاوض عليه

، او هذا على الاقل ، ما تسعى حكومة اسرائيل لجعله حقيقة واقعة ، هذه هي الخطوط العريضة لواقع الحال في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وبالتالي فان المطلوب لا يدور حول تسليم الضفة والقطاع ، الى الاردن او الى منظمة التحرير ، ولا حتى الى جهة محلية ثالثة ، حتى ولا لروابط القرى ، وبالتالي فان الحديث عن اتحاد فيدرالي او كونفيدرالي بين الضفة والاردن ، لا يعدو كونه لعبة جديدة يتسلل بها العرب والمفلولون من الفلسطينيين ، على شاكلة مشروع ريفان

الحكومة الاسرائيلية ، مزقت الوحدة الجغرافية والديموقراطية للضفة الغربية المحتلة ، واستولت على ستين بالمئة من مجموع مساحة الضفة الغربية ، واقامت ولا تزال تقسم المستوطنات والمدن ، وتشق الشوارع العريضة مستندة الى "حاجة هذه المستوطنات ، وحاجة اسرائيل الامنية" ، من خلال تحويل الطرق الحالية الى طرق فرعية ، والتركيز على ربط المستوطنات بشبكة من الطرق والخدمات الاخرى ، كخطوة على طريق تحويلها الى مراكز اساسية في الضفة الغربية يتم اعتماد المواطنين العرب عليها والغاء دور المدن والتجمعات السكانية العربية ، هذا من جهة ، من جهة اخرى فان الحكومة الاسرائيلية تسعى الى خلق امر واقع يفرض

التحرير ، انطلاقاً من رهانهم على ان المجلس سيخرج بقرارات تتوافق مع تمنياتهم، ترى ما هو موقفهم الان ؟ ، ولنفرض حسن النية في تصريحاتهم ، ولنتعامل معهم بسداجة ، فهل ما زال موقفهم على حالة ولم تغيره قرارات مؤتمر الجزائر ؟ ، وهل المنظمة لا تزال ممثلهم الشرعي والوحيد كما كانوا يطرحون قبل أيام فقط ؟

كذلك نحن نسأل ، ما هو موقف المراهنين على مثل هؤلاء الناس في الارض المحتلة ، وماذا يقولون اليوم ؟ ليتهم يجيبون على تساؤلاتنا المشروعة .

اذن ، كل الاطراف الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية سواء على الصعيد الرسمي أو الشعبي ، تتآمر لتحقيق ما يطمحون الى تحقيقه في هذه المرحلة وكما قلنا ولا نزال نقول ، بأنه في ظل موازين القوى التي نعيشها لا يمكن ان يتحقق سوى الاستسلام ، الاستسلام مقابل لا شيء ، هذا هو منطق الامور في ظل البدء بمسلسل التنازلات .

وبالتالي يظل الخيار الوحيد الذي لا مناص منه ، ولا خيار غيره امام حركة التحرير العربية والفلسطينية ، والجماهير العربية العريضة ، ألا وهو تعزيز العلاقة مع معسكر الاصدقاء وفي مقدمتهم الاتحاد السوفيتي الصديق الصدوق ، ومع بقية أطراف حركة التحرير العالمية ، بهدف تغيير هذه الموازين لصالح حركة التحرير العربية ، ولصالح القضية العربية والفلسطينية ، ولصد الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية ، والصمود في وجه المخططات الرامية الى اجهاض طموحات الجماهير العربية الفلسطينية وهذا لا يتأتى الا بتقييم العمل ، والخروج باستنتاجات بصار الى

نفسه ، الذي هو مشروع ليس للتنفيذ ، رغم مساوئه وخطورته ، ولسنا بحاجة للتذكير ببقية المشاريع التي تصب في مجملها في بالوعة كامب ديفيد بشكل او بآخر ، وعليه ، فان على الجميع سواء من نصب نفسه قيما على قضية الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة وراح يتحرك تحرك الدمية في ايدي اصحابها ، او حتى اولئك البعض داخل قيادة منظمة التحرير امثال عصام سرطاوي ان يدركوا جيدا ابعاد واخطار اللعبة التي يحاول حكام اسرائيل والامبريالية الاميركية والرجعية العربية ، تمريرها ، من خلال سعيهم الى اخذ موافقة الفلسطينيين والقيادة الفلسطينية على التحدث باسمهم ، بايهامهم ان

المحافظة على الارض ، واستعادتها مرهون بالموافقة على مشروع الاتحاد الكونفيدرالي ، ومن كان ينتظر الحل من امريكا ، فعليه ان لا ينس الحمار الذي مات وهو ينتظر . . . ، اما الحديث عن اكثرية واغلبيه على رأي رشاد الشوا ، فنحن نذكره بان اغلبيته

هذه ، لم تقدم للشعب الفلسطيني سوى النكبة الاولى عام ١٩٤٨ والخسة بالمئة "الاقلية حسب رايه" ، اتهمت بالخيانة حينما قدمت ودعت الى الموافقة على اضعاف اضعاف مايطالب به هو واغلبيته ، وعلى اية حال ، نتمنى على رشاد الشوا ان يتأكد من انه بالمئة هذه ، فهي اكثر بكثير مما يعتقد ، ومهما يكن فنحن على يقين بانه في نهاية المطاف لن يصح الا الصحيح ، وليتنا ندرك الصحيح من الان وقبل فوات الاوان .

اننا نود ان نذكر اولئك الذين حاولوا اللعب على أكثر من حبل ، اولئك الذين أكدوا مرارا وبالأمر القريب ، وحتى قبيل بدء جلسات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر ، بأنهم مع الموقف الفلسطيني الرسمي والشرعي ، وأكدوا مرارا انهم مع قرار منظمة

تطبيقها بشكل جاد وعملي، بعيدا عن الذاتية والتهرب من المواجهة مهما كانت اليمّة وقاسية .
ان ابسط الامور التي يجب ان نعيها جيدا في هذه المرحلة، هي ان أولى اولويات النضال يجب ان تنصب باتجاه الصمود أمام الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني هذه الايام، لان المقصود من كل المشاريع المطروحة، يستهدف اعادة سيناريو الاحداث التاريخية السابقة، بمعنى آخر المطلوب في الوقت الحاضر اجهاز منظمة التحرير الفلسطينية، وسحب البساط من تحتها ودفعها الى التخلي عن شرعيتها في تمثيل الشعب الفلسطيني . وبالتالي تحويل القضية الى قضية حدود بين الاردن واسرائيل، ومن المؤكد ان ذلك لا يعني احدا في العالم، بينما سيطل العالم قلقا على قضية شعب يسيى ويضال من أجل اقامة دولة له، شعب يسيى الى وطن ، والفارق بين الامرين كبير جدا .

قد يعتقد بعض من وصلوا الى رئاسة البلدية او عضوية مجلس ما، في ظرف سياسي ما، ومن خلال شعار وطني معين ومحدد، قد يعتقد هو لا: انهم ملكوا شرعية الحديث باسم الشعب الفلسطيني ، ونسوا او تناسوا ان هذا انما اختارهم ضمن طرح سياسي ووطني معين في تلك الفترة، فان حادوا عن ذلك تسقط شرعيتهم تلقائيا، هذا ان كانوا يوءنون بهذا المنطق وهم ليسوا كذلك بالتأكيد لانهم سلكوا سلوك الانظمة العربية غير الشرعية، والتي وصلت الى السلطة ولا تزال تحتفظ بها من خلال القوة والاضطهاد لشعوبها، وتعاونها مع الامبريالية الامريكية الى حد التذليل لها . وبالتالي لا داعي لهؤلاء ان يبرروا سقوطهم فنحن ندرك ماهيتهم والى أى حد يمكن ان نسير معهم .

أحد رؤساء البلديات صرح بعد عودته ،
بان رئيس الوزراء الاردني قال له، بان شارون يهدد باحتلال غور الاردن وحتى مشارف مدينة السلط وأضاف بان الاردن لا يملك القدرة على التصدي لمثل هذا وبالتالي يجب التوجه الى الولايات المتحدة، من أجل العمل على منع شارون من القيام بهذه الخطوة، الى هنا وينتهي حديث الرئيس، بمعنى آخر ، المطلوب الان منع احتلال اسرائيل لاجزاء من الاردن، أى أن الحكومة الاردنية تعرف ان الحكومة الاسرائيلية ليست معنية باعادة شبر واحد، بل تسعى الى احتلال المزيد من الارض، اذن المطلوب الاستسلام مقابل عدم قيام اسرائيل باحتلال مشارف السلط، وليس مقابل اعادة اريحا الى الاردن ، والسؤال الاخر، نحن نعرف ان الاتحاد الكونفدرالي أو الفدرالي أو أى شكل آخر من الاتحاد ، لا يتم بين دولة ومنظمة، وانما بين دولتين على قدم المساواة، اذن الاولى والاهم ان نناضل من أجل اقامة الدولة الفلسطينية ولن نختلف كثيرا في أمر الاتحاد، فليس بيننا من يكره الاتحاد ، فالقضية الاساسية اذن هي قضية الشعب الفلسطيني الذي يناضل من أجل وطن له . من أجل اقامة دولة مستقلة، من أجل حقه الشرعي هذا، ومن يقبل بأن يلغى هذا الحق، يقف في صف المتكبرين لهذا الشعب وحقه في الحياة الحرة الكريمة، ومن يرفض التنازل عن هذا الحق، فليصمد في وجه الريح العاتية التي تهب عليه من كل الجهات ساعية الى اقتلاعه من جذوره، والغاء وجوده وهويته، ولكن في مستوى الاحداث ، ونبتعد عن التسميات المضللّة، لانها لن توصلنا الا الى المزيد من التخبط في الوحل، وفي مستنقع المخططات اللعينة

تشتيت النضال وحرفه أهداف التوجه اليميني في الأرض المحتلة

بقلم : صامح حكمت

تعتبر مسألة الوحدة الوطنية الفلسطينية من المسائل الهامة التي يدور الحديث حولها ، سواء في المجلس الوطني الفلسطيني او في مختلف ساحات العمل الفلسطيني . ولقد بات واضحا أنه بمقدار محافظة منظمة التحرير الفلسطينية على وحدتها ، وبمقدار النجاح في تشكيل الحلف الوطني المعادي للامبريالية والصهيونية بقدرها يقيد النجاح للنضال الجارى ضد الامبريالية ومساعي الرجعية العربية .

وعلى الرغم من استمرار محاولات الرجعية ، لشق وحدة الموقف الفلسطيني ومنظمة التحرير ، فان شعارات الرجعية الديموغوجيه حول "القرارات الجريئة" و "المبادرات الصاعقة" و "احراج اسرائيل" واخيرا التصريحات التي قدمها رشاد الشوا في تعريفه للديموقراطية التي يطالب بسيادتها في منظمة التحرير على شاكلة عدم اكترات "بالخمسة في المئة" من الشعب الفلسطيني الذين يعارضون مبادرة ريفان ومشاريع الوحدة الفدرالية ، وحيث يمكن اتخاذ قرار جرى لا يكون فيه حاجة "للاجماع الوطني" مستشهدا ببين الذي يحكم بأغلبية صوتين . ان كل هذه التصريحات والتوجيهات تهدف الى تفسخ الصف الوطني الفلسطيني وتعريض منظمة التحرير الفلسطينية للضغط من جانب اليمين العربي لشقها .





القرار الفلسطيني حيث من غير الصحيح القول ان الرجعية العربية لا تسعى لدفع المنظمة الى تنازلات سياسية والى انتهاج طريقة هذه الرجعيات المفضل في ركاب الحلول الامريكية. ومثلما ان هذا الاستنتاج ضروري فان الاستنتاج المشائم في انسداد الطريق امام النضال الفلسطيني اثر معارك لبنان، واتضح مدى التأثير الامريكي والتوجه اليه كمساهم اساسي في تحقيق "الحقوق العربية"، لن يقود سوى الى الاستسلام ودفع الجماهير الى الثقة بامريكا بعد تئيسها من انتصار قضيتها .

ان ما اثبتته الاحداث الاخيرة يشير الى تصعيد الدور الامريكي في المنطقة وسعيها الى فرض هيمنة كاملة وعلى مدى زمني بعيد عمل مقررات الشعوب العربية وتصفية حركتها التحررية وتحويل المنطقة الى قاعدة عسكرية لمواجهة الاتحاد السوفيتي .

كما اثبتت الحرب الاخيرة في لبنان وانعكاساتها في اسرائيل ايضا على تنامي الاتجاه الفاشي والسعي الاسرائيلي المحموم لفرض السيطرة على المنطقة العربية من موقع السيد " فضلا عن تصفيتا الكاملة لحركة الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة .

ان كل هذا يؤكّد ان المعركة لم تنته ضد الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية، بل ما زالت مستمرة وبوتائر متفاوتة وفي ساحة المناطق المحتلة فان معالم هذه المعركة اليومية لم تبدأ فقط اثر الغزو الاسرائيلي للبنان ، بل كانت التهديدات بغزو لبنان وضرب منظمة التحرير الفلسطينية احد التوجهات التي قدمها عدد كبير من لوزراء الاسرائيليين اثناء الانتفاضة الشعبية الباسلة

في آذار ونيسان من العام الماضي .
ولهذا فان السياسة الاسرائيلية ضد

واذا كانت التحركات المدروسة لانظمة اليمن العربي نتيجة للاستفادة من الخلل الناشئ في توازن القوى العربي ، فان الرجعية الفلسطينية المحلية تسعى كذلك لتحقيق كل الفوائد الممكنة اثر تعقد وضع النضال الفلسطيني بعد لبنان .

وامام هذه المخاطر في الداخل والخارج فان قضية الوحدة الوطنية تصبح ككل هذه المحاولات ، خاصة وان ما يلزمها صياغة برنامج حد أدنى للتحالفات يراعي مصلحة مختلف الطبقات والفئات والسراخ ذات المصالح الوطنية في زوال الاحتلال وانشاء الدولة الفلسطينية المستقلة

ان هذا التوجه كقيل بوقف محاولات الضغوط الدائمة من الرجعية على منظمة التحرير الفلسطينية ويسهم في تعزيز استقلالية

العمال، وتسليح روابط القرى، وتقديم تشريعات قانونية جديدة. فضلا عن تنامي معدلات الهجرة بين الشباب الفلسطيني، وضغط الحياة الاقتصادية على السكان والارهاب اليومي تدفع ابناء شعبنا الى صراع يومي ومرير. واضح الاهداف. ويحتاج الى طاقة كفاحية هائلة، وذات مهمات معقدة لمواجهة مخططات السلطة. ان شحذ ادوات الكفاح الوطني، عبر الوحدة الوطنية هي حجر الاساس في مواجهة الحلقة التالية من الهجوم الاسرائيلي في ساحة المناطق المحتلة. وعليها يعتمد الى حد كبير مواجهة هذه المخاطر .

ملاحم الاصطاف الجديد للقوى

ان انعكاس محاولات الرجعية العربية، في المنطقة العربية، لا تسير بمعزل عما يخطط الان ايضا لامتداد الحركة الفلسطينية في الضفة والقطاع .

لقد تقدم رونالد ريغان بمشروعه، من اجل انتزاع اقرار فلسطيني بالاستسلام وفرضه على م.ت.ف. وكذلك انقاذ للرجعيات من عملية الحساب العسيرة على مواقفهم المشينه اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان. وكان هذا المشروع غير المتضمن لاية اشارة للدولة الفلسطينية المستقلة او ذكر منظمة التحرير الفلسطينية، قد وجد تسابقا سريعا من الرجعيات العربية، لتأييده والاستعداد للعمل بموجبه مما يعني الاستعداد الدائم للرجعية، تشحذ السكين ضد م.ت.ف. وضد اهداف النضال الفلسطيني .

وبدأت خطوات الساسة العرب الرسميين على قاعدة المشروع الامريكي لاعادة التأكيد على امتلاك امريكا لاوراق الحل، اضافة الى حجيجهم الدائم للبيت الابيض، واستعدادهم لتشكيل

المناطق المحتلة لم تتوقف لا ابان الحرب في لبنان، ولا اثناء خطاب ريغان الذي اعلن فيه مشروعة للسلام " ولا بعد ان اكد بعض المسؤولين الامريكيين عن وجود وعود قدمت للملك حسين .

ان ما هو قائم فعلا، تصعيد في سياسة الاستيطان ومصادرات الاراضي والنيّة لتوطين نصف مليون مستوطن حتى عام ٨٦ حسب مخطط الاستيطان الاسرائيلي، فضلا عن استكمال تطويق مدينة القدس بالمستوطنات ومحاصرة المدن السكنية كالخليل، ونابلس الان، وكذلك شق طريق جديدة تصل المستوطنات الاسرائيلية ببعضها وتهدف الى تقطيع اوصال الضفة الغربية، وتمزيق وحدتها الجغرافية .

يأتي برنامج الاستيطان هذا واجواء الفاشية تتصاعد اكثر في اسرائيل ذاتها، والذي يعني المصادقة الاسرائيلية على برنامج الليكود وتوجهاته السياسية المعلنة والتي لا تعد لا الشوا ولا غيره باكثر من حكم ذاتي شكلي للفلسطينيين حسب التفسير الاسرائيلي، الذي دأبوا على تشكيل اجهزته من خلال الادارة المدنية وروابط القرى العميلة .

ان شعار "انقاذ ما يمكن انقاذه" الذي يتغنى به فريج والشوا ومن لف لقهم بغرض تبرير الاستسلام والارتقاء في احضان الحل الامريكي لا يتوافق حتى مع السياسة الاسرائيلية وتوجهاتها المنطلقة من عدم الانسحاب من أي شبر او ازالة اية مستوطنة بل التوجه نحو الضم الفعلي للضفة والقطاع، ويدور النقاش في الحكومة الاسرائيلية على تسليم ادارة شؤون الضفة والقطاع للجنرال شارون الذي اقبل من وزارة الحرب الاسرائيلية للمجازر الوحشية في صبرا وشاتيلا، وربما لنقل المجازر مجددا الى مخيمات الدهيشة والعروب والامعري والجلزون. ان ملاحم السياسة الاسرائيلية في الارض المحتلة، ضد البلديات والجامعات وثقافات



من خلال اموال الدعم، أى النشاط الطبيعى للبرودولار والذي اعطى مفعولا ناجحا في العديد من البلدان العربية حتى في تخريب اقسام البرجوازية الوطنية في السلطة، فلماذا لا تستخدمه الرجعية في الارض المحتلة ايضا. ان هذا الاصطاف الجديد للقوى، والذي

يلتقي على الولاة للدور الامريكي ومشروع ريغان يسعى لجر كل اقسام البرجوازية، والبرجوازية الصغيرة الفلسطينية الى صفوفه، وقد يتسع او يضيق بمدى التوجه السياسي الحاسم والواضح في الموقف الفلسطيني . وان من غير الصحيح التقليل من شأن هذا الاتجاه لان ازدياد نفوذه ودوره ستبعده حتى عن تمسكه الشكلي بوحداية التمثيل الفلسطيني وهذا الحلم التقليدى للنظام الاردني في ان يعود ممثلا للشعب الفلسطيني ما زال يداعبه. وتشارك السلطة الاسرائيلية ايضا في تقديم التسهيلات اللازمة من اجل توسيع قاعدة الاستقطاب لهذا الاتجاه، والذي يرفع شعار معاداة الشيوعية كمقدمة لنشاطاته ايضا. ومثلما تسهل السلطة عمله فهو ايضا يسهل عملها مثلما جرى في اقالة نائب رئيس بلدية بيت لحم المناضل النقابي البارز جورج حزون على يد رئيس البلدية وبتعليمات من الادارة المدنية .

وما التركيز الاعلامي الاسرائيلي والنشاط في الرحلات الى الاردن ومصر لرجال اليمين الفلسطيني واستعدادهم لتسلم البلديات بدلا من الرؤساء المقالين ودعوتهم لانتخابات بلدية جديدة كما صرح أحدهم الا وجهان لقائدة متبادلة اردنية اسرائيلية، فمقابل هذا انقطعت اخبار "روابط القرى" عن شاشة التلفزيون الاردني ويقوم اعضاؤها بزيارات دائمة للاردن ويحصل بعضهم على اموال لدعم المشاريع "القروية" . ان اجراءات اسرائيل هذه لاتعني موافقتها

امريكية، في المنطقة ، في اتجاه واضح للملمة الموقف العربي الرجعي تمهيدا لهجوم لاحق ضد من تبقى من القوى المعادية للامبريالية الامريكية، ولهذا تزيد اسرائيل من تحشداتها العسكرية ضد سوريا، ويزداد الدعم العربي للعراق، وتوضع الخطط في مجلس التعاون الخليجي ضد اليمن الديمقراطية، وتتجه انظار الولايات المتحدة الى ليبيا ايضا . وانسجاما مع ذلك نشطت اوساط اليمين الفلسطيني في الداخل والخارج ، من اجل عدم التعرض للمبادرة الامريكية ولعرقلة رفض المجلس المركزى لمشروع ريغان وهي تطلق الامال الان على عدم ادانة الدور الامريكي ومشروع ريغان في قرارات المجلس الوطني الفلسطيني .

وتشهد المناطق المحتلة الان نشاطا مكثفا من اجل تأسيس محور متجانس على قاعدة القبول بالحل الامريكي تتكون اطرافه من الفئات التقليدية التي ارتبطت بالنظام الاردني قبل عام ٦٧، ومن بعض الفئات الجديدة التي انتفعت من اموال الصمود والدعم . فقامت بتحسين مشاريعها الاقتصادية وبدأت تتقاضى اجورا عن خدمات تقدمها لصالح الاردن . وهذا ما يفسر ذلك الانفاق المالي الضخم الذي صرف لشراء ذمم العمال في نقابة الفنادق في القدس، والنشاط الدؤوب لاصحاب الفنادق والذين هددوا بطرد العمال والخصم من اجورهم اذا فازت كتلة "الشيوعيين" وانسحاب باقي المرشحين الاخرين على اختلاف انتماءاتهم السياسية و"الوجاهية" لصالح الكتلة التي "ستسقط الشيوعيين" .

ان النظام الاردني استعاض عن تفكك سلطته والقاعدة المؤيدة له بعد عام ٦٧ بتأثير سلطته الارهابية من ناحية وسلطة مختارته من مالكي الارض والتجار الكبار على الفلاحين من ناحية ثانية بسلطة جديدة له

هذا الواقع على قاعدة العداء للحل الأمريكي ومشروع ريفان ومن أجل إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة .

صحيح ان المناخ السائد حتى الان يتميز بالاندفاع نحو تغليب الذاتي على الوطني العام لدى البعض ، ولكن بعض المظاهر الجديدة لا تتجلى فقط في تسعير الصراع ضد الشيوعيين وانما ايضا اغفال مصدر الخطر الاساسي والاتجاه نحو تفرغ المنظمات الجماهيرية والمؤسسات من طابعها الكفاحي والرغبة الجامحة في الهيمنة عليها ، ومحصلة هذا لن تسهم في حشد طاقات الجماهير الفلسطينية ورفع كفاءتها لمجابهة الاخطار المحدقة

ان المصلحة في مواجهة التوجه اليميني ليست مسؤولية الشيوعيين وحدهم وان يكونوا لن يكفوا عن النضال ضده ، بل هي مسؤولية مشتركة لكافة القوى المؤهلة طبقياً وفكرياً لمجابهة الاصطفاف الجديد في القوى ، وان يكون اساساً لهذه القوى لا لانشاء تحالفات لا يجمعها توافق وانسجام منطقي في تحديداتها لليمين كمنع للخطر الاساسي في هذه الظروف الامر الذي يدفع الى ممارسة سياسة مختلفة عن الطرح السياسي وتعود الى الوقوع في لامبائية وتشتت في النظر للتحالفات السياسية .

ولذلك فان ما يحدث ليس تراجعاً لموقف "الماركسيين السوفييت" كما يحلو للبعض القول بل محاولة للعودة الى سيف العداء للشيوعية القديم ، والذي يعني بداية للتراجعات في العادة عن التحالف ايضا مع الاتحاد السوفياتي وحركات الثورة العالمية ، وهذا ما يريده اليمين الفلسطيني وما لا تريده بالتأكيد أية قوة وطنية فلسطينية اكتسبت مصداقيتها عبر برنامجها الوطني ونضالها من أجل إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة لا للانسياق خلف مبادرات الامبريالية الامريكية

على ما يطرحه هؤلاء حتى ضمن مبادرة ريفان فهي ماضية في سياستها دون اكرتات ولكنها لا تجد نفسها متناقضة مع اصحاب الولاى لامريكا من ناحية كما انها ترى من الناحية الثانية محورهم الجديد تقليصاً للقاعدة الاجتماعية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتمهيداً كذلك لعزل الطاقة الموحدة في شعار الدولة المستقلة واستمرار النضال لاجلها .

هل ستتسع قاعدة هذا التحالف لتشمل امتدادات اوسع لفئات البرجوازية الفلسطينية في الداخل والخارج ، وهل نحن ازاء محور قد يتسع لكل القوى المعادية للشيوعية ام ان بالامكان تطويق هذا الاصطفاف ومجابهته ليس فقط لانه اتجاه الاعتماد على امريكا والانحدار نحو الاستسلام ، وانما ايضا لانه يحرفنا عن النضال الاساسي ضد الاحتلال والذي لا ينتظر مبادرات هؤلاء بل هو سادر في غيّه نحو تدمير الوجود الفلسطيني وضيق الخناق والقطاع . ان الاتجاه الفكري لهذا الطرح والذي تفوح منه روائح العداء للشيوعية ، قد ينجح في جرّ قوى وفئات وطنية الى مستنقع متأثرة بموجة العداء والخوف من الشيوعيين الا ان امكانيات مجابهة هذا الخطر قائمة ، قائمة في الرصيد الكفاحي الضخم للحركة الوطنية الفلسطينية والذي اثبتت من خلاله مقدرتها على مجابهة اليمين واطروحاته الاستلامية وقائمة كذلك في التناقض الموضوعي بين مصالح كبار البرجوازيين المرتبطين بالانظمة الرجعية والشرائح الطبقية للبرجوازية الفلسطينية وبين الفئات الجديدة من المستفيدين من أموال البترودولار من جهة وبين مصالح الطبقة العاملة وجماهير الكادحين والفلاحين الذين يتملقهم هؤلاء بحجج انقاذ اراضيهم من جهة أخرى .

الا ان هذا لا يلغي الدور الذاتي للقوى الأكثر جذرية في النضال من أجل مجابهة



بين الكونفدرالية وحق تقرير المصير

المناطق المحتلة ساحة الصراع الرئيسية في المرحلة التالية

وحدة نضالية بين الشعبين الاردني والفلسطيني

عيسى الكرمي

إن القضية المطروحة الآن هي الصراع على جماهير المناطق المحتلة ويبدو ان هذا ما دفع مجلة نيوزويك الاميركية للادعاء في احد اعدادها الاخيرة بان الملك حسين يتعرض لضغوط من فلسطينيين داخل الضفة الغربية للدخول في عملية السلام . ويعكس هذا الادعاء محاولات بعض الاوساط داخل الادارة الاميركية تجاوز منظمة التحرير الفلسطينية التي رفضت مبدأ تفويض الملك حسين للتحديث باسمها وبأسم الفلسطينيين في أي مفاوضات حول القضية الفلسطينية ، كما يعكس رغبتها في نسف قرارات مؤتمر فاس مقابل ما يشاع عن صيغة معدلة سيقوم الملك حسين بطرحها على الادارة الاميركية كفاتحة لبدء المفاوضات مع الولايات المتحدة .

ومن هنا فإن الاحاديث عن معسكرين داخل منظمة التحرير هدفها الاساسي تسيخ الصف الوطني في المناطق المحتلة واعطاء مصداقية لمن يسمون انفسهم بمعسكر المعتدلين في الضفة الغربية وذلك للادعاء فيما بعد بأن الشعب الفلسطيني لا يريد الدولة الفلسطينية . وتظهر التطورات الاخيرة بان محاولات « الاستيلاء » على المناطق المحتلة لا تجري بمعزل عن اجراءات

تكتسب القرارات الجماعية الصادرة عن القيادة الفلسطينية في هذه الظروف بالذات اهمية متزايدة لا سيما وان الهجوم السياسي والضغوط التي تتعرض لها منظمة التحرير الفلسطينية تستهدف شق وحدة المنظمة وتقسيمها الى متطرفين ومعتدلين حيناً وإلى موالين لهذا الطرف العربي او ذاك حيناً آخر .

وقد جاء بيان عدن بعد قرارات المجلس المركزي الفلسطيني ليؤكد ان الضغوط الاميرالية والرجعية العربية على منظمة التحرير قد اصطدمت بوحدة الموقف الفلسطيني وليؤكد ان سعي بعض الاوساط لاسقاط المنظمة سياسياً بحجة افتقارها للوحدة الجغرافية التي استندت اليها قبل الخروج من بيروت قد اصطدم بدوره بالادراك المتزايد للوزن السياسي المتصاعد للفلسطينيين في المناطق المحتلة . وهذا ما عبر عنه تصريح عدن وقرارات المجلس حول اعتبار هذه المناطق ساحة الصراع الرئيسية .

٢٢/٢١ وكإشارة للرئيس الاميركي بان الجانب العربي قد باشر بتنفيذ مشروعه وان عليه ان يقنع بيجن بتنفيذ ما يترتب عليه في ذلك المشروع .

لكن الذين لم تفقدهم الاوهام رؤوسهم يقرأون ويسمعون ان اميركا تعلن ببساطة ان جهودها منصبية على إشراك الاردن في المفاوضات في إطار اتفاقيات كامب ديفيد الى جانب مصر واسرائيل . وانها من اجل تسهيل عملية الاشتراك هذه طرحت مشروع ريجان الذي قال عنه مساعد وزير الخارجية الاميركية انه ليس مشروعا بل مواقف تطرح على مائدة المفاوضات .

واذا كانت منظمة التحرير قد وافقت على مبدأ قيام علاقات متميزة مع الاردن ومن ضمن ذلك علاقات الوحدة الكونفدرالية فإنها قد اشترطت ان يتم ذلك بعد قيام الدولة الفلسطينية المستقلة . ومعنى هذا ان اية مفاوضات ومن خلال اي وفد ، يجب ان تخدم هدف اقامة الدولة المستقلة بعد الانسحاب الكامل . وانه لا يجوز الفصل بين حق استعادة الارض المحتلة وحق تقرير المصير .

وقد حسم ياسر عرفات اثناء زيارته لعمان موضوع الوحدة حينما دعا الى وحدة نضالية بين المنظمة والاردن وهو امر يختلف جذريا عما يروج له دعاة الوحدة من مؤيدي مشروع ريجان . ان الوحدة النضالية ليست ترجمة عربية لما دعا له ريجان من ربط ما يمكن ان يستعاد من اسرائيل بالاردن وانما هي ترجمة لتطلعات الشعبين الفلسطيني والاردني القومية وتعبير عن حاجة الشعبين للدفاع عن حقوقهما وسيادتهما في وجه التهديدات ووفاء للالتزامات القومية المترتبة عليهما لاتجاز هذه المهمة بنجاح . ومهما حاول البعض التخفيف من معنى الوحدة النضالية فإنه لا يستطيع اقناع احد بأنها تعني تفويض النظام الاردني بالاتصال بالبيت الابيض او بالنضال من اجل تنفيذ مشروع ريجان .

ان الوحدة النضالية تعني النضال ضد مشاريع الاستسلام ، ضد كامب ديفيد ومشروع ريجان ضد محاولات الامبريالية الاميركية فرض هيمنتها على المنطقة وتصفية قضية الشعب الفلسطيني لصالحها ولصالح اسرائيل وهي تعني الى جانب ذلك وقيل ذلك ، وحدة طاقات الشعبين وامكانياتهما الكفاحية واستخدامهما المشترك لصالح استرداد حقوق الشعب الفلسطيني وحماية

الأنظمة العربية



- اسعد دولة عربية شرده شعيبا وأول ست حروف منها فلسطين .. بقى ايه ؟
- افغانستان ؟
- صح !!

عن الاخالي

السلطات الاسرائيلية وعن بعض الناصح التي قدمت لانتهاز الظروف الحالية لاجراء انتخابات الحكم الذاتي في الضفة والقطاع على اعتبار ان ما يسمونه « هزيمة منظمة التحرير العسكرية في بيروت » قد افقدتها تأثيرها السابق على هذه المناطق .

من كامب ديفيد الى الكونفدرالية .. الهدف واحد

وليس هناك ما يوحي بان الادارة الاميركية قد توقفت عن متابعة نهجها الذي سبق الغزو الاسرائيلي للبنان او ان فيليب حبيب الذي زار المنطقة مؤخرا قد اتخذ لنفسه دورا غير ذلك الذي بدأ به مهمته تحت ذريعة وقف اطلاق النار بين منظمة التحرير واسرائيل .

ومشروع ريجان الذي يتلهم به الان اعلام اليمين العربي ومركزته ليس صحوة ضمير لدى صاحبه ولا تحولا عن الهدف الذي من اجله تم الغزو الاسرائيلي ومحاوله تصفية الحركتين الوطنيتين الفلسطينية واللبنانية في لبنان . إنه في واقع الامر متابعة لنفس الهدف ومحاوله يانسة للتوصل من المسؤولية عما جرى في البلد العربي الشقيق بدعم واشنطن الكامل لاسرائيل . ومن اجل ذلك كان وضع العربية امام الحصان اي طرح شعار الوحدة قبل استرداد حق تقرير المصير وتقدم الملك حسين بمشروع الوحدة الكونفدرالية لا كمشروع للتطبيق وإنما كمدخل للتحدث باسم الفلسطينيين ايضا عند مقابله لريجان المقررة في

غير ان هذا المعنى لا تحمله التصريحات الاردنية المتكررة التي تضع استعادة الارض في تعارض مع قيام دولة مستقلة والتي تؤيد مشروع ريجان الذي يعارض قيام هذه الدولة . كما أنه لا ينعكس في إشعار « انقاذ ما يمكن إنقاذه » من الارض الذي اصبح نشيد معنوي يمكن إنقاذه في الاراضي المحتلة . وبالنسبة لهذه السلطة الاردنية في التقدير بان تمثيل النظام الاردني الاوساط فقد كان التقدير بان تمثيل النظام الاردني للشعب الفلسطيني باسم « الوحدة » وتحت يافطتها بضفي نوعا من الشرعية على هذا التمثيل لا يتوفر له من خلال المزاخمة او الدخول الكيفي كيديل لمنظمة التحرير الى ساحة المفاوضات السياسية . غير ان هذا التوجه لم يحقق اغراضه حتى الان ولم يستطع دعاته في الارض المحتلة تنفيذ ما كلّفوا به وهو المشاركة في الضغط على منظمة التحرير للاستجابة للشروط الاميركية والمجلس المركزي الفلسطيني وبيان عدن رفضا من ناحية اخرى مشروع ريجان وبالتالي كل ما يترتب على هذا المشروع من خطوات تمهيدية .

لا سبيل للجمع بين مشروع ريجان وقرارات فاس

ان الوحدة الكونفدرالية شكل من اشكال العلاقة بين دولتين مستقلتين . وبما ان الموقف الاميركي - الاسرائيلي يعارض قيام دولة فلسطينية في الضفة والقطاع فهل هناك اي احتمال في ان تتحدى السلطة الاردنية ذلك الموقف وتحصل في نفس الوقت على الارض وهي التي قبلت سلفا بموافقتها على مشروع ريجان التخلي عن مطلب الدولة المستقلة وبالتالي عن الوحدة الكونفدرالية ؟

ان الجواب موجود في النهج نفسه ، نهج الاعتماد على الامبريالية الاميركية والاستعداد للتلاقي مع هذا النهج بتقديم المزيد والمزيد من التنازلات وهو موجود ايضا في الموضوعة التي ترددها اجهزة الاعلام الاردنية صباح مساء موضوعة « المهم الارض » .

لنا نكرر انه ليس هناك مجال للمساومة على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة ولا يجب بحال من الاحوال ان يخلط بين العلاقات المتميزة بين الشعبين الاردني والفلسطيني وبين تلك الحق . ولا ان يكون اي منهما متعارضا مع الاخر او على حسابه .

ان العلاقات المتميزة بين الشعبين الشقيقين لا يمكن ان تزدهر الا بعد قيام دولتين ديموقراطيتين اردنية وفلسطينية اما محاولة الالتفاف على حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة باسم العلاقات المتميزة فهي لا تخدم تطور هذه العلاقات وتخلي الطريق الى علاقات القمع والتسلط والمشاعر الاقليمية التي مارسها النظام الاردني ضد الشعبين منذ وقت طويل . واذا كان ريجان يصر في مشروعه على ربط الاراضي التي ستستحب منها اسرائيل بالاردن فانه يهدف الى تكريس ذلك النوع من العلاقات المتميزة التي كانت سائدة قبل عام ٦٧ وما زالت مطبقة في الضفة الشرقية حتى اليوم . ان المدخل والطريق للديمقراطية هما اولا وقبل كل شيء احترام حق الشعب في تقرير مصيره والتنكر لهذا الحق يعني الاعتماد على سياسة القمع في تنظيم العلاقة المتميزة .

واذا كان البيان الصحفي المشترك بين منظمة التحرير والحكومة الاردنية قد اشار الى الالتزام بقرارات قمة فاس اي الى الالتزام بقيام دولة فلسطينية مستقلة في حدود عام ٦٧ فإن اي تحرك سياسي يجب ان لا يخرج عن ذلك الالتزام . اما اولئك الذين يروجون لامكانية التوفيق بين مشروع ريجان وقرارات فاس المتعلقة بالقضية الفلسطينية فهم انما يطالبون بعبارات ملتوية وبصورة غير مباشرة منظمة التحرير بالتخلي عن مطلب الدولة المستقلة . ان شطب هذا المطلب هو المدخل الوحيد للتوافق مع مشروع ريجان ومشروع الوحدة المسبقة مع الاردن هو السبيل لذلك .

ومن غير شك لن يكون هذا هو الشرط الوحيد للتوافق مع المشروع الاميركي . فالمطلوب تحديدا هو الاشتراك في مفاوضات الادارة الذاتية وبعدها يصبح النشاط موجها للتوفيق بين مشروعي بيجن وريجان . اي ان جر العرب الى مشروع ريجان ليس الاطعما للانخراط بعد ذلك في التفاوض حول مفهوم بيجن للحكم الذاتي في اطار اتفاقيات كامب ديفيد .

هذا الامر معروف تماما وليس الملك حسين بحاجة لزيارة واشنطن حتى يعرفه ولكن السؤال المطروح هو ماذا بعد الرحلة ؟ إذا صحت أقوال المسؤولين الاردنيين عن الالتزام بقرارات قمة فاس فانهم لن يجدوا ما يوافقون عليه في واشنطن وعندئذ لا يبقى من صدق الالتزام بتلك القرارات الا الاقلاع عن الاعتماد على



الامبريالية الاميركية وان يتجهوا بالديمقراطية الى الجماهير العربية والى اتباع سياسة حازمة ضد الامبريالية ومصلحتها في المنطقة والى التضامن الكفاحي العربي والتحالف مع الاتحاد السوفياتي وكل انصار قضية العرب العادلة .

ولكن ما بعد به حكام الاردن في البيان الصحفي المشترك هو « التحرك السياسي المشترك » اي مواصلة النهج السياسي القائم ، نهج محاولات التوفيق بين مشروع ريجان وقرارات قمة فاس ، نهج التنازلات امام مطالب ريجان .

واذا كانت الاوهام بحل اميركي ستبتد في وقت قصير فان الرجعية العربية ، بمساعدة اميركا ايضا ، ومن خلال توسع وتوزع نفوذها الاعلامي والمالي ، ستعمل على خلق اوهام جديدة . والغاية هي المزيد من الاخلال

بتوازن القوى في غير صالح العرب ومن اجل تمهيد طريق الاستسلام وكذلك صرف الانتظار عن مسؤولية الرجعية العربية عن ذلك الاخلال في ميزان القوى بوضعه القدرات العربية في خدمة الامبريالية وليس في خدمة النضال لاسترداد الحقوق العربية .

واستنادا لذلك فان واجب كل الوطنيين العرب المبادرة للنضال ضد محاولات فرض الاستسلام على الشعوب العربية بمساعدة وموافقة الحكام الرجعيين وتشديد الكفاح من اجل الديمقراطية وحشد الطاقات العربية لبناء القوة الذاتية القادرة على استرداد حق الشعب الفلسطيني والشعوب العربية بدعم ومساندة اصدقائهم الاقوياء والكثيرين وفي المقدمة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية والقوى الثورية والمحبة للسلام في هذا العالم .

بنيتي

بنيتي لا نخافي الهجير
وخوضي معركة التحرير
كوني نارا كالسكير

في وجه المتآمر الحقيير
فبدونك الركب لا يسير
فانت قدوة للصغير
وساعدا يرتكز عليه الكبير
وكلنا على الدرب نسير

بنيتي

ارادوك لعبة في الخدور
وتحفر لتزين القصور
نسوا انك انت الجذور
فانت من تلد المهور
وانت من تربي الصقور
وانت الملهمة في كل العصور

وسلطاننا النجم

الى الصديقة (بنت الاحزان)

اسمحي لنا اولا ان نشكرك على ثقتك
بالكاتب ، ونأمل ان تكون دائما في مستوى
ثقة قرائنا الشرفاء بنا . لقد طالعنا باهتمام
ما وردنا من انتاجك ولقد وجدنا فيه من
الافكار ما هو جيد ونبيل ، من حث على العمل
وتحرر المرأة ومن اجل سلام العالم ورفض
الحروب . اننا اذ نحبي هذا التوجه الواعي
والتقدمي لنقول ان اداتك الفنية بحاجة
للمصل وهذا امر ممكن جدا باستمرار الكتابة
والمطالعة . الا اننا نرجو ان تتقبلي نقدنا
لا نوافقك ان تكوني بنت الاحزان فانت ابنة
شعب مناضل بطل مع تحياتنا . وننشر هذا
المقطع من "قصيدتك" "بنيتي".

مركز الثقل في النضال للشعب الفلسطيني انتقل الآن الى الارض المحتلة

حديث مع عضو المكتب السياسي

للحزب الشيوعي العراقي



زكي خيري

التقى مندوب « اليسار العربي » بالمناضل الكبير زكي خيري عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي الذي اجاب على العديد من الاسئلة التي تشغل الرأي العام وحركة التحرر العربي ، في هذه المرحلة الصعبة وعلى أثر العدوان الاسرائيلي على لبنان ، بما ترتب عليه من اختلال جسيم في توازن القوى .

"الكاتب" انطلاقاً من حرصها على أهمية اطلاع قرائها على الموضوعات الهامة والجادة التي يطرحها اهم المفكرين العرب...

○ - من الملاحظ أن الدوائر الاعلامية الامبريالية والرجعية نشطت في هذه المرحلة لتحميل مسؤولية ما حدث للاتحاد السوفيتي !

- بعد كل نكسة نرحل الخسائر على عاتق الاتحاد السوفيتي وبعد كل نكسة يبدو وكأن على الاتحاد السوفياتي ان يتدخل بالسلح لصالح العرب . حصل هذا في ١٩٦٧ و ١٩٧٣ بعد الدفرسوار ، والآن في لبنان . بعض الاعتبارات ، شجعت البعض على الاعتقاد بان ما حدث في افغانستان هو نقطة تحول . لكن هذا البعض نسي ان افغانستان هي جيب في حدود الاتحاد السوفياتي وحيوية لأمنه ، وأن حكومة ثورية شرعية طلبت من الاتحاد السوفياتي ان يقدم مساعدته الاممية . توقع هذا البعض

دفعهم هذا بالتالي الى الهجوم على الاتحاد السوفياتي واتهامه بالتقصير . علما انه كان بإمكان العرب ، لو اتحدوا ، ضد العدوان بالاستناد على الاتحاد السوفياتي . ان الدفاع عن التحالف مع الاتحاد السوفياتي هو اول واجباتنا المشتركة . بدوننا لا نستطيع ان نحرق اي شبر من الاراضي العربية . ان واحدا من الاهداف الكبرى للهجوم الاسرائيلي ، دون التقليل من الاهداف الاخرى هو اخراج الاتحاد السوفياتي من المنطقة ، اي فصل العرب عن حليفهم الاقوى . والتشكيك في ذلك يخدم الامبريالية والصهيونية والحسن الثاني الذي عمل في قمة فاس وبعدها على زعزعة الثقة بالاتحاد السوفياتي .

○ - ما رأيكم في علاقة مخطط كامب ديفيد بالعدوان الصهيوني على لبنان ؟
- لقد ظهر خطأ بعض التقديرات ، فيما يتعلق باتفاقيات كامب ديفيد ، مثلا ، بالارتباط مع قمة بغداد . اذ استنتجت ان الاتفاقيات انهارت بعد قمة بغداد . هذا الكلام سمعناه من البعض بينما كامب ديفيد ما يزال نمرا مفترسا ، وتبنت المؤامرات لبلد عربي بعد آخر . مثل اليمن الديمقراطية . ويهدد حتى الاردن . فالمشروع الصهيوني - مشروع شارون - وهو مظهر لكامب ديفيد . يريد احتلال الاردن .

ماذا حصل في قمة بغداد ؟ اصبح الموقف من اية شخصية او دولة يعتمد على موقفها العلن من كامب ديفيد . وقد زكى هذا موقف السعودية ، واعتبرت انها « مناضلة ضد الصهيونية وضد كامب ديفيد » . لم تكن السعودية صادقة في موقفها . وهذا برز في الازمة اللبنانية وتجلت الآن حقيقة موقفها في قمة بغداد . اما الشخصية التي بادرت لعقد قمة بغداد - صدام حسين - فهو الذي وضع واعلن « الميثاق القومي » في ٨ فبراير ١٩٨٠ ، وتجاهل فيه القضية الفلسطينية ، وشاركت في مؤتمره القومي ، قوى واحزاب ثورية ، انتقدت الذين تغيبوا عن الاجتماع .

○ - هل يمكن ان نعزو الهزيمة الى التفوق العسكري الامبريالي - الصهيوني ، أم أنها ترجع الى تخاذل من جانب قوى عربية عديدة كان في إمكانها ردع العدوان ؟
- نحن متفقون مع الرأي القائل بان الهزيمة لا تكمن في تفوق الامبريالية بل بسبب الوضع في المنطقة . لو كانت القوى العربية ، القوى والدول الوطنية ، مستعدة لما وقعت الكارثة . ولا كان بإمكان الصهيونية تحقيق

انتصارها ، لو توفرت ارداة القتال وكنا صادقين في التصدي لها . الاستعمار الاميركي لم يشترك بالمعارك مباشرة ، باستثناء استخدام التكنولوجيا ، الفنية ، غير المرئية ، كالحرب الالكترونية ، لذلك لم يكن هناك مبرر لدعوة القوات السوفياتية .

الجيش العربي ، المحيطة باسرائيل والقريبة منها وبضمنها الجيش العراقي ، كان بإمكانها صد الهجمة بشكل غياب الجيش العراقي اكبر خلل . لقد انتهك في حرب ضد جيش آخر ، كان يمكن تعبئته ضد العدوان ، او على الاقل لم يكن ليشكل خنجرا في ظهر العراق .

ومن اكبر الجرائم خيانة النظام العراقي ، انه يمتلك جيشا يقدر الآن بثلاثة ارباع المليون - ١٩٨١ . وخلال هذه السنة تشكلت خمس فرق اخرى . لو ان اسرائيل تعرف ان هذا الجيش متحفظ للدفاع عن لبنان ، لاخذت ذلك في الحساب . لكن صدام حسين اعطى الضوء الاخضر لاسرائيل بشن العدوان ضد ايران . وفيما يتعلق بالموقف من الدول الرجعية العربية ، نحن لا ندعو الى اخراجها من المعركة ، اذ اتنا نأخذ بالحسبان الشعب في السعودية وغيرها من النظم الرجعية على سبيل المثال عبد الناصر كان يحرك الجماهير ويجر السعودية من انفها ويضطرها الى التضامن مع الحركة التقدمية الوطنية العربية لكن الذي جرى في قمة بغداد كان شيئا آخر . كان تزكية للسعودية ، ونتج عنه اعطاء المبادرة للسعودية . وهكذا لم تزج السعودية ضد اسرائيل ، وانما اصبحت جسرا لامرار كامب ديفيد .

○ - وكيف تبرر موقف التخاذل والعقم المخزي للبرجوازيات الوطنية ؟

- اذا تكلمنا عن البرجوازية الوطنية وبضمنها البرجوازية الصغيرة ، فقد كانت تقود النضال ضد الامبريالية والصهيونية . البرجوازية كانت خارج السلطة . ولم يكن لديها ما تفقده غير اغلالها اذا جاز

التعبير . كانت تخاف من اسرائيل كدولة منافسة على السوق العربية (وظهر الآن هذا في لبنان) البرجوازية الوطنية الآن في السلطة واغتنت ، وحصل بعضها على البترو دولار . البرجوازية الوطنية لم يعد بإمكانها المجازفة بالنضال الحازم ضد الامبريالية . نحن ما نزال ننصرف برودود افعال ، ولا نملك زمام المبادرة بالمستوى المطلوب والدعوات . زمام المبادرة بحكم

قلنا في تقييماتنا السابقة ، في حرب حزيران ١٩٦٧ .
 - ان الهجمة فشلت ، على اساس بقاء الانظمة المعادية
 للامبريالية ، لكن آثار ذلك ظهرت بعد فترة ، بعد وفاة
 ناصر . فلولاً ذلك لما جاء السادات ليخرج مصر عن
 الحركة التقدمية الوطنية العربية . كذلك فإن آثار النكسة
 الراهنة ستظهر بعد ذلك . يجب ان نتجنب تغطية الهزائم
 والخسائر . يجب ان نعطي رأي متوازناً .

○ - ما هو الموقف الحقيقي للبعث العراقي من القضية
 الفلسطينية ؟

- عندما نتكلم عن موقف بعث العراق من الدولة
 الفلسطينية ، يتضح لنا ومنذ البدء ، منذ ان عاد البعث
 الى السلطة في ١٩٦٨ ، انه ضد قيام الدولة
 الفلسطينية ، ويقول « يكفيننا (٢٢) دولة عربية » .
 ويعتبرون قيام الدولة ضد الوحدة العربية . علق
 يقول ان « الاستعمار مع قيام دولة فلسطينية » ، ولا
 يخفون موقفهم ، من انهم مع ضم الضفة والقطاع
 للاردن .

○ - ما هي رؤيتكم للعلاقة الحدية بين الخاص والعام
 على المستوى النضالي العربي ؟ وفيما يتعلق بالعراق تبرز
 طبيعة النظام الراهن والحرب العراقية الايرانية وتأثيراته
 السلبية على مجمل النضال العربي ؟
 - بالنسبة للمشارك والوطني ، فالقضية الفلسطينية
 في مقدمة قضايانا المشتركة . ولدينا قضايانا الخاصة .
 وليس هناك شيء مشترك ما لم يكن له اصوله في القطر
 المعين .

ان حرب العراق ضد ايران ، ليست قضية عراقية لا
 تخص القضية المشتركة .
 والبلاد العربية تواجه قضايها مشتركة ، وحركة
 التحرر الوطني العربية لها اهداف مشتركة ، منها هي
 تحرير الشعب العربي الفلسطيني ، كما ان اهدافها
 الاقتصادية الاجتماعية هي اهداف مشتركة . لكن هناك
 تنوعاً في ظروف الشعوب العربية . على سبيل المثال
 الشعب العربي الفلسطيني ليس له دولة ، ولذلك لا يمكن
 ان تكون له نفس استراتيجية وتكتيك الحزب الشيوعي
 العراقي . فالعراق الآن هو اقرب البلدان العربية الى

البوليسية وانما سياسياً أيضاً . وانتزاع المبادرة منها
 يحتاج الى نضال وتضحيات . البرجوازية الوطنية
 ضعفت في موقفها ، وكانت عاجزة . واحزابنا كانت في
 انتظار مبادرة البرجوازية . بينما في ايام نوري السعيد ،
 في العهد الملكي ، كنا نحن نقوم بالمبادرات ونجر
 البرجوازية الوطنية . هذه المبادرات انتهائها صدام حسين
 بالارهاب . ان الطريق الى انتزاع القيادة ، هو بأخذ
 المبادرة ، وهذا يحتاج الى نضال مفعم بالتضحيات .
 ولكنه الافق الوحيد لمستقبل احزابنا .

ان البرجوازية تخاف من تحريك الجماهير ، تخاف
 من تحريك الجماهير ضد اسرائيل حتى لا تقوم الاخيرة
 بتدمير ممتلكاتها . وتخاف من مطالبة الجماهير
 بدورها .

○ وكيف نتصدى لمهامنا في هذه المرحلة العسيرة ؟
 - يجب ان نوضح برنامجنا .

وافلت الحركة الشيوعية عام ١٩٤٨ على قرار
 التقسيم الصادر في ١٩٤٧ . وقد اداننا القوميون وقتها
 باننا « اخوان اليهود » . اصبح التقسيم الان حلماً .
 ودعنا الآن اقامة دولة في اقل من ارض ١٩٤٧ ، وهذا
 بحاجة الى نضال وهو صعب التحقيق . الصهاينة الآن
 يحدثون عن حديقة مشتركة بين الاردن واسرائيل .
 مشروع دايان . اي الضفة الغربية ملحقة للاردن
 ومفتوحة لاسرائيل . يجب ان يكون لنا برنامج واضح ،
 لثون مزايادات . نحن لا نقف ضد مبدأ دولة ديمقراطية
 علمانية . لكن ليس هذا هو الشعار الواقعي في الوقت
 الراهن . هذه مسألة للمستقبل . وينبغي ان تكون لنا
 استراتيجية واضحة ، والكفاح المسلح بالنسبة لنا هو
 شكل من اشكال الكفاح الاساسية . لا يمكن ان نرمي
 بالنقل على شكل واحد . يجب ان نسلك كل الطرق . ان
 تحرير فلسطين لا يمكن ان يتم بالمفاوضات ما لم يكن
 عند العرب قوة عسكرية قادرة على فرضه ، من حيث
 الرجال والعتاد والقيادة .

ان المركز النضالي للشعب الفلسطيني كان في
 السابق في لبنان ، انتقل مركز الثقل الآن الى فلسطين ،
 في الارض المحتلة .

والنضال هنا ، يصبح الآن العامل المقرر ، وكل القوى
 الاخرى تصبح مساندة . هذا لا يتنافى مع دور منظمة
 التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد .
 يجب تركيز المساعدات على حركة المقاومة الشعبية
 الفلسطينية . بما فيها الحزب الشيوعي الفلسطيني .

النظام الذي سيقام بالعراق سيجيء بارادة الشعب العراقي

الاهداف الاستراتيجية الكبرى كاقامة النظام الديمقراطي الشعبي . لذلك ينبغي ان تكون لكل حزب استراتيجيته الخاصة ، وهذا ما هو قائم . وينبغي علينا ان نساعد على تحقيق استراتيجيته . وعند بحث الوضع في العراق نجد اننا الآن في السنة الثالثة في حرب أعلنها صدام ونظامه ضد ايران . ان اغلبية الرجال القادرين على حمل السلاح جنودا وزجوا في جبهة القتال ، وجند ما يسمى بالجيش الشعبي ، وهو مليشيا بعثية معدة للحرب الاهلية ، ان البعث مستعد لاغراق البلاد في الحرب الاهلية ، وهكذا نرى العراق بسبب هذه الحرب على الأقل ، في وضع خاص . وكذلك فان في وضعه خاص بسبب دكتاتوريته المتميزة في اربابها وعدائها للشعب . ان الحرب القائمة « كلية » في طبيعتها ، شاملة ، اي ان النظام زج بكل قوى الامة في الحرب . وأمل النظام بانتهاء الحرب يتقلص . ان البعض يتهم الحزب الشيوعي العراقي بعدم ميالاته بغزو العراق من قبل ايران . ليس هذا هو رأينا . نحن نقيم الوضع موضوعيا في العراق وايران .

○ - وما آخر تطورات هذه الحرب ؟

- جرى تغير وانعطاف كبير في مجرى الحرب بعد تحرير (خورمشهر) ، ذلك ان ساحة القتال انتقلت من ايران الى العراق ، ونتج عنه :

- فتور وهبوط في حماس الجندي الايراني .
- اغلب اهداف ايران تحققت ، والتعويضات وما يجب ان يدفعه العراق يمكن الاتفاق عليها .

بقي هدف كبير ومشروع ، وهو اسقاط نظام صدام . ان ايران لا تأمن بقاءه ، وهي ترى فيه تهديدا لسلامتها ، وهذا صحيح بسبب اطماعه شوقينية التوسعية في المنطقة البترولية ، عربستان (خوزستان) .

ان النظام الذي سيقام في العراق سيجيء بارادة الشعب العراقي وعبر تضالته . وعبرنا عن ذلك في اجتماع اللجنة المركزية الاخير في سبتمبر الماضي .

○ - يشاع أن صدام حسين وجه دعوة للحوار مع المعارضة العراقية بما في ذلك الحزب الشيوعي العراقي .. وما حقيقة هذه الشائعة ، وما موقفكم منها ؟

- يدعي النظام العراقي بأنه مستعد لفتح صفحة جديدة من العلاقات مع احزاب المعارضة ويحاول الحوار معها بشروط معروفة بعضها تقسيمها وخرب التحالف فيما بينها ، وهي الاعتراف بالموقع المتميز للبعث وبقيادته للسلطة السياسية ومؤسساتها الدستورية ومنعها من العمل في القوات المسلحة ومعنى هذا أنه حرم علينا مقدما الوصول الى السلطة سواء عن طريق القوة العسكرية او البرلمان لانها تستهدف اقامة سلطة الائتلاف الوطني الديمقراطي والحال ان الحركة الوطنية تريد اسقاط النظام في هذا الوقت بالذات .

ان الحرب تحولت الى حرب استنزاف ، لم يستطع الايرانيون ان يتقدموا الى أكثر من ١٥ كيلومتر . وينهك الجانبان .

في اجتماع اللجنة المركزية في سبتمبر الماضي ، قلنا اننا نريد انتهاء الحرب ، على اساس سلم عادل . ولكن مثل هذا الصلح العادل الديمقراطي مستحيل بوجود نظام صدام حسين . ركز الاجتماع على انتهاء الحرب وفي الوقت نفسه نرى ان ذلك يرتبط باسقاط صدام .

نحن ندعو الجنود العراقيين الى التآخي مع الجنود الايرانيين الى وقف القتال بالامر الواقع . ان موقف الجنود واضح ، لا يريدون القتال ، ومؤشر على ذلك الـ ٥٠ الف اسير عراقي ، بينما لم يبلغ الاسرى الايرانيين لدى العراق الا بضعة الاف . نحن نواصل فضع النظام وعجزه ، ولا نرض باجتياح العراق .

نحن طلاب ثورة شعبية ، مستنودة بثورة جنود ، والشعب يريد انتهاء الحرب . في بدايتها اغرق صدام السوق بالبضائع ، وتغير الوضع الآن . الشعب يمانى من ضائقة اقتصادية ومالية وصعوبات معيشية . وهاتان لهما مفعولهما .

ان النضال ضد صدام ليس قضيتنا الخاصة ، بل قضيتنا المشتركة .

قضيتنا لم تعد قضية اطلاق سراح سجناء سياسيين ، لقد اصبحت هذه القضية في المحل الثاني ، الشعب العراقي كله في محنة .

شعبنا يتطلع الى تضامن اقوى من جانب الشعوب العربية الاخرى ، والدفاع عن سياسة حزبنا والاحزاب المتحالفة معه .



لمحات من تاريخ عصبة التحرر الوطني ونضال الشيوعيين الفلسطينيين

تعرضت مواقف الشيوعيين الفلسطينيين تجاه القضية الفلسطينية قبل وبعد عام ١٩٤٨ لشتى أشكال الهجوم والتحريض من قبل عدة قوى واتجاهات سياسية قومية وبرجوازية . وان كانت التجربة العملية قد دحضت ذلك ، وبينت صحة وواقعية مواقفهم بدليل أن نفس القوى التي هاجمتهم قد بنت مواقف اتخذوها قبل ثلاثين سنة ، فان الإشارة الى ذلك في هذه الايام قد تساهم في رسم معالم طريق النضال الوطني الفلسطيني وصونه من كافة الانحرافات اليسارية واليمينية على حد سواء .

لقد تبنت عصبة التحرر الوطني في فلسطين برنامجها الديمقراطي لحل القضية الفلسطينية في عام ١٩٤٤ ، وأبرز ما تضمنه هذا البرنامج :-

- (١) إلغاء الانتداب البريطاني عن فلسطين ، وجلاء الجيوش البريطانية عنها .
- (٢) إيقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين .
- (٣) استقلال فلسطين واقامة دولة ديمقراطية ثنائية القومية فيها .

وبمقدار ما لاقى هذا البرنامج المعارضة والمقاومة الشديتين من قبل حكومة الانتداب والحركة الصهيونية ، لاقى معارضة من قبل قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ، شبه الاقطاعية - البرجوازية الكبيرة ، والتي كانت تطالب بدولة فلسطينية عربية ، وبأعادة جميع اليهود الذين هاجروا الى فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى الى البلدان التي قدموا منها .

وفي نضالهم من أجل تنفيذ هذا البرنامج تعرض الشيوعيون لاشرس حملات القمع والارهاب من قبل سلطات الانتداب ، وللتحريض من قبل قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ، وكان لهم دور بارز في تبني الجماهير الفلسطينية ضد كافة المؤامرات لاحتواء القضية الفلسطينية من خلال نشراتهم بياناتهم والاجتماعات الشعبية التي نظموها في معظم المدن والقرى الفلسطينية ، وقاوموا سياسة الحركة الصهيونية المتمثلة في احتلال الارض والعمل ، ورفضوا تقرير لجنة التحقيق الانجلو أمريكية - حملة ضغط شعبي مع الامبريالية البريطانية من قبل قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ، ونظموا فلسطينية بالمرغم من اشتراك قيادة الحركة الوطنية فيه تحت ضغط الرجعية العربية .

لقد دعت العصبة في تلك الفترة الى ترسيخ الوحدة الوطنية على أسس ديمقراطية ونظمت حملة

شعبية من أجل انتخاب ديمقراطي لقيادة الحركة الوطنية في اطار الهيئة العربية العليا .

أن تعقد الظروف خلال وبعد الحرب العالمية الثانية ، وتطورها العاصف لغير صالح الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية حال دون تحقيق البرنامج الديمقراطي للعصبة ، وأبرز هذه الظروف (أ) وجود الانتداب البريطاني ومعارضته لاستقلال فلسطين أو أي حل ديمقراطي وتسعيه العدا

بين الشعبين العربي واليهودي .

(ب) زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين خلال وبعد الحرب العالمية الثانية حتى وصل عدد المهاجرين الى حوالي ٦٠٠ الف مهاجر .

(ج) وقوع معظم الجماهير اليهودية تحت التأثير السياسي والايدولوجي للحركة الصهيونية .

(د) خروج الولايات المتحدة الاميركية أقوى دولة امبريالية بعد الحرب العالمية الثانية وتوجه الحركة الصهيونية اليها لدعمها في تنفيذ مخططاتها .

(هـ) ضعف القوى التقدمية في قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية وتركيبتها النصف اقطاعية - البرجوازية الكبيرة ومواقفها غير الواقعية ، وعلاقاتها المشينة مع النازية خلال الحرب العالمية الثانية الامر الذي شوه القضية الفلسطينية امام الرأي العام العالمي ، كما استطاعت الحركة الصهيونية استغلال جرائم النازية ضد اليهود في الحرب العالمية الثانية لكسب تعاطف وتأييد شعوب العالم .

لقد وافقت العصبة على طرح القضية الفلسطينية على هيئة الامم المتحدة انطلاقا من ضرورة اخراجها من الاطار الامبريالي ونتيجة لتعاطف دور الاتحاد السوفياتي على الساحة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية .

وفيما بعد وافقت عصبة التحرر الوطني في فلسطين على قرار التقسيم الذي أقرته الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة في ٢٩ تشرين ثاني عام ١٩٤٧ ليس انطلاقا من كونه الحل الامثل للقضية الفلسطينية وانما لانه كان الحل الوحيد الذي يمكن ان يضع حدا لمأساة الشعب الفلسطيني ويحافظ على هويته الوطنية وتراثه ويضمن قيام دولته الوطنية المستقلة . ومن جراء هذا الموقف تعرض الشيوعيون والاتحاد السوفياتي للهجوم والتحريض من قبل القيادة الرسمية للحركة الوطنية الفلسطينية والدول العربية ، وكانهم الموءولون عن تشريد الشعب الفلسطيني .

صحيح أن قرار التقسيم كان مجحفا بحق الشعب الفلسطيني من حيث مساحة الدوله وتوزيع السكان ، الا أن مصلحة الشعب الفلسطيني في الظروف التي طرح فيها كانت تقتضي الموافقة عليها .

لقد تظاهرت الحركة الصهيونية والامبريالية الاميركية بالموافقة عليه بعد ما ضمنت رفض قيادة الحركة الوطنية والرجعية العربية له ، وكان ممثلو الدول العربية في المحافل الدولية يهاجمون الشيوعية والاتحاد السوفياتي أكثر من مهاجمتهم للحركة الصهيونية ، وسدوا كافة السبل أمام التنسيق مع الاتحاد السوفياتي للخروج بقرار أفضل منه .

ومن الناحية العلمية جسدت الوكالة اليهودية - وبدعم من الانتداب البريطاني - الدولة اليهودية قبل الاعلان عنها ، فكان لديها كل مقومات الدولة من موءسسات اقتصادية ، وجهاز أمن وجيش ١٠٠٠ الخ .

أن حقيقة احتلال الحركة الصهيونية لمساحات من الاراضي الفلسطينية أكثر مما هو مقرر بموجب قرار التقسيم تكشف زيف الموافقة الصهيونية والاميركية على هذا القرار ومخططاتهم لاحتلال كامل فلسطين ، والذي حال دونه دور الاتحاد السوفياتي والتناقضات بين الدول الامبريالية . وهكذا فان الموءامرة تجسدت ليس في الموافقة على

وأثبتته التجربة العملية .

وبعد عام ١٩٤٨ ناضل الشيوعيون الفلسطينيون ضد ضم الجزء المتبقي من فلسطين للنظام الاردني ، في الوقت الذي استسلمت كافة القوى البرجوازية للواقع الجديد وتكيفت معه ، من خلال ما يمتنها للملك عبد الله في مؤتمرات أريحا عام ١٩٥٠ لضم الضفة الغربية للاردن ، وخاض الشيوعيون نضالا بالاضد هذا الاحاق ونظموا عدة مظاهرات في مدن الضفة الغربية ، وكان أبرزها مظاهرة نابلس ، حيث تم اعتقال العديد من الشيوعيين وجرهم بعد ربطهم بالخيول حيث أستشهد المناضل الشيوعي روي زيد الكيلاني .

لقد جسد الشيوعيون الفلسطينيون آنذاك وبالرغم من قتلهم العددية الضمير الحي والوجه المشرق لنضال الشعب الفلسطيني من أجل حقه في تقرير مصيره .

لقد كان القاسم المشترك لكافة مواقف الشيوعيين الفلسطينيين في مختلف مراحل النضال الوطني الفلسطيني التمسك بهدف اقامة الدولة الوطنية المستقلة . ان التمسك بهذا الهدف عدى عن كونه يكتسب طوح واماني الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل تجسيد هويته الوطنية ، فانه يضع القضية الفلسطينية في اطارها الصحيح كقضية شعب يناضل من أجل حقه في تقرير مصيره أسوة ببقية الشعوب لا كقضية نزاع حدود بين الدول العربية واسرائيل .

وليس من قبيل الصدفة ان يكون القاسم المشترك لكافة مشاريع القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية لحل القضية الفلسطينية هو التناكر لحق تقرير المصير باقامة الدولة الوطنية المستقلة . وليس من قبيل الصدفة ايضا ان الدعم والتضامن مع نضال الشعب الفلسطيني قد أخذ طابع الشمولية والاساع المتعاطف على الساحة العربية والدولية بعد تبني منظمة التحرير الفلسطينية لهذا الهدف الاساسي .

وما يدعو للغرابة ان الشيوعيين ونتيجة لتبنيهم لهذا الهدف وتمسكهم به قد تعرضوا للهجوم بصفة الاستسلام والخيانة تارة وبصفة التطرف وعدم الواقعية تارة اخرى من قبل نفس القوى . ومنذ البداية ادرك الشيوعيون الفلسطينيون ارتباط نضال الشعب الفلسطيني بنضالات الشعوب العربية من اجل التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ونضال قوى الحركة الثورية العالمية ضد الامبريالية ، وعلى هذا الاساس اكدوا باستمرار بان انسجام النضال الوطني الفلسطيني مع نضالات بقية فصائل حركة التحرر الوطني العربية ونضالات الحركة الثورية العالمية ، يعتبر الضمانة الاكيدة لانشاره .

لقد تركت الحياة العملية صحة المواقف السياسية للشيوعيين تجاه القضية الفلسطينية في مختلف مراحل تطورها ، في الوقت الذي تراجعت فيه معظم القوى والمنظمات القومية والبرجوازية الصغيرة عن برامجها ، واخذت تتجه لتبني مواقف الشيوعيين .

ان هذا لا يمنع فقط من حيث انهم يمثلون الطليعة السياسية للطبقة الاكثر ثورية والمتعاطف وانتمهم في النضال الوطني ويسترشدون بتعاليم الماركسية - اللينينية فحسب ، ولما ايضا لان ولقد بينت تجارب الحركة الثورية العالمية بالجماهير وحركتها .

السياسية في النضال الوطني التحرري بقدر ما يقترب هذا النضال من تحقيق اهدافه ، وبقدر ما تتوفر الضمانات الاكيدة لمواصلته من اجل التقدم الاجتماعي وبناء الاشتراكية . وفي هذا المجال فان النضال الوطني الفلسطيني لا يشكل استثناء لهذه القاعدة ، بل ان تعاربه تؤكدها وتدعمها .



التاريخ لفلسطين

مابين

١٨٨٠ - ١٩٦٧

بقلم

بشارة دومانلي

المحاضر في جامعة
بيرزيت

عن الانجليزية : خليل توما

لاعمال تاريخية عربية وانجليزية من الادب
التاريخي حول فلسطين كتبت ما بين ١٨٨٠ -
١٩٦٧ ان الهدف هو الوصول الى تخطيط
عريض لتطور هذا الادب عبر الزمن مع
التشديد على الظروف التي كتبت فيه
وخصوصه، تاريخ فلسطين

ما هي بالضبط طبيعة الادب التاريخي
المتوفر لدينا حول فلسطين؟ وما هي جذوره؟؟
ان الخطوة الاولى والتي لا غنى عنها في
معالجة مثل هذا السؤال تتمثل في تمحيص
تاريخ هذه الكتابات التاريخية حول هذا
البلد. ان ورقة البحث هذه هي تحليل



(٣) من الناحية الاصطلاحية (التكنيكية) فان فلسطين لم تعد قائمة حيث أنها تحطمت بفعل اقامة دولة اسرائيل وتشتيت الشعب الفلسطيني في المنافي سنة ١٩٤٨ ومرة اخرى سنة ١٩٦٧ .

كيف تؤثر العوامل المذكورة في التأريخ لفلسطين هذا ما سيتضح في الصفحات التالية عند ما نتكلم عن اطار العمل المنهجي وتعريف الاصطلاحات المستعملة وتطور الادب التاريخي عبر الزمن غنى عن القول ان تاريخ فلسطين معقد ومميز ، ويعكس التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الهائلة والتي تنالت بسرعة وعنف في المئة سنة الاخيرة .

اتار العمل المنهجي

في اطار العمل المنهجي فاننا سنستعمل ثلاثة عناصر كادوات للتحقيق الوقت ، المحتوى ، وخلفية المؤلف ، وسوف يجرى تجميع الادب التاريخي المتوفر بنا على الحقبة الزمنية التي كتب او نشر فيها ، وذلك ضمن البناء الزمني ، كما أنه سوف يجرى تصنيف هذا الادب بناءً على نوع المعلومات التاريخية التي يحتويها واللغة التي كتب بها اضافة الى ذلك فان تحليل المحتوى سوف يستند الى الطيف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعقائدي الذي كتب فيه هذا الادب ولتوضيح ذلك نقول ان تاريخ النشر وجنسية الكاتب ومهنته وموقعه الاجتماعي سوف تؤخذ بالاعتبار كمؤشرات هامة على نوع الادب التاريخي المفضل وقاعدته (الادراكية) .

الا ان العنصر الاول وهو الوقت ذو طبيعة عشوائية ، وذلك لان القوى الاجتماعية والاقتصادية لا تظهر وتختفي في لحظات محدده كموت ملك او توقيع معاهدة مثلا ، على

وقبل طرح اطار عمل منهجي والذي به يمكن معالجة هذه العملية ذاته من المهم ان نلقي نظرة على المفهومين التاليين: الطيف والخصوصية ، يشدد مارك بلوخ Marc Bloch في كتابه (حرفة المؤرخ) The historian craft

انه "لا يمكن فهم الظاهرة التاريخية ايدا بمعزل عن موقعها الزمني" (١) ان نفس الشيء ينطبق على الادب التاريخي واستطيع ان ادافع عن ذلك بأن المؤرخ كإنسان هو جزء من "الظاهرة التاريخية" وليس خارجها او كما تصفها حين جواريس Jean Juares

"ان المؤرخ يرقب الاحداث من زاوية وجهة نظر تصوره العام للحياة والمجتمع" (٢) ان هذا التصور يتبلور ويتشكل بالطرف الاجتماعي والانتعادي والثقافي والعقائدي الذي يتواجد فيه ، فالادب التاريخي لذلك متأثر مباشرة بالطرف الذي كتب فيه ولا يمكن فهمه منفصلا عنه ان هذا صحيح بشكل خاص في وضع فلسطين "

وتكسب نفس الاهمية فكرة التخصيص لتاريخ بلد معين ، ليس بمعزل بل كجزء من تاريخ المنطقة والعالم . ان انشاء خصوصية التاريخ الفلسطيني في علاقته مع الدول العربية الاخرى والغرب الصناعي وخاصة انجلترا والولايات المتحدة مهم للأسباب التالية (١) ان فلسطين كجزء من العالم العربي لها تقاليد تاريخية مختلفة عن تلك التي للغرب . (٢) وجود ادب تاريخي مستقطب نتيجة الصراع على نفس الارض ما بين الصهاينة والذين "جاؤا لفلسطين" واسسوا دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ وبين الشعب العربي الفلسطيني المواطن والذي شكل الاغلبية الساحقة من السكان لمئات من السنين وحتى الى ما قبل ١٩٤٨ مباشرة .

كل حال وحيث ان التقسيم الزمني ضروري للاهداف التنظيمية لهذا البحث فان تواريخ معينه سياسية وعسكرية والتي تميز المراحل الفاصلة في تاريخ فلسطين يمكن ان تكون بمثابة خطوط لهذا التقسيم ،وان التواريخ المقترحة هي ١٨٨٠ - ١٩١٧ ، ١٩١٨ - ١٩٤٨
١٩٤٩ - ١٩٦٧

وقبل أن ننتقل لمعالجة العناصر الأخرى في اطار العمل المنهجي فانه لما يساعد في تخطيط الظروف التاريخية المحددة في فلسطين ان نلقي الضوء على التواريخ المذكورة
لقد شهدت سنوات ١٨٨٠ ، الموجة الأولى للمستوطنين الصهاينة الأوروبيين في فلسطين كما شهدت بدء الصراع على الأرض، ولقد ساهم المتنافسون الأوروبيون على السيطرة الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية في المستعمرات العثمانية في تسريع دخول الشرق الأوسط الى النظام الرأسمالي العالمي واعطوا قوة دافعة لاحداث تغييرات اقتصادية واجتماعية عميقة في الدول العربية. ان فترة ١٨٨٠ - ١٩١٧ تتميز بتزايد الدور الأوروبي وخاصة البريطاني في شؤون المنطقة بدءاً بالاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨١ وما تبع ذلك من سحق انتفاضة عرابي الوطنية .

وفي الثاني من نوفمبر ١٩١٧ صدر وعد بلفور مانحاً كفالة رسمية بريطانية للاهداف الصهيونية في فلسطين ، وشهدت الفترة ما بين ١٩٢٢ - ١٩٤٨ بداية ونهاية الاحتلال الاستعماري البريطاني من خلال انتدابهم على فلسطين، ولقد حدث تحول اجتماعي واقتصادي حاد في فلسطين اثناء فترة الانتداب وذلك نتيجة لسيطرة رأس المال الاجنبي على

الاقتصاد المحلي ، ودخول هذا الاقتصاد الشبكة الاقتصادية للامبراطورية البريطانية ، كما اصبحت انتفاضات المواطنين الفلسطينيين العنيفة أكثر تنظيماً وتضاعدت الى ذروتها في عصيان ١٩٣٦ - ١٩٣٩

لقد قامت دولة اسرائيل في أيار ١٩٤٨ ، وقبل عام ١٩٤٩ سيطر الصهاينة على ٨٠٪ من فلسطين وطردوا ما يقدر بـ (٧٥٠) ألف فلسطيني بالقوة من اراضيهم اما الذين بقوا فاصبحوا اقلية في وطنهم

ما بين ١٩٤٨ - ١٩٦٧ هزت المجتمع الفلسطيني تغييرات اجتماعية واقتصادية وثقافية عميقة ، حيث ان الاغلبية التي كانت سابقاً تتكون من فلاحين وعمال زراعيين اصبحت لاجئة بلا أرض ، تعيش على مخصص وكالة الغوث ، بينما كانت اراضيهم تتحول الى دولة يهودية شاملة وتشهد هذه الفترة ايضاً صعود الانظمة العربية الوطنية - الراديكالية ، وظهور الولايات المتحدة كقوة غربية وحيدة في المنطقة بلا منازع . ان القومية العربية التي قادها عبد الناصر اصبحت حركة جماهيرية شعبية - وكان الفلسطينيون من بين أكثر انصارها حماساً

وينتهي هذا البحث (بحرب الايام الستة) حزيران ٥ - ٦ سنة ١٩٦٧ والتي شهدت هزيمة الانظمة الوطنية - الراديكالية عندما احتلت اسرائيل البقية الباقية من فلسطين اضافة الى اجزاء من سوريا ومصر ، لقد آذن ذلك بتغير هائل في القوى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المنطقة . ان ظهور المقاومة الفلسطينية المسلحة وظهور العربية

السعودية كقوة في المنطقة والاحتلال العسكري
الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة هي أمثلة
على ذلك .

لقد ادرجنا فقط الادب التاريخي المتعلق
بفلسطين والشعب الفلسطيني والمكتوب فيما
بعد ١٨٨٠ بغض النظر عن الديانة، ولم ندرج
الادب الذي يتطرق الى التاريخ اليهودي
الاوروبي او الى دولة اسرائيل وحيث ان
فلسطين هي جزء من العالم العربي الاكمل
عموماً وسوريا الكبرى خصوصاً (ان سوريا
الكبرى تضم الدول الموجودة حالياً اسرائيل،
الاردن، سوريا، لبنان) وايضاً في نظر
المستشرقين الاوروبيين تعتبر فلسطين
جزءاً من العالم الاسلامي. ولهذا فان
تاريخها ايضاً يشكل جزءاً من عمل اوسع
حول التاريخ الاسلامي.

وفي هذه الدراسة فاننا سنولي اهمية لعدد قليل مختار من هذه الاعمال الشاملة، وسينصب الاهتمام على اعمال مكتوبه تتناول فلسطين كما عرفها الانتداب البريطاني.

يجب ان يغطي الموضوع زمنا بشكل واسع. او بكلمات اخرى ان يكون هناك امتداد تاريخي للدراسة وليس صورة جامدة عما يوجد في لحظة معينة ،

INTER DISCIPLINARY

على المؤلف ان يستعمل اكثر من نظام
رغم ان واحدا قد يفرض نفسه، مثال ذلك ان
الدراسات الاقتصادية البحثية التي لا ترتبط
بتاريخ البلد

ان العنصرين الثاني والثالث وهما المحتوى
وحلقة المؤلف قريبان جدا من بعضهما ،
ويشير المحتوى الى مادة الموضوع ونوع
التاريخ ما اذا كان العمل سياسيا او تاريخيا
اقتصاديا مثلا وما اذا كان حول مؤسسة دينية
او مدنية . كما يشير المحتوى ايضا الى المصادر
المتعلقة منهجيا ، او غير ذلك من مميزات
العمل المكتوب والتي هي مؤشرات هامة على
رؤية المؤلف ومغزى الكتابة

ان خلفية المؤلف الشخصية هي ايضا مؤثر هام على هذه الرؤية والمفردى وخاصة منهذ وجسيته، كما يجب الاخذ بالاعتبار ايضا انتسابه الطبقي.

وقبل الشروع في مراجعة الادب التاريخي
فان من المفيد تعريف هذا المصطلح .

ان تعريف مارك بلوخ للتاريخ بأنه علم الانسان في الزمن" (٣) ومناقشته بان الآثار هي مصدر معرفتنا غير المباشرة للماضي (٤)، بترك الباب على مصراعيه لاصناف لا حدها من الدراسات التاريخية وذلك لانه كما يقول بلوخ "ان تنوع الشواهد التاريخية غير محدود تقريبا، وكل ما بقوله للانسان او بشئيه وكل ما يصنعه او يلصمه يمكن بل يجب ان نلصق شيئا عنه" (٥)

أيضا بفعل أن هنالك تقاليد تاريخية محلية
عشيق المنطقة وهي تختلف كثيرا عن تلك
التي في الغرب، أن التفاعل بينهما غير
مستبعد، ولذلك يصبح من الصعب التحديد
بدقة إلى ما يمكن اعتباره أو عدم اعتباره
أدب تاريخي".

ولاجل التطبيق فلا بد من اختيار

عرض للادب التاريخي

الخلفية

كانت غزوة نابليون لمصر عام ١٧٩٨ بالنسبة للاوروبيين ايدانا ببدء حقبة من الانخراط المادى النشط في المنطقة . واذنت بالنسبة للعرب ببدء اليقظة الثقافية الوطنية والتي استمرت بزخم متصاعد . ولقد امتد التنافس ما بين الدول الاوروبية للسيطرة على اسيا وافريقيا الى الشرق الاوسط عندما اراد نابليون نسف الروابط التجارية الحساسة بين بريطانيا والهند . ومع أن غزوه لمصر كان فاشلا الا ان ذلك كان نذيرا لحوادث مقبله . ففي سنة ١٨٤٠ طردت بريطانيا محمد علي باشا والي مصر القوى من سوريا وفي سنة ١٨٦٠ تدخل الفرنسيون الى جانب الطائفة المارونية في لبنان وفي سنة ١٨٨١ احتلت انجلترا مصر وقضت على ثورة عرابي الوطنية واحكمت سيطرتها على قناة السويس . وبسبب قرب فلسطين من مصر ومن المصالح الفرنسية في المنطقة ، فانها اصبحت مهمة لبريطانيا استراتيجيا واقتصاديا

ان الغزوات التي تعرضت لها المنطقة والتدخلات العالمية والتحديات المحلية للسيطرة العثمانية ، تشابت كلها لخلق الظروف المواتية لليقظة الوطنية بين العرب . ومثلا على ذلك فان ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا كان يناشد المشاعر الوطنية وكثيرا ما استرجع في خطابه امجاد العرب ، وذلك من اجل كسب تأييد المواطنين ، واكثر اهمية من ذلك ايضا انه انشا نظاما تعليميا جديدا كانت لغته هي العربية

ولقد تدعمت فرص التعليم وتزايدت بوصول العديد من البعثات التبشيرية الغربية الى سوريا والتي اقام الكثير منها المدارس

والكليات . ان الحلقات الادبية العربية التي تشكلت فيما بعد منتصف القرن التاسع عشر كانت ايضا بمثابة حاضنات لتصاعد الحركة الوطنية العربية والتي اثرت بالمقابل الى حد كبير على تطور الادب التاريخي العربي

١٨٨١ - ١٩١٧ ان الاتجاه الديناميكي

للادب التاريخي الانجليزي المتعلق بفلسطين في هذه الفترة كان عبارة عن جغرافيا تاريخية والى حد اقل كتب ارشاد سياحية احتوت على جزء بسيط من التاريخ . ان النموذج البارز على النوع الاول هو كتاب (الجغرافيا التاريخية للاراضي المقدسة) (١٨٩٤) وهو

كتاب كلاسيكي الفه جورج آدم سميث وهو وصف جغرافي محض لفلسطين القرن التاسع عشر ضمن اطار تاريخي ، وكان باستمرار يعتبر مرجعا موثوقا . والخرائط المزود بها دقيقة الى درجة انه كان يرجع اليها لتعيين حدود الانتداب سنة ١٩٢٢ . ولقد اعتمد المؤلف وكان مديرا ونائب مستشار لجامعة ابردين Aberdeem على معرفته الشخصية للبلاد

وعلى التوراه والاكتشافات الاثرية كمصادر لكتابه . وكان همه الاول هو سرد الالهية الدينية للاراضي المقدسة عن طريق الجغرافيا ، ولقد تجاهل تاريخ السكان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي اتخذ الصفة العربية في القرن السابع . ان تاريخ فلسطين كما يورده سميث توقف عند الفتح العربي سنة ٦٣٤ باستثناء الفصل المختصر عن الصليبيين (١٠٩٨ -

١١٨٧) والغزو الاوروبي ١٧٩٨

ان كتاب بيدكر Baedeker فلسطين وسوريا ، كتاب يد للمسافرين ١٨٩٤ يحتوي على جزء صغير من تاريخ فلسطين ، ان التاريخ هو استعراض سياسي مباشر للقبائل المختلفة ، للفاتحين والممالك ، ولقد اختصر تاريخ فلسطين الى "مشهد متواصل من الحرب وسفك

الدبس هو أحد الأمثلة على الدراسة التاريخية في ذلك الوقت، أنه عمل ضخم يقع في ثلثي مجلدات حول تاريخ سوريا (ومن ضمنها فلسطين) منذ غابر الأزمان وحتى نهاية القرن التاسع عشر، ويشير المؤلف الذي أصبح فيما بعد بطريركا للمارونيين في بيروت الى غياب الكتب العربية عن تاريخ سوريا. وكان هدفه ان يقدم مثل هذا التاريخ الى الناطقين بالعربية ليطلعهم على تراثهم الغني، ولقد صيغ هذا المؤلف بأسلوب قصصي، واعتمد كثيرا على التوراه والمراجع الكلاسيكية والاكتشافات الأثرية.

والى جانب مقالة عن تاريخ حيفا فهناك عملين عربيين فقط من الأدب التاريخي لهذه الحقبة اطلع عليهما هذا المؤلف وكلاهما حول تاريخ الصهيونية وآثارها على الشعب الفلسطيني ومؤلفاهما من العرب الفلسطينيين العمل الأول هو الصهيونية (١٩١١) لنجيب ناصر وهو عبارة عن نظرة قاحصة في الصهيونية ونقد لها، ولقد اسس المؤلف صحيفة في حيفا اسماها الكرمل هدفت اساسا للتحذير من الصهيونية التي رأى فيها المؤلف حركة عنصرية استعمارية، أما كتابة هذا فلقد اراد منه أن يكون تحذيرا صارخا من الصهيونية موجهها الى النخبة المتعلمة من العرب.

أما العمل الثاني فهو المسألة الصهيونية (١٩١١) وهو مخطوط غير منشور عثر عليه في مكتبة الخالدي، الخاصة في فلسطين، ويُعتقد ان الكاتب هو روجي الخالدي، وهو مثقف بارز ومعاد نشط للصهيونية وفي هذا المخطوط استعراض لتكالب الاستعمار الصهيوني على ارض وشعب فلسطين ويحتوى على معلومات اجتماعية - اقتصادية قيمة كاسماء المستوطنات الصهيونية وعدد الفلاحين المطرودين، ان هذين العملين يعكسان الظروف النوعية للتاريخ الفلسطيني.

الدما مصحوبا بسلسلة من النزاعات الداخلية المتواصلة، والمكائد والجرائم" (٦) وأكثر من ذلك فان الإنجازات العلمية العربية تعود كلها الى استعارات من الاغريق " ولم يظهر العرب في أي فرع من العلوم الكثير من الاصاله" (٧) ان معظم الاعمال التاريخية الانجليزية الاخرى تتحدث عن الصليبيين او التاريخ اليهودي، وهذا يعكس ايضا الاهتمام المركزى الديني والاوروبى الشامل في فلسطين، وهذه امثلة على ذلك.

اليهود تحت الحكم الروماني (لندن ١٨٩٠)

لبريسون اليهود (لندن ١٨٩٧) ليهو سميرو
تاريخ الصليبيين (لندن ١٨٨١) لميشود
الصليبيين (لندن ١٨٧٤) للسير كوكس

ان الافكار المشتركة في كل هذه الاعمال هي: دونية وأنحطاط الشعب المحلي، اهمية تاريخ فلسطين التوراتي القديم والاوروبى فقط والنفوذ المطلق لاوروبا على الشرق، ان هذه النوجهات والتصورات دعمت واعطت نوعا من الشرعية للنفوذ المادى والهيمنة على الاراضى العربية.

ان الادب التاريخي الذى كتبه العرب حول هذه الحقبة كان نادرا واحد الاسباب لذلك هو ان الظروف الاجتماعية - الاقتصادية والى سنوات ١٩٣٠ لم تكن ملائمة لنشر ونزوع الاعمال الدراسية المطولة. فلقد كانت وسائل الاعلام الاساسية هي الجرائد والمنشورات. وهنالك اسباب اخرى لندرة هذا التاريخ العربي والذى لا تشكل فلسطين منه سوى جزء صغير، وكذلك حقيقة ان معظم المخطوطات التى كتبت حول هذه الحقبة توجد فقط في المكتبات الخاصة

ان تاريخ سوريا ١٨٩٣ - ١٩٠٢ ليويسف

وكيف أن الحضارة العربية بقيت حية من خلال العادات المختلفة. أن تاريخ بئر السبع هو واحد من التواريخ المحلية التي كتبها عارف العارف. وفي كل أعماله فإنه يركز على التطرق الموضوعي إلى التاريخ كما أنه اعتمد على عدد كبير من المصادر الكلاسيكية والعربية والانجليزية والتركية والالمانية والفرنسية. وفي كتابه (تاريخ القدس ١٩٦١) لخص عارف هدفه بما يلي :

"أن معرفتي بأسلوب النقاش الذي يتبذ الكتاب اليهود لتأكيد الروابط التاريخية اليهودية بفلسطين يجعل من واجبي أن أحاول دحض ادعاءاتهم بمناقشة تاريخ القدس، هذه المدينة التي يؤكدون روابطهم بها، ولكي أوضح بما لا يدع مجالاً للشك بأن تاريخ المدينة المقدسة يكشف طابعها العربي، كما يكشف تسامح أهلها نحو المسيحيين واليهود، والروابط السلمية التي ميزت حياة سكانها خلال العشرة قرون الأخيرة" (٨)

ومثل آخر على التاريخ المحلي هو تاريخ جبل نابلس والبلقاء (١٩٣٨) لـاحسان نصر، أن هذا التاريخ فريد من نوعه لسببين الأول هو أنه يوثق الدور المهم جداً لنابلس في النهضة الثقافية والوطنية الفلسطينية والثاني لأنه نموذج للمنهج التاريخي العربي التقليدي والذي لم يتبعه أي من المؤلفين الآخرين والذين في معظمهم درسوا في المؤسسات الغربية، وعملياً فإنه تاريخ لكل نواحي نابلس وشعبها وخاصة شؤون عائلاتها الوجهية والكتاب ثمرة دراسة عشر سنوات للتاريخ المروى وأشجار العائلات إضافة إلى معرفة المؤلف الشخصية بالمدينة أن محاولة مصطفى الدباغ في كتابه بلادنا فلسطين (١٩٤٧) تشبه محاولة عارف ونمر ولكن من منطلق وطني، أن هذا العمل هو خلاصة ضخمة لكل نواحي فلسطين الجغرافية

١٩١٨ - ١٩٤٨ في هذه الحقبة اينع الادب التاريخي العربي حول فلسطين بشكل كبير، وكان للكتاب الفلسطينيين دور خاص في ذلك، ويجب تقييم هذا الادب ضمن ظروف استمرار الاستعمار الصهيوني والاحتلال البريطاني، ونهوض القومية العربية لدى النخبة غربية الثقافة والقيادة التقليدية. يتميز هذا الادب بتجاهين رئيسيين التاريخ المحلي، وتاريخ فلسطين كجزء من العالم العربي، ويشترك كل الادب التاريخي العربي لهذه الحقبة بما يلي :

- (١) التأكيد على عروبة فلسطين وتاريخها العربي .

- (٢) التأكيد على الانجازات العربية وامجاد التراث الاسلامي .

- (٣) دحض الادعاءات الصهيونية حول الارض الفلسطينية .

ان هذه الاعمال شكلت جزءاً بسيطاً فقط من الادب التاريخي الذي كتب في ذلك الوقت عن الاسلام والعالم العربي ان المؤلفين الفلسطينيين يشتركون في الخصائص التالية :

- (١) كلهم ينحدرون من الطبقة الوسطى أو من عائلات ميسورة .

- (٢) لقد كانوا اساساً موظفين مدنيين او قادة طوائف او متحدثين جماهيريين ولم يكونوا اكاديميين .

- (٣) كلهم كانوا عرباً وطنيين رغم تفاوتهم في ذلك

ونعطي مثلاً على التاريخ المحلي تاريخ بئر السبع (١٩٣٤) لعارف العارف. لقد حاز المؤلف على سيرة شخصية محترمة كموظف مدني وككاتب، ورغم انه كان فلسطينياً عربياً ووطنياً، إلا انه عمل عن قرب مع السلطات البريطانية والاردنية وعين رئيساً لبلدية القدس إضافة إلى مراكز أخرى. وفي كتابه عن تاريخ بئر السبع فإنه يؤكد الاصل العربي للسكان

والتاريخية والعرقية والاجتماعية والاحصائية .
وفي تقديمه له فان الدباغ يوضح ايمانه
(بان فلسطين هي ارض عربية ولغرض توثيق
هذه النقطة فانه يستنفذ كل الطرق الممكنة)
والملومات التي يوردها منظمه بموجب
التقسيمات الادارية للانتداب وهو يتطرق
بشكل منظم الى كل قرية وبلده ونهر وجبل ،
وفي ختام كل مجلد هنالك قائمة باسماء الكتب
وتواريخها وفهرس بعكس بحثه المتكامل
ومعالجته الشاملة للموضوع . ان المراجع
المتعلمة هي في الاساس كلاسيكية وكتابات
عربية حديثة وبدرجة اقل مراجع عربية
وفرنسية

واخيرا فاننا سنطرح مثالا عن الادب
العربي والذي يتعامل مع فلسطين كجزء من
العالم العربي وهو الثورة العربية الكبرى
(١٩٣٤) لامين سعيد . ان المؤلف وهو سوري
شارك في هذه الحركة . يقدم تاريخا مفصلا
ومخالل الثورة العربية والحركة الوطنية ما بين
١٩٢٨ - ١٩٣٤ . وهدفه هو المحافظة على كل
الملومات الممكنة عن المشاركين ، وعن
احداث هذه الفترة . للاجيال القادمة ، قبل
ان يفوت الوقت على تسجيل مشاهدات الناس
المشاركين فيها ان الكتاب مليء بالاسماء
والتواريخ والاماكن ويعتمد كثيرا على المراجع
الشفهية والوثائق

ويمكن تسجيل عدد من الملاحظات العامة
اولا : لقد كتبته نخبة من المتعلمين وبالا اساس

لانادة زملائها . ان هذه النخبة والتي هي في
معظمها مثقفة ثقافة غربية ، بعثت انجازات
الى ترقية الماضي وكانت تسعى من خلال ذلك
ثانيا : لم تعالج أي من كتاباتها التاريخ

الاقتصادي والاجتماعي للشعب الفلسطيني

وخاصة اثناء الحكم العثماني ، كما انها لم
تعالج الاثر الاجتماعي والاقتصادي للاحتلال
البريطاني ، ان التطرق الى الموضوع الاول لم
يكن مناسباما الموضوع الثاني فلم يكن يشكل
تهديدا مباشرا لموقعهم الطبقى ، انهم بالمقابل
نظروا الى الصهيونية على انها التهديد
المباشر ، لان انشاء دولة يهودية صرفة ، سيكون
له نتائج كارثية على كافة قطاعات المجتمع
الفلسطيني ويعود جزء من فشل جهودهم الى
نظرتهم الجامدة والضيقة والمثالية الى
تاريخهم

في هذه الحقبة كان هنالك عدد من
الكتاب العرب الفلسطينيين المثقفين ثقافة
غربية ممن كتبوا بالانجليزية حول القضية
الفلسطينية وحركة القومية العربية . ان المثل
البارز على ذلك هو اليقظة العربية قمة

حركة القومية العربية (١٩٣٨) لجورج انطونيوس
والكتاب هو عمل شامل عن تاريخ يقظة القومية
العربية من ١٨٤٧ - ١٩٣٧ . وقد كتب
باسلوب قصصي ، وفي جز منه يعالج هذا العمل
الانتداب البريطاني ويناقش المطالب العربية
والصهيونية في فلسطين ، ويؤكد الكاتب
والذي كان هو نفسه مشاركا في المحادثات
الفلسطينية البريطانية عند نشر الكتاب بأن
المطالب العربية ، تركز على اساسين
واضحين : الحق الطبيعي لشعب مستقر في
البقاء ، مالكا للارض التي ولد عليها ، والحق
السياسية المكتسبة والتي نتجت عن غياب
السيطرة التركية ودور العرب في القضاء عليها
والتي تفرض على بريطانيا بموجب التزام
تعاقد الاعتراف بها ومساندتها . اضافة
لذلك فانه يقول ان المطالب الصهيونية في
فلسطين والتي تعتمد على الارتباط التاريخي
بالارض ليس لها أي اساس مادي ان الدوافع
البريطانية لمساندة هذه المزاعم غير المبنية
على أي ، اساس تحير . انطونيوس ، ولا يملك



يبتدىء المجلد الاول بسرد اسفار شخصية تهدف الى التعرف على الارض والاديان المختلفة والموظفين الانجليز، ويحتوى المجلد الثاني على معالجة للمطالب والنشاطات العربية والصهيونية ضمن محتوى الالتزامات القانونية البريطانية كما ينص عليها صك الانتداب الصادر عن عصبة الامم، ان هذا السرد المفصل والقانوني يركز على الموقف المتناقض والمستحيل الذى تواجهه سلطة الانتداب، ورغم الكمية الهائلة للمعلومات والبحث فان المؤلف قدمت قليلا من التحليل فقط ولم تقدم أية استنتاجات او اقتراحات ان هذا المؤلف يوضح مرحلة الانتقال التي كان يمر بها الادب التاريخي الانجليزى خلال هذه الحقبة من منحى جغرافي ديني موغل في القدم الى منحى العلوم الاجتماعية والمعاصرة.

ونعطي مثالا للادب التاريخي الصهيوني عن فلسطين بكتاب فلسطين ١٩٣٤ لنورمان بنتويش والكاتب وهو صهيوني بريطاني شغل منصب المدعي العام على فلسطين ما بين ١٩٢٢ - ١٩٣١، واستغل منصبه للمساعدة في ارساء الاسس القانونية لدولة اسرائيل، وبعد ان ترك الادارة البريطانية عين بروفيسور للعلاقات الدولية في الجامعة العبرية في القدس، وتكشف خاتمة الفصل الذى يتحدث عن الحضارة العربية عن تصويره للتاريخ العربي والشعب المواطن اذ يقول "ان الفاتحين الاتراك للبلاذ فشلوا في احياء ثقافة جديدة في ذلك الجزء من املاكهم وكان الشعب العربي منهكا بفعل قرون من القتال، وفلسطين اصبحت ارضا مهملة بعيدة عن التيار الرئيسي للحضارة المادية والفكرية" (١٣) لقد رأى بنتويش في الاستعمار الصهيوني جالبا للتقدم المادى والنور الفكرى، الى

الا ان يستنتج بأن الاعمال البريطانية في فلسطين تناقض (مبادئ العقل والعدالة التي تحظى بالاحترام العميق في بريطانيا) ان ما يميز هذا العمل واعمالا اخرى مماثلة هو أنها كتبت لاجل عرض القضية العربية امام الجمهور الغربي، اما المواقف الغربية الاساسية والممارسات السياسية والاقتصادية في فلسطين فلم تمس ولم يجر التعرض لها على العكس من ذلك فانه يجرى اطراء المجتمعات الديمقراطية في اوروبا على انها نماذج للعقلانية وما على الفرد الا ان يناشد ادراكهم وعدالتهم ودورهم البناء من اجل الوصول الى حل مرض للمصراع

لقد اتخذ الادب التاريخي الانجليزى لفلسطين في هذه المرحلة اشكالا جديدة رغم ان المواقف الاساسية والتصور الذى ساد في المرحلة السابقة بقيت كما هي، وظهر اتجاهان جديداً: ادب تاريخي حول الانتداب البريطاني والقضية الفلسطينية أى تاريخ فلسطين المعاصر، وادب صهيوني حول بنية فلسطين الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والسياسية. ان الاتجاه الاول يعكس الموقف المتفجر الذى كانت تجد بريطانيا نفسها فيه كقوة منتدبة اما الاتجاه الثاني فجاء نتيجة الحاجة لتحرير واعطاء شرعية لاستعمار معاد وغير مالوف

ويمكننا اخذ الارض المقدسة تحت الانتداب (١٩٣١) لفاني فيرن اندروز كمثال على الاعمال التي كتبت عن الانتداب البريطاني، ان اهتمام المؤلف بالنواحي القانونية لنظام الانتداب وكيف يمكن ان تؤثر على الشعوب المختلفة في الشرق الأوسط، ان هذا الاهتمام قادها لاتخاذ فلسطين كقضية للتجربة، وكانت حيلة ذلك مزج فريد بين التوجه القديم والحديث نحو التاريخ الفلسطيني



فلسطين وكان المؤلفون العرب الذين كتبوا بالانجليزية امثال فيليب حتي، وشارلس عيشاوي. ا ل طباوى هم الذين قطعوا الشوط المميز في التأريخ الاجتماعي والاقتصادى. لكن سيطرة الاتجاه الوطني في الادب التأريخي العربي. بدأت بالفتور قبيل ١٩٦٥ واخذت تظهر بعض التأريخات الاجتماعية الاقتصادية عن فلسطين، ويمكن رؤية هذه التطورات الجديدة في ظل الظروف الدولية والمنطقية والمحلية السائدة في ذلك الوقت فدوليا خرجت الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية وهي القوة الغربية غير المنازعة في هذه المنطقة. اما انجلترا وفرنسا فقد ضعفتا جدا بسبب الحرب ولم يكن بإمكانهما ان نحافظا على مراكزهما وخاصة بعد سنة ١٩٥٦، كما ظهر التنافس بين القوى الكبرى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كعامل في هذه المرحلة، وانعكس ذلك في الاعمال التاريخية كبيره العدد نسبيا والتي كتبت حول العلاقات السوفيتية العربية في ذلك الوقت تقريبا.

ومنطقيا، فان القومية العربية تحت قيادة جمال عبد الناصر رئيس مصر اصيحت القوة السياسية المسيطرة في هذه المرحلة، ووضعت مسؤولية تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني في ايدى الانظمة الوطنية الراديكالية في مصر وسوريا والعراق. اما محليا فان المجتمع الفلسطيني واصل عملية تحوله السريع وتجذره فبعد التشتت في عام ١٩٤٨ نزع الثقة من القيادة التقليدية وظهرت قيادة جديدة، وفي ١٩٦٥ تأسست منظمة التحرير الفلسطينية، واستلم الفلسطينيون زمام المسؤولية لتحرير ارضهم ان كتاب خلفية الانحدار نحو المأساة النضال في سبيل فلسطين (١٩٥٧) لوليم

هذه البلاد التي بدونه لم تكن لتعتبر الا (مهملة)، ويصور الشرق الاوسط موطننا للاستبداد وفقر الجماهير والفراغ الاخلاقي للشعب المحلي في كافة مناطق تواجدة لا يوجد له أى تاريخ (حقيقي) اما الصهاينة الاوروبيين بالمقابل فهم جماعة حيوية وديمقراطية وهي المؤهلة لادخال الحضارة الغربية ورفع مستوى الحياة للشعب المحلي.

باختصار فان الادب التأريخي الانجليزي لهذه المرحلة نقل مركز اهتمامه الى تاريخ فلسطين المعاصر بدون ان يغير مواقف الاساسية وتصوراته عن تاريخ هذه البلاد ونسبها بل انه يمكن النظر الى الصورة التاريخية التي رسمت في المرحلة الاولى على انها الحجر الذي قام عليه الاحتلال الانجليزي والاستعمار الصهيوني لان هذه الصورة تجاهلت ثلاثة عشر قرنا من التاريخ العربي او انها وصمت الشعب المحلي بالدونية، فباله من تاريخ ١١

١٩٤٩ - ١٩٦٧ لقد تجذرت في هذه المرحلة الاتجاهات التي ظهرت في الثلاثينات والاربعينات كالادب التأريخي العربي القومي والمحلي كما انه في الادب الانجيزى حرى التركيز على التاريخ العربي المعاصر والنظر اليه من خلال علوم الاجتماع. فيما يتعلق بالادب التأريخي العربي مثلا، فان كثيرا من المؤلفين المذكورين في المرحلة السابقة كفارح العارف ومحمود العبيدى، قدموا معظم انتاجهم في الخمسينات والستينات.

وحتى سنة ١٩٦٠ كانت قد حدثت تطورات هامة في الادب التأريخي المكتوب بالانجليزية من المؤلفون الاميركان تدريجيا محل البريطانيين كأعزى المنتجين للدراسات عن

المحلي. كما يشار الى الفلاحين وهم الاغلبية الساحقة من الشعب حتى سنة ١٩٤٨ على انهم الضحايا المستسلمين لسلسلة لا تنتهي من المستبدين ان التطور الوحيد الذي حصل هو انه ما أن اطلقت سنة ١٨٠٠ حتى كانت وسائل الاتصال المحسنة واساليب الحرب الجديدة قد اعطت اولئك الذي سيصبحون طفاة وسائل اكثر نجاعة لنهب الريف. ان استنتاج المؤلفين بأن "معضلة فلسطين هي في عقول الرجال والمجتمع" (١٥) انما يعكس الضعف الجوهرى في رؤيتهم التاريخية أعني ان التاريخ الفلسطيني في مستوى واحد على الاقل غير قابل للتغير

ان مقال لطف غنطوس (اثار التركيب الطبقي في القصة الفلسطينية) ١٩٦٥، تعتبر بحق انقصالا جذريا عن نماذج المنهج التاريخي السابق وحتى المعاصر ايضا. يشدد غنطوس على ضرورة التحليل العلمي للتركيب الطبقي للمجتمع الفلسطيني ويجادل فيقول ان تفحص دور الطبقات المختلفة في التطورات الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين قبل ١٩٤٨، والتركيب الطبقي الحاصل على ضوء التشتت الفلسطيني هو امر اساسي للوصول الى التحريـ

بولك. ديفيد ستاملز، ادمون عصفور، هو نموذج للادب التاريخي الاميركي لفلسطين. والكتاب مقسم الى اربعة اجزاء، الاول هو خلفية تاريخية لفلسطين منذ غابر الازمان وحتى الانتداب ويتبع ذلك عرض للمصالح اليهودية في فلسطين (ديفيد ستاملز). وثم مسألة العرب (لبولك) واخيرا الاطار الاقتصادي للمشكلة الفلسطينية لادمون عصفور

قدمت هذه الدراسة على انها محاولة عقلانية للتوفيق ويفسر ذلك خلفه المؤلفين فوليم بولك عمل كزميل في مؤسسة روكفلر وكان احد العاملين في مركز الدراسات الشرق اوسطية في هارفارد وكعضو في مجلس التخطيط السياسي للخارجية الاميركية. وديفيد ستاملز هو صهيوني بريطاني وكان عند مشاركته في تأليف هذا الكتاب نائبا لرئيس كلية كارمل في انجلترا اما ادمون عصفور فهو عربي فلسطيني وكانت له ارتباطات لمركز الدراسات الشرق اوسطية في هارفارد، كما عمل كافتصادى مع وكالة غوث اللاجئين ومع سكرتارية هيئة الامم.

الجز الاول هو تاريخ سياسي. فريد من نوعه في توجهه العلمي، لقد فصلت العوامل السياسية والاقتصادية، كما هملت التصورات الدينية. ان هذا التوجه هو تطور مهم وايجابي ورغم انه لم يغض الطرف عن التاريخ العربي الا انه لم يجر التخلص من بصورات المستشرقين مثل "الطوائف الاستبدادية والمتعصبة المنغلقة" تلك التصورات التي ميزت الاعمال المبكرة. مثلا فان التاريخ الفلسطيني يصور بشكل واسع على انه سلسلة من الصعود والسقوط لمختلف الاسر الملكية وهي عملية قيل انه ليس لها سوى الاثر الضعيف ان وجد اصلا على الحياة اليومية للشعب

والمقال هو محاولة اولية لتقديم مثل هذا التحليل، ويبتدى غنطوس بفحص الشكليات الاجتماعية المختلفة في فلسطين قبل الانتداب ويلاحظ البناء القطاعي المحدد للامبراطورية العثمانية والاثـر الذي تركه قانون الارض لسنة ١٨٥٨ على تشكل التركيب الطبقي الفلسطيني ثم يقول ان الاحتلال البريطاني غير التركيب الطبقي التقليدي وذلك برفقة البرجوازية الوطنية على حساب طبقة مالكي الارض. وخلق طبقة جديدة مربوطة بقطاع الخدمات. ثم ينتقل غنطوس مفصلا مقاومة الشعب

ان المواقف والادعاءات الاساسية للمستوى الاعمق لم تتغير على الاقل ليس بالطريقة التي تم بها التغير المنهجي، صحيح ان اغلبية الاعمال التاريخية الجارية عن فلسطين لم تعد تجهر بعنائها للاسلام او العالم العربي، كما كان يفعل (بيديكر) مثلاً، الا انه وكما يسجل ذلك ادوارد سعيد في كتابه الاستشراق ومساءلة فلسطين فانه حتى مسألة وجود الشعب الفلسطيني، قبل تاريخه، ما زالت موضوعاً للجدل

ان الادب التاريخي الصهيوني حول فلسطين تطور ضمن نفس المفاهيم في الادب الغربي وبني على نفس التصور (ارض بلا شعب وشعب بلا ارض)، ان حديث نورمان لبيتوتش عن فلسطين قبل اليهود كارض خلف الروافد الاساسية للحضارة) هو بالواقع انكار لتاريخها ان تطور الادب التاريخي العربي لفلسطين خلال السنوات التسعين هذه، هو تطور معتبر، فلقد ضربت تقاليد التواريخ المحلية والوطنية جذورها بدون ان يكون لها قبل ذلك اي اساس عملي، ويعود الفضل في هذا الانجاز الى ضغط الاحداث اكثر من ان يكون للعبقرية، لان الشعب الفلسطيني يستطيع ان يأمل في تجاوزتشتهه بالتأكيد على هويته ووجوده قبل كل شيء .

الا ان المطلوب هو اكثر من "الكيونة" اذا اريد للشعب الفلسطيني ان يعود الى وطنه. ان الهروب التاريخي الى امجاد الماضي والذي مارسه النخبة التقليدية وغربيوها الثقافة قد اثبت فشله واسقط جانباً، والمطلوب هو توجه انتقادي واقتصادي واجتماعي علمي نحو التاريخ الفلسطيني وذلك من اجل مواجهة التحديات التي تواجه الشعب المنفي

ان مقال لطف غنطوس يشير الى الطريق ولكن المهمة ما زالت في بدايتها .

السياسة والعسكرية للاحتلال البريطاني والاستعمار الصهيوني، والتطورات في المنطقة والعالم، والتشتت والعوامل التي تؤثر في تشكيل تركيب طبقي جديد، ويصل الى نتيجة وهي "رغم انقضاء سبعة عشر عاماً على النكبة فان الغالبية العظمى من الشعب ما زالت بعيدة عن المشاركة في الخط المتعلق بالقضية الفلسطينية لان البرجوازية ما زالت تفرض سيطرتها على القضية الفلسطينية، مدعية تمثيل عرب فلسطين، وهي تحنكر المنظمات التمثيلية، يشجعها في ذلك الحكومات العربية" (١٦)

ان مقال غنطوس هذا فريد من نوعه لانه يرى التاريخ الفلسطيني متحركاً ومتغيراً، ويصفه على انه يحمل متناقضاته الخاصة وليس مناجماً

الخاتمة

ان الادب التاريخي لفلسطين خدم الى حد كبير التعبير عن، واعطاء الشرعية لحاجات وطموحات الامم والشعوب المختلفة التي لها مصالح في فلسطين الحديثة .

ويجب النظر الى الادب التاريخي الغربي لهذه البلاد على مستويين، السطحي وهو ذو التوجه المنهجي، والمستوى العميق وهو ذو المواقف والادعاءات والدوافع ويمكن متابعة تطور الاول مع الزمن بسهولة وربطه الى السياسات البريطانية تجاه فلسطين، ان كتب الارشاد السياحي والجغرافية التاريخية كانت مفيدة في المراحل الاولى للنفوذ البريطاني . وفي مرحلة الانتداب فان المهمة اليومية لادارة وضبط المستعمرة، خلقت الحاجة لنوع اخر من الدراسة التاريخية تركز الاهتمام على الوضع السائد، وتعالجه على ضوء العلوم الاجتماعية

FOOTNOTES

- 1- Marc Bloch, *The Historian's Craft* (New York: Vintage Books, 1953). p.35.
- 2- Fritz Stern (ed), *The Varieties of History* (New York: Vintage 1973), P.158.
- 3- Bloch, op. cit., p.27.
- 4- Ibid., p.55.
- 5- Ibid., p.66.
- 6- Karl Baedeker (ed.), *Palestine and Syria* (leipzig: Karl Baedeker 1912), pp, lxxxil -iii.
- 7- Ibid., p. 1 x x x iii.
- 8- The author was greatly influenced by A.W. Kayyali's *Palestine: A Modern History* (London: Croom Helm, 1978), for the above.
- 9- The author is indebted to Adnan Abu-Ghazaleh's *Arab Cultural Nationalism in Palestine During the British Mandate* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 1973), for this section.
- 10- Ibid., p.82.
- 11- George Antonius, *The Arab Awakening* (New York: Capricorn, 1965), p.391.
- 12- Ibid., p.398.
- 13- Norman Bentwich, *Palestine* (London: Ernest Bern Ltd., 1934), p.40.
- 14- William Polk et al., *Backdrop to Tragedy* (Boston: Beacon p.35.
- 15- Ibid., p.373.
- 16- Lutuf Ghantus, "The Impact of Class structure on the Palestine problem," *Dirasat Arabiya II*, nos. 1 and 2, p. 53.

وصلنا موضوعك بعنوان "الازمة في الارض المحتلة" وكان من المفروض ان يكون واحدا من موضوعات العدد ٣٤، لكننا فوجئنا حين رأيناه في مجلة البيادر السياسي، وعند قراءتنا له فوجئنا بفقرات مختلفه عن النص الاصلي الذي وصلنا منك، وفوجئنا بعبارات وهجوم على الزميلة "الطليلة"، نوكد انك لم تطلع على أعدادها بحيث جاء بحثك بعيد عن الواقع والموضوعية، ولا نزال في حيرة لماذا لم تكتب هذه العبارات في النسخة التي أرسلتها لنا، سواء نأمل أن تجيبنا عليه، نكون لك من الشاكرين

الاخ فتحي عبد نصره - جامعة بيرزيت

الحصار الائتماني أوهام خطيرة

بافيل نيديلي
صحفي تشيكوسلوفاكي

غالبا ما صرنا نقرأ ونسمع في المدة الاخيرة عن نطلع الولايات المتحدة الى "تضييق الخناق" على البلدان الاشتراكية بالغاء ائتمانات التصدير الى منطقة مجلس التعاوض الاقتصادي، وهي تسعى لجعل حلفائها يقومون بالامر نفسه .
هلا شرحتم لنا حلفية واهداف هذه السياسة ؟

المغرب

ي . عليمي

الاشتراكية متوقفة على "السلوك" السياسي لهذا البلد الاشتراكي او ذاك، وتحاول استخدام الصلات التجارية كوسيلة للتدخل الفظ في الشؤون الداخلية، وتبني كذلك حسابات على دق اسفين في صفوف الاسرة الاشتراكية عن طريق "الموقف التمايز" في ميدان التجارة والائتمان .

في اواخر كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٨١ استغلت الولايات المتحدة اعلان حالة الطوارئ في بولندا كذريعة لاتخاذ "عقوبات" اقتصادية ضد بولندا والاتحاد السوفياتي . ان ادارة ريغان، وقد قطعت كل الصلات العملية ببولندا، لم تخف انها تتوى وضع الصعوبات لكل السبل امام خروج هذا البلد من الازمة الاقتصادية . اما بخصوص "العقوبات"

ان هذا من الناحية السياسية العامة ليس سوى خطوات جديدة للاوساط الامبريالية في طريق تشديد التوتر الدولي وكما هو معروف فان هذا النهج اخذ يتجلى بوضوح خاص مع نعلم ادارة ريغان للسلطة في الولايات المتحدة اذ ان تصعيد واشنطن لسباق التسلح ومحاولات الاخلال بالتكافؤ النسبي وتغيير ميزان العسكرية لصالحها في الميدان العسكري وتنشيط سياسة القوى الامبريالية والتدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى اقترنت في المدة الاخيرة بهجوم عريض على بلدان الاسرة الاشتراكية، ولا سيما الاتحاد السوفياتي وبولندا، بهدف تقويضهما اقتصاديا وممارسة الضغط السياسي عليهما .
ان واشنطن تجعل التجارة في البلدان

الاشتراكية والرأسمالية في السبعينات .

لقد وضعت واشنطن هدفا لها القضاء على هذا الامر لا بقواها الخاصة فحسب، بل وبالاشتراك مع الدول الرأسمالية الاخرى ففي ربيع عام ١٩٨٢ أجريت مشاورات مع حلفاء الولايات المتحدة الاوروبيين الغربيين الاساسيين انكلترا والمانيا الاتحادية وفرنسا وايطاليا، وكذلك ضمن اطار حلف شمالي الاطلس، وظهرت انباء حول امكان انشاء هيئة خاصة لمراقبة وضبط الصلات الائتمانية بالبلدان الاشتراكية وتحت ضغط الولايات المتحدة اتخذت الدول الداخلية في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية قرارا برفع فوائد القروض المقدمة للاتحاد السوفيتي ان البنوك الخاصة الاميركية. وقد اوقفت تماما الائتمان للبلدان الاشتراكية او حدث منه بشدة، بذلت محاولات لا تخلو من النجاح لفرض هذا الخط على المؤسسات المماثلة في اوروبا الغربية.

وكان هذا كتمهيد مدفعي لهجوم ريغان الحازم المعادي للائتمان " وقد اقر في اجتماع فرساي لزعماء "السبعة الكبار" (الولايات المتحدة، انكلترا، المانيا فرنسا، ايطاليا، اليابان، كندا) الذي عقد في مستهل حزيران (يونيو)، فتحت ضغط الرئيس الاميركي ادرجت في بيان المشتركين في الاجتماع احكام حول الحذر في عقد علاقات ائتمانية مع البلدان الاشتراكية و "الحد من ائتمانات التصدير" وبعض الامور الاخرى واعرب رئيس الادارة الاميركية عن ارتياحه لنتائج الاجتماع ولتجاوب الحلفاء وفي الوقت نفسه، فان نتائج لقاء فرساي لم تكن، حسب تقديرات الصحافة البرجوازية، وحيدة المدلول الى هذه الدرجة. وكما نوه احد المراقبين. فان كل زعيم يفسر البيان

بحق الاتحاد السوفياتي فقد بررت بـ "مسؤولية" الاتحاد السوفياتي عن اعلان حالة الطوارئ في بولندا .

وما هذا اجمالا الا محاولات تبذلها اكثر الاوساط الامبريالية عدوانية للتضييق على الاشتراكية وزعزعة موقع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخرى على المسرح الدولي ولكن عبثا ما يفعلون. فمن المعروف جيدا ان هذه المواقع تعتمد على ميزان القوى القائم في اوروبا وفي العالم والذي يضمه جبروت الاسرة الاشتراكية والحسابات بصدد بولندامقضي عليها بالفشل كذلك. وكما نوه قادة بولندا مرارا فانها كانت ستبقى حلقة لا تتفصل من منظمة معاهدة وارسو وعضو في اسرة الدول الاشتراكية .

واذ قلصت الاوساط الحاكمة في الولايات المتحدة من جانب واحد الصلات التجارية والعلمية التقنيه بالدول الاشتراكية (١) وحاولت "ضمان" نجاح هذه السياسة، اختارت الان العلاقات الائتمانية اتجاها رئيسيا لهجومها وائتمانات التصدير جزء لا ينفصل من التجارة الدولية المعاصرة. وتقديم قرض للجانب المستورد من اجل دفع جزء كبير او صغير من قيمة المشتريات يعتبر وسيلة ضرورية ومنتشرة جدا - لضمان تصريف البضائع . وهكذا، فان نسبة ائتمانات التصدير متوسطة الاجل وطويلته ضمن مدفوعات قيمة الماكينات والمعدات تبلغ ٨٠٪ - ٨٥٪ في السوق الرأسمالية العالمية. ويزداد دور الائتمان عادة مع ازدياد قيمة السلع المباعة. وهو كبير بشكل خاص في تجارة المعدات الكاملة، وهي ما تشتريه دول مجلس التعااض الاقتصادي بصورة رئيسية من البلدان الرأسمالية. ولهذا فمن الطبيعي ان تطوير الصلات الائتمانية كان الشرط للنمو السريع للتجارة بين البلدان

الاعتراف بعقم وتهيأت الحصار الائتماني للبلدان الاشتراكية وفي ظل العمليات المتأزمة المتعاطمة والهزات النقدية كان أسير اللاحق على هذا النهج يتجاوب بالدرجة الاولى مع مصالح المراكز الرأسمالية نفسها.

ورغم ذلك عازمت أكثر القوى الامبريالية عدوانية على بعث هذه الممارسة التمييزية القديمة وكنتيليل دعائي يجهدون في نفع موضوعه تزعم بان الدول الاشتراكية تنال "فوائد وحيدة الجانب" في علاقتها الائتمانية بالعام الرأسمالي

وفي الواقع، ان هذه العلاقات لا تجعل ابدا العالم البرجوازي في وضع بقرة حلب". وتطويع الصلات الائتمانية لا يمكن ان يكون من الناحية الاقتصادية الواسعة الا متبادل النفع. نعم، ان القروض تمكن البلدان الاشتراكية من زيادة حجم مشترياتهما من الاسواق الرأسمالية. ولكن هذه الزيادة تسفر، كقاعدة عامة، عن طلبات ضخمة للمكانات والمعدات والبضائع الاخرى وفي ظروف الركود الاقتصادية المتواصل تعني تلبية هذه الطلبات وسيلة هامة للابقاء على مقاييس الانتاج او حتى توسيعها الامر الذي ينطبق، مثلا، على المجموعتين الالمانيتين الغربيتين "مانيسمان" و"أى غ - تلفونكين"، والمجموعة الفرنسية "كريبزو - لوار"، والانكليزية "جون براون انجنيرينغ"، والاطالية "نوفو بينيوني" اليابانية "كوماتسو" وشركات اخرى.

تعترف الصحافة البرجوازية بأن "اسواق مجلس التعاوض الاقتصادي تساعد المصانع على ان تعمل. وهذا هام لا من الناحية الاقتصادية فحسب، بل من الناحية الاجتماعية ايضا. وحسب التقديرات الاجمالية، فان تلبية طلبات البلدان الاشتراكية تضمن في اوربا الغربية تشغيل ما لا يقل عن مليوني شخص

الختامي على هواه. والبيان نفسه يعطى مجالا كافيا لهذا التفسير وعلى اية حال فان الاوروبيين كما ترى "فرانكفورت الجيمانين سايتونغ". لسان حال اوساط الاعمال في المانيا الاتحادية، ولا يعتبرون تصريح فرساي شيئا يشطب صيغة "التجارة (مع البلدان الاشتراكية - المحرر) كالعادة؟

في ظروف تخفيف حدة التوتر الدولي لنا كثيرا حجم هذه التجارة فمثلا، نما التبادل التجارى بين الاتحاد السوفيتي والمانيا الاتحادية في عام ١٩٨١ مقارنة بعام ١٩٧٠ أكثر من ١١ مرة، وبينه وبين فرنسا ما يربو على ١٠ مرات، وبينه وبين ايطاليا ٧٤ مرة ومن المفهوم ان فرض الدول الرأسمالية مختلف اشكال العقوبات" والتقييدات الاقتصادية، بما في ذلك في مجال الائتمان قد يغير هذا الاتجاه ويؤدى الى تقليص الملات التجارية.

نحول الاوساط الامبريالية على ان يسبب الحصار الائتماني صعوبات اقتصادية في البلدان الاشتراكية يمكن ان تؤدى الى اوضاع متأزمة جديدة على "النمط البولندي". ومن المناسب ان نتذكر ان حصارا كهذا طبق سابقا. لقد طبق بحق الاتحاد السوفيتي على امتداد نصف قرن تقريبا، وطبق بحق البلدان الاشتراكية الاخرى في اوربا على مدى اكثر من عقدين. وهذا لم يمنعها من تنمية الاقتصاد الوطني بوتائر اعلى بكثير من وتائر الدول الرأسمالية، ومن حل اضم المهام الاجتماعية - الاقتصادية، وذلك على وجه الحصر بمواردها الداخلية والاستراكية.

ان قيام صلات سليمة نسبيا في ميدان الائتمان بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة منذ اواخر الستينات كان يعني

ولولا هذه الطلبات لكان مكانهم بين العاطلين عن العمل .

ليس مجرد مصالح استثمارية وتجارية بحث لعدد من الشركات ، بل المقصود عمليا نفس آفاق تزويد هذه البلدان بالطاقة .

لقد قلنا أعلاه ان مختلف "العقوبات" في التجارة الدولية لا يمكن الا ان تجعل الموقف العام في العالم يتردى - وانها لمحقة تلك الشخصيات الحكومية التي ترفض محاولات ادارة ريغان لجرحها الى حرب اقتصادية ضد الاشتراكية صرح الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران للصحفيين الامريكانيين "لن نقدم أى شكل من اشكال الحرب ضد الاتحاد السوفيتي . يجب ان تظهروا مزيدا من الحذر ازاء نهج كهذا ، فقد يؤدى الى حرب اذا كان الحظر الاقتصادي اول فعل فهو يهدد بحر فعل ثان وراءه (٣) . ويتمسك مستشار المانيا الاتحادية شमित بالرأى نفسه . صرح يقول "لن ننضم الى حرب تجارية على الاتحاد السوفيتي تهدد بان تصبح حربا باردة جديدة ونحن ، شأن شركائنا الاوربيين ، ننوى بحزم تنفيذ عقد الغاز السوفيتي (٤) .

ان محاولات الضغط الاقتصادي على الدول الاشتراكية انتهاك فظ لقواعد الحياة الدولية المتعارف عليها ولمبادئ ميثاق الامم المتحدة والوثيقة الختامية لمؤتمر الامن والتعاون في اوربا . فالاجراءات التمييزية ، التي تحد من التصدير الى البلدان الاشتراكية وتعزل بيع بضائع هذه البلدان في الاسواق الرأسمالية تزيد من تشويش الصلات الاقتصادية العالمية المعاصرة . وهذه الاعمال ، كما اشير في الدورة الاخيرة لمجلس التعاضد الاقتصادي (حزيران/يونيو عام ١٩٨٢) لن تحظى بالنجاح فبلدان مجلس التعاضد الاقتصادي ، اذا تعزز تلاحمها وتعاونها المتبادل وتطور الصلات بالدول الاخرى المعنية بتوطيد

واخيرا ، ترتبط ارتباطا كبيرا مسألة ائتمانات التصدير السهلة المكفولة من الدول بامكانية البلدان الاوروبية الغربية واليابان في ان تستورد موارد الطاقة ومختلف انواع الخدمات من بلدان مجلس التعاضد الاقتصادي على اساس طويل الاجل ومستقر . ومن السداجة ان نتوقع من الولايات المتحدة هنا ، كما فسي المجالات الاخرى من التجارة الدولية ، ان تتخذ "موقفا تحالفيا" فالكثير جدا من جوانب السياسة الاقتصادية لواشنطن يشهد على الاستخفاف بمصالح الحلفاء . واخر تأكيد لهذا هو الزيادة الشديدة ، رغم "روح فرساي" التي طبل لها ، لحواجز الحماية الجمركية في طريق تصدير الفولاذ الاوروبي الى الولايات المتحدة ليس التضامن العابر هو الذى يحدد العلاقات بين مراكز الاقتصاد الرأسمالي العالمي . بل المزاحمة الضارية والمصالح الخاصة ولهذا فمن الواضح ان واشنطن لا تنطلق من الاعتبارات الاقتصادية وحدها في محاولات تنظيم حصار ائتماني شامل لبلدان مجلس التعاضد الاقتصادي . بل يتجلى كذلك التطلع الى ايقاع الحلفاء المضامين واضعافهم وحرمانهم من الطلبات المفيدة من الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى وعرقلة اشتراكهم في تنفيذ مشاريع مثل خط الغاز سيبيريا - اوربا الغربية واستخراج الغاز من مكان الجرف القاري لجزيرة سخالين . وبالمناسبة فان اوساط الاعمال في البلدان الاوروبية الغربية واليابان تعرف هذا الاتجاه جيدا . ومن هنا امتعاضها من قرارا الولايات المتحدة المفرض بتمديد وتوسيع حظر تصدير معدات النفط والغاز الى الاتحاد السوفيتي . ورد الفعل هذا مفهوم ، ولا سيما ان المقصود

السلام والتعاون، تنوى بصلابة ضمان تطورها
الوائق المطرد (٥) .

ومن التأكيدات الملموسة لهذا العزم
القيام مؤخرا بتوقيع اتفاقية سوفيتية -
تشيكوسلوفاكية يسرى مفعولها حتى عام ٢٠٠٨ -
حول نقل الغاز الطبيعي السوفيتي عبر أراضي
تشيكوسلوفاكيا الى البلدان الاوروبية الغربية
(٦) وان تشيكوسلوفاكيا، كما نوهت هيئة
رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي
التشيكوسلوفاكي وحكومة تشيكوسلوفاكيا، ترفض
مع حلفائها رفضا قاطعا اجراءات التمييز
وتدخل الاوساط الامبريالية للولايات المتحدة
وبعض دول حلف شمالي الاطلسي في الشؤون
الداخلية لبلدان الاشتراكية .

ان لدى المنظومة الاشتراكية قوة اقتصادية
كافية لمقاومة تحركات الامبريالية . ومن شأن
خط واشنطن لقطع الصلات الاقتصادية
المبادلة النفع ان يزيد فقط من تناقضات

الهوامش

وصعوبات الاقتصاد الرأسمالي .
والذين يحاولون تحويل التجارة العالمية
بما في ذلك السياسة الائتمانية، الى اداة
للابتزاز السياسي يغامرون بان يكونوا انفسهم
الخاسرين .

ان البلدان الاشتراكية مفعمة عزما على
توطيد استقلالها التقني - الاقتصادي على
اساس التعاون والتلاحم المتبادلين . وليس
المقصود خلال ذلك تلاحما يؤدي الى العزلة
عن الاقتصاد العالمي وتشديد المجابهة
المقصود تلاحم يضمن علاقات وطيدة ومتكافئة
ردا على محاولات انتهاج سياسة التمييز
والاملاء التي تتجلى في نهج "الحصار الائتماني"
كذلك . والتمتع المطرد لهذا التعاون سوف
يساعد في المستقبل ايضا شعوب البلدان
الاشتراكية على ان تحل بنجاح المهام
الاجتماعية - الاقتصادية التي تواجهها
وعلى ان تعزز الانفراج الدولي وقضية السلام
والتقدم الاجتماعي .

(١) من بين الخطوات الاخيرة في هذا المضمار اتخاذ مجلس الامن القومي
في الولايات المتحدة قرارا في ١٨ حزيران (يونيو) من هذه السنة
بتمديد وتوسيع الحظر الذي فرض في اواخر عام ١٩٨١ على تصدير
معدات استخراج ونقل النفط والغاز الى الاتحاد السوفيتي . واذا كان
هذا الحظر يشمل في السابق منتجات الشركات الامريكية فقط، فقد
اصح بهذا القرار يشمل ايضا منتجات فروع شركات الولايات المتحدة
في الخارج، وكذلك الشركات الاجنبية التي تنتج معدات مماثلة
ستراخيص امريكية .

(٢) الاستشهاد من "لوموند" ، ٩ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ .

(٣) "انترنيشنال هيرالد تريبيون" ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ .

(٤) "لوموند" ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ .

(٥) "رودي برافو" ١١ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ .

(٦) المصدر السابق

عن "مجلة قضايا السلم والاشتراكية"

الحق في الراحة في ظروف النظامين الاجتماعيين المعارضين

في ظروف الثورة العلمية - التقنية تتنامى شدة العمل ويزداد الارهاق العصبي والنفسي ، وتتسع كذلك دائرة الحاجات الاجتماعية والثقافية للشغيلة ، ان هذه الظروف تزيد من الحاجة الى الراحة الكاملة ، كيف يطبق الحق في الراحة في ظروف النظامين الاجتماعيين المتعارضين ؟ ذلك هو موضوع المسح الاعلامي المنشور ادناه الذي اعدته لجنة قضايا الاعلام العلمي والتوثيق في مجلة قضايا السلم والاشتراكية

الاجتماعي واشكال وطرق تنظيم الراحة وتوفرها للجماهير الواسعة وينبغي ان يؤخذ بالاعتبار ايضا التمايز في الوضع الاجتماعي - الاقتصادي لشريحة مختلف الدول في العالم غير الاشتراكي. فاذا كان، على سبيل المثال، حوالي ٤٠٪ من سكان البلدان النامية في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية لا يتمتعون بإمكانية تلبية ابسط الحاجات الحيوية، فان الطبقة العاملة في الدول الرأسمالية المتطورة قد حققت بفضل نقالها العنيد مستوى معيناً من

يتعلق الحق في الراحة عادة بمجموعة من المؤشرات المختلفة، بما فيها حدود اسبوع العمل، وجود ومدة الاجازات السنوية، تطور شبكة المؤسسات الصحية والثقافية والرياضية وغيرها. ولكن لدى تقييم واقع هذا الحق في ظروف النظامين الاجتماعيين المتعارضين، من الخطأ الانطلاق من المقارنات الكمية الصرف فلا بد ان نأخذ بالحسبان ايضا تلك العوامل كالتشغيل وظروف العمل ودرجة الضمانات الاجتماعية ومستوى الضمان



اول اعلان لحقوق الطفل في العالم اعلنته ثورة أكتوبر

اسبوع العمل كمؤشر لحق جميع الشغيلة
في الراحة. اما في ظروف البطالة المتزايدة

في البلدان الرأسمالية الصناعية فان مدة
اسبوع العمل القصيرة نسبيا ترتبط بالدرجة
الاولى بقضية الحفاظ على فرض العمل عن
طريق تقليص فترة عمل العاملين

ومن جهة اخرى. فان المعدلات المنصوص
عليها لاسبوع العمل بالنسبة للعاملين في ظل
الرأسمالية لا تعنى ابدا حدود عملهم فوفقا
لمعطيات عام ١٩٨٠. اشتغل ٢٨٨٪ من عمال
بريطانيا اكثر من ٤٥ ساعة في الاسبوع. ،
واشتغل المدة نفسها ٢٥٪ من عمال فرنسا
و١٣٪ من عمال ايطاليا وفي الولايات
المتحدة الامريكية يعمل ٢٣ مليون انسانا
فترة تفوق المعدلات القانونية. حيث يعمل ٧
ملايين انسان مدة تتراوح بين ٤٩ و ٥٩ ساعة
في الاسبوع. و ٦ ملايين يعملون اكثر من ٦٠
ساعة في الاسبوع. وقد اظهر
استفتاء لكثر من ٤٠ ألف عامل ومستخدم
في هذا البلد. ان ١٦٪ فقط منهم يملكون
الحق الكامل برفض العمل الاضافي وهكذا
بالرغم من التقليل الشكلي لاسبوع العمل فان
مدته الفعلية بالنسبة لعدد كبير من شغيلة
البلدان الرأسمالية ما زالت تتوقف على تصرف
ارباب العمل اللاهثين وراء الارباح .

يجوز العمل الاضافي في البلدان الاشتراكية
ايضا وانما في حالات استثنائية تنص عليها
قوانين العمل. بموافقة النقابات وفي حدود
دقيقة وفي معظم هذه البلدان يمنع التشغيل
الاضافي لمن هم دون سن الثامنة عشرة
والدارسين دون انقطاع عن الانتاج وامهات
الاطفال صغار السن والعاملين ذوي القدرة
المنخفضة

التقدم الاجتماعي وبالمقارنة مع هذه البلدان
بالذات يتناول المسح منجزات الاشتراكية في
ميدان تامين الحق في الراحة

حدود اسبوع العمل

في العقد الاخير تمكن شغيلة عدد من
البلدان الرأسمالية المتطورة من تحقيق
تقليص ملحوظ في مدة اسبوع العمل ففي
جمهورية المانيا الاتحادية تبلغ مدة اسبوع
العمل لجميع العاملين باجر تقريبا ٤٠ ساعة
كما تبلغ ٣٩٧ ساعة في المتوسط في الولايات
المتحدة. وفي عام ١٩٨٢ اصدرت الحكومة
الفرنسية قانونا يقضي بتقليص اسبوع العمل
الى ٣٩ ساعة

وفي الاعوام الاخيرة تقلصت بنسبة كبيرة
مدة اسبوع العمل في الدول الاشتراكية فهي
تبلغ في الاتحاد السوفيتي ٣٩٤ ساعة في
المتوسط. وفي المجر ٤٢ ساعة. وفي
تشيكوسلوفاكيا ٤٠ ساعة للعاملين في ثلاث
نوبات و ٤٢ ساعة للآخرين. وفي جمهورية
المانيا الديمقراطية تبلغ مدة اسبوع العمل
ل ١٦٪ من العاملين يوم عمل كامل ٤٠ ساعة.
و ٤٢ ساعة ل ٧٪ و ٤٣٧٥ ساعة ل ٧٧٪
من العاملين .

وكما نرى. فان المقارنة الحسابية الصرف
في مدة اسبوع العمل ليست في كل مكان في
صالح الاشتراكية حتى الان ولكن هل تعكس
هذه المقارنة الواقع بصورة فعلية؟ فلنقارن .
مثلا . بين مدة اسبوع العمل ومستوى تشغيل
السكان القادرين على العمل في ظروف
التشغيل التام في ظل الاشتراكية تبرز مدة



وفي البلدان الاشتراكية يحصل جميع العمال والمستخدمين بدون استثناء على اجازات سنوية مع الحفاظ على مكان العمل ومتوسط الاجر. وفي المجر يتمتع قسم هام من الشغيلة بحق الحصول على اجازة مدتها ٥ اسابيع، ويبلغ متوسط مدة الاجازة للعاملين البالغين في الاتحاد السوفيتي ٢١٦ يوم عمل (يمنح من هم دون الثامنة عشر اجازة لمدة شهر). ولا تقل اجازة شغيلة المانيا الديمقراطية عن ثلاثة اسابيع ونصف ومن المهم الاشارة الي انه اضافة الى الاجازات الدورية تستخدم على نطاق واسع في البلدان الاشتراكية الاجازات الاضافية. ففي بلغاريا على سبيل المثال، يمنح العاملون في الانتاج الضار اجازة اضافية تصل الى ٢٢ يوم عمل، والمتفوقون في العمل - اجازات مدتها من ٣ الى ١٢ يوما الخ. وفي المجر يرتاح العاملون في اماكن مضرّة مدة اضافية تصل الى ٢٤ يوم عمل وطلبيعيو الانتاج - ١٢ يوما.

ولكن الى اي حد يستفيد الشغيلة في البلدان الرأسمالية من الاجازات التي يفترض حصولهم عليها؟ اكد المؤتمر الاخير للحزب الشيوعي الفرنسي ان نصف العمال والمستخدمين الفرنسيين لا يستفيدون عموما من هذا الحق. وفي اليابان يستفيد ٢٪ فحسب من العاملين من حق الاجازة كاملا، و ٤٢٪ من نصفه فقط. والسبب الاساسي هو الخوف من فقدان مكان العمل. اضاف الى ذلك ان الكثيرين عاجزين لاسباب مادية عن ارتداد اماكن الراحة. فالاقامة لمدة ٢١ يوما في منتجع تكلف العامل الايطالي المتوسط ما يقارب راتب شهرين كاملين.

اما في ظل الاشتراكية فان المجتمع يأخذ على عاتقه الجزء الاساسي من نفقات الاجازة ففي تشيكوسلوفاكيا يدفع العامل لقاء اقامته في بيت للراحة ما يقارب ١٠٪ في المتوسط من

بعض حالات العمل الاضافي في نهاية الشهر او الفصل او السنة فانها تعتبر ظواهر لا تتفق مع نظم العمل والراحة في المجتمع الاشتراكي وتأخذ الدولة اجراءات ملموسة لازالة هذه الظواهر.

ومما له دلالة ان تقليص اسبوع العمل الذي انتزع في المعارك الطبقيّة لم يأخذ في معظم البلدان الرأسمالية صفة قانونية. فقانون العمل في المانيا الاتحادية ما زال ينص على اسبوع عمل من ٤٨ ساعة، وفي بريطانيا حدد اسبوع العمل ٤٨ ساعة للقاصرين والنساء. فحسب، وفي سويسرا يبلغ اسبوع العمل وفقا للقانون الاتحادي ٤٦ ساعة، وفي بلجيكا - ٤٤ ساعة الخ. وعلى العكس من ذلك، في معظم البلدان الاشتراكية يقترب الحد الاقصى لاسبوع العمل المضمون قانونيا من المعدلات الفائقة وهو، عادة ادنى مما هو عليه في البلدان الرأسمالية. ويساوى في الاتحاد السوفيتي، مثلاً، ٤١ ساعة. علما بان الحد الأقصى لاسبوع العمل للعمال والمستخدمين الذين هم دون سن الثامنة عشرة يبلغ ٣٦ ساعة (الحد الأدنى ٣٤ ساعة)، وهو لا يزيد على ٣٦ ساعة للعاملين في ظروف عمل ضاره (٣٠ ساعة لعمال المناجم).

نظام الاجازات السنوية

تعتبر زيادة الاجازات مدفوعة الاجر في عالم رأس المال شرا اقل ضررا من تقليص اسبوع العمل، لان الخسائر في الحالة الاولى ادنى عادة. وقد مكن هذا الامر شغيلة عدد من البلدان من الحصول على اجازات طويلة نسبيا. ففي فرنسا، مثلاً يتمتع الكثير من العمال باسبوع اجازة خاص، وفي المانيا الاتحادية يحصل ٢٥٪ من العاملين بأجر على اجازة مدتها ١٦ اسابيع واكثر (١).

انتخابات ٣٣ جمعية رياضية طوعية. ويمضي أكثر من ٥٠ مليون شغيل سوفيتي وافراد اسرهم سنويا اجازاتهم واوقات راحتهم في نظام الراحة المنظمة. ويستفيد ١٧٠ مليون انسان من امكانية الاشتراك في رحلات منظمة.

وفي تشيكوسلوفاكيا يملك المجلس المركزي للانتخابات ١٠٠ بيت للراحة، وتملك اللجان النقابية المحلية والتابعة للمصانع ٨٥ ألف مكان مخصص للراحة ويمضي ٣٥ مليون انسان سنويا اجازاتهم في هذا النظام.

وتوظف مبالغ كبيرة سنويا لتطوير شبكة المؤسسات الثقافية والرياضية والراحة في المجر، وفي عام ١٩٨١ فضل مليون و ٢٢٠ ألف شغيل مجرى قضاء فترات راحتهم في المصحات والبانسيونات التابعة للانتخابات والمصانع، علما بان ثلثهم حصل على قسائم الراحة بحسم على حساب الانتخابات.

وفي جمهورية المانيا الديمقراطية قدمت في عام ١٩٨٠ حوالي ١٨ مليون قسيمة للراحة عبر نظام الراحة المنظمة نقابيا، وحصل العمال والمستخدمون وافراد اسرهم على ٢٨ مليون قسيمة للراحة في بيوت الراحة والبانسيونات التابعة للمصانع أو المستاجرة من قبل المؤسسات.

فما الذي يمكن ان تقدمه الرأسمالية في مقابل ذلك؟ ان نظام العلاقات الانتاجية الرأسمالي يتناقض من حيث المبدأ مع التلبية الجماعية لحاجات الشغيلة في الراحة الكاملة لان التناقض في هذا الميدان هي بالنسبة للطبقات الحاكمة - تكاليف غير منتجة تقلص حجم فائض القيمة. ومن هنا النقص الحاد في مؤسسات الراحة الجماعية والمؤسسات الثقافية والتربوية والمباني الرياضية للشغيلة وقد اظهر بحث اجري في اليابان ان المؤسسات القائمة هناك لا تلبى الا خمس الحد الأدنى المطلوب.

اجرتة الشهرية أي ربع قيمتها الفعلية. ويدفع العامل المجرى ٣٠٪ فقط والعامل الالماني الديمقراطي ٣٢٪، وعلما بان الاطفال الذين هم دون السادسة عشر لا يدفعون أكثر من ٣٠ ماركا (اجرة أربع ساعات عمل يتلقاها العامل الصناعي وفي الاتحاد السوفيتي تبلغ قيمة الإقامة في مصح تابع للانتخابات لمدة ٢٤ يوما ١٢١ روبلا (متوسط الاجرة الشهرية يعادل ١٧٢ روبلا)، بيد ان خمس قسائم الإقامة تدفع كاملة، ويقدم الخمس مجانا، اما ما تبقى فيباع بحسم يعادل ٧٠٪ من قيمة الإقامة التي تدفعها الانتخابات. ويقدم عشر قسائم الإقامة في البانسيونات وبيوت الراحة بصورة مجانية. وتباع بشروط تفضيلية الاذونات العائلية (٢ ل - ٤ اشخاص). فعلى سبيل المثال تكلف اقامة ١٢ يوما في بيت الراحة لاسرة مؤلفة من ٤ اشخاص ما بين ٣٠ و ٥٠ روبلا، أي روبلا واحدا للفرد في اليوم وتبلغ قيمة الإقامة لمدة ١٢ يوما في بيت للراحة تابع للمصنع ٧ روبلات و ٢٢ روبلا لمدة ١٦ يوما في بانسيون.

تنظيم الراحة ومحتواها

خلافا للمجتمع الرأسمالي الذي يمنح الشغل "الحرية الكاملة في الاهتمام بكيفية استعادة قواه وصحته وتأمين الاموال اللازمة لذلك، فان الاشتراكية تلقي على الدولة مسؤولية كبرى في تنظيم الراحة وتلعب دورا هاما في هذا المجال الانتخابات التي تشرف، عادة في البلدان الاشتراكية على ميزانية الدولة للضمان الاجتماعي.

فالانتخابات السوفيتية مثلا، تملك أكثر من ٩٤ مصحاً وبانسيونيا وبيتا للراحة وفندقاً، وأكثر من ٢٢ مستوصف وقائي و ٢٢ ألف نادى وموسسة ثقافية، وتعمل بأشراف



التشيكوسلوفاكية، التي تتفوق من حيث عددها على المسارح في النمسا وسويسرا بحوالي ثلاث مرات والمسارح في ألمانيا الاتحادية بمرتين، تستقبل ١٠ ملايين مشاهدا سنويا. ويذهب المواطن البلغاري الى دار السينما مرة واحدة في الشهر في المتوسط. ولا تتحقق مثل هذه المبيعات حتى في البلدان الرأسمالية ذات التقاليد الثقافية العريقة كإيطاليا (١٠ مرات في السنة) أو إسبانيا (٧ مرات في العام). وتبلغ بطاقة الدخول لدار السينما في الاتحاد السوفيتي ٥٠ كوبيك في المتوسط، أما في بريطانيا فقيمتها جنيهاً استرلينياً (أو حوالي ثلاثة روبلات سوفيتية) وحول توفر الراحة الثقافية غنية المحتوى في ظروف النظامين يمكن ان نحكم من خلال الأرقام التالية: يصرف في أغنى بلد رأسمالي - الولايات المتحدة الأمريكية - على الحاجات الثقافية ١٨ دولاراً للفرد الواحد سنوياً، وفي الاتحاد السوفياتي - ١٤ روبلاً .

x x x

ان الحق في الراحة هو مؤثر هام على الوضع الاجتماعي - الاقتصادي للشغيلة . ويؤكد تقييم واقع هذا الحق على ان الاهتمام الفعلي بانسان العمل لا تؤمنه الا الاشتراكية - المجتمع المتحرر من الرق من وراء النقود ومن الاستغلال .

ان "صناعة الراحة" القائمة في بلدان رأس المال تخضع تماماً لمصالح ارباب العمل فلنأخذ على سبيل المثال الرحلات الترفيهية في عربات السكة الحديد عبر أراضي الولايات المتحدة، التي تقترحها شركة "أمريكا اكسپريس" على اصحاب الاجازات اذ تبلغ قيمتها ٢٢٩٥ دولار للفرد وهاكم مثلاً آخر اتخذت حكومة المحافظين في بريطانيا قراراً بتسليم جميع الآثار الوطنية في البلاد الى ارباب العمل للاستفادة منها بهدف جني الارباح وثمة حقيقة أخرى لها دلالة بالغة، مفادها ان على المرحاحين في المنتجعات في بلدان الرأسمالية دفع ايجارات استخدام الملاعب والادوات الرياضية، في حين انها تستخدم في البلدان الاشتراكية بصورة مجانية . وبالطبع فان مفهوم الراحة لا يقتصر على النشاطات الصحية أو السياحية بل ينبغي ان يستكمل بالراحة المفيدة الغنية روحياً، التي تضع ثروات وقيم الثقافة البشرية في متناول الجميع فما هي مبيعات الاستهلاك الثقافي في ظروف النظامين الاجتماعيين المتعارضين؟ تبين الاستفتاءات ان ٥٨٪ من قراء المؤلفات الأدبية في الاتحاد السوفيتي هم من القراء الدائمين، في حين ان القراء الدائمين في بلدان أوروبا الغربية الكبرى لا يشكلون الا ١٣٪ من جمهور القراء . وتستقبل المسارح

(١) وفي مقابل ذلك لا يوجد في الولايات المتحدة قانوناً يلزم ارباب العمل بمنح الاجازة للعاملين لديهم ولا يحصل العامل الأمريكي على اجازة مدفوعة الاجر الا اذا كان عضواً في نقابة او اذا نص على ذلك عقد العمل بين النقابات وارباب العمل ولكن هذه العقود لا تشمل سوى حوالي ربع العمال الأمريكيين . ويبلغ متوسط مدة الاجازة في الولايات المتحدة، للذين يحصلون عليها ١٩ اسبوعاً (٥ ايام للعاملين لدى رب العمل فترة لا تقل عن عام، واسبوعين لمن يعمل منذ ما لا يقل عن خمسة اعوام، وثلاثة اسابيع لمن يعمل منذ ما يقل عن ١٥ عاماً) . ولا تبرز قضية "الاجازة"، بالطبع، امام ١٠.٣ ملايين عاطل عن العمل .

الإبداع الشعري الجديد .. الى أين ؟

أزمة شكل

أم

أزمة تواصل ؟

تفريق قضية الغموض في الشعر الحديث حوارا متعدد الجوانب بين المثقفين أنفسهم ويتباين في ذلك الآراء . وفي الاستطلاع التالي ، والذي نشره نقلا عن حريدة "الاهالي" المصرية ، تكريس لذلك ومحاولات متعددة لتفسير الغموض في الشعر .

وإذ تنشر الكاتب هذا الاستطلاع ، لتأمل ان يفتح المجال لمناقشة قضية الغموض والرمز في الشعر بشكل عام ومدى توفيق الشاعر - محليا - في التعامل مع الرمز . مع تأكيدنا المسبق التمييز بين الغموض والابهام والرمز .

في ظل مناخ اختلف فيه المجالات الادبية والثقافية وتوارت فيه حركة النقد الادبي سلك الإبداع الشعري الجديد طرقا جديدة انارت العديد من الاسئلة وعلاوات الاستفهام .. فقد انذر المبدعون الجدد انفسهم الى انفسهم منابرهم والى نشر ابداعاتهم بطرقهم ووسائلهم الخاصة .. كما نادوا أيضا - في ظل غياب حركة النقد - الى محاولة تفسير انماهم ووك ودواهم وقد أعادت هذه الابداعات وتفسيراتها طرح الاسئلة حول العلاقة بين جبهات الشعر وهموم الناس وحركة المجتمع وكذلك حول ما أحاط هذا الشعر من غموض . وتثير هذه التساؤلات نفسها السؤال حول الطريق الذي ينبغي ان يسلكه الشعر المعاصر وهل يخلق الشعر الجديد أزمته الخاصة أم يسعى للخروج من الازمة ولذلك ولد التساؤل: الإبداع الشعري الجديد أين ؟ وبينا سنناقش الشعراء الذين تعاونا معهم على مجمل القضايا المطروحة فانهم يختلفون في تفسيرها .

تحقيق :

محمد فرج

رفعت سلام : الشعراء يمانون نفس الهوم العامة

أحمد طه : أسمى لاكتشاف طريق الثورة الشعرية الأصيلة

أحمد ريان : الصراع بأن الشعر غامض .. هروب

عزت عامر : الغموض ناجح عن ضعف مستوى الشعر

يقول الشاعر رفعت سلام :

أحد مؤسسي مجلة «إضاءة» ٧٧
الشعرية ، ويصدر حالياً مجلة
«كباب» ، التي صدر منها حتى الآن
مائة أعداد ، وهو ينشر قصائده -
منذ ١٩٧٦ - في عدد من المجلات
العربية والعربية وله عدد من الدراسات
في قضايا الثقافة العربية المنشورة
في بعض المجلات العربية ، وله تحت
الضلع «ديوان» و«ورد» الفوسفي
والجينة .

ليس هناك تناقض بين الرقي
الإنساني والهوم العامة للمجتمع
بل أن صياغة العلاقة بينهما صياغة
صعبة ، ربما تكون هي المهمة
الكبرى للشاعر ، على نحو يتوقف
عليها النجاح الحقيقي - فأنرقه
الإنساني هو أحد الهوم «الخاصة»
للشعراء عموماً ، وليس للشعر
فقط ، والذي يتحملون جميعاً
مسؤولية المعنى التاريخي . وهذا
الهم «الخاص» لا يعني تجاوز الهم
«العامة» ، فهم - والحديث لا يمتد
مستقيماً بعبور هذا الشكليات - لا
يؤمنون أنفسهم ، يمانون نفس وطأة
الهوم العامة التي تنقل على الجميع .
الرسول في النهاية ومن بالقدرة على
الها - أما عن الصياغة الصحيحة
الجديدة فيضيق الغموض في القصيدة
ليس هناك عامل وحيد وراء ذلك
أولاً ، بل العديد من العوامل ، من
تأثير تخريب وسائل الإعلام للشعارة
والزحف الفني ، بما تقدمه من أعمال

مبتذلة ، هابطة ، مسطحة ، ومن
منها «حصار الأعمال وترسيخ
مفاهيم متخلفة للعلاقة بين القارئ
والقصيدة» كما أن من بينها ما يرتد
إلى الشاعر نفسه ، سواء في نزعة
الشكليات ، أو في تخطئه في بناء
القصيدة ، أو في عدم اكتمال نصحه
الفني . ولكن لا بد من الحذر من
التركيز على مسئولية الشاعر - وهذه
«عن الغموض» لأن ذلك يعني
الخلود إلى نوع من الكسل العقلي
والفريح ، أما من سؤال الإبداع
الشعري الجديد إلى أين ؟ فيجيب
الشاعر رفعت سلام قائلاً : لا يمكن
التنبؤ بمسارات القصيدة المستقبلية
فالقصيدة الرامنة لا تزال في طور
التكوين ، وما تم هو افتتاحية
ها متشابكة الظلال ، وليس العمل
الإنساني . ولكننا نستطيع أن نلاحظ
أن الهوم الميتافيزيقية تراجعت في
القصيدة إلى مكانة خلفية تماماً ،
فتبرز - بوضوح نسبي عام - الهوم
الإنسانية التاريخية ، كما تأخذ
القصيدة في تجاوز ما استقر منذ
الخمسينيات من كليات بناء الصورة
الشعرية ، والرمز ، ولبناء العام
للقصيدة ، إلى قصيدة أخرى جديدة
صعبة وأعدة حقاً بالكثير .

أما الشاعر أحمد طه :

«أحد مؤسسي جماعة «أصوات»
الشعرية ، نشر قصائده في بعض
المجلات المصرية والعربية منذ أواخر
الخمسينيات ، أصدر ديوانه الأول
«وأنا أسرى إليها» عن سلسلة

كتاب «أصوات» يرى أن المشكلة
ليست فيما يطرح من أسئلة تبحث
في مدى العلاقة بين الشعر وحركة
الاجتماع ، بل في نظرة العموم إلى
الشعر كمن يجمعه الكثيرون ، ذنب
يوسف الجديد ، الذي يتحمل وزر
فهمه السطحي للأنبياء ، بداية
بالشعر وانتهاء بحركة الاجتماع الذي
يعيشونه ، فالشعر هو الفن الذي
يتميز بحليته التي لا يمكن تزييفها
وهو بالتالي أكثر الفنون تميراً عن
هوم مجتمعه وزمنه . ولذلك فإن
جماليات الشعر جزء لا يتجزأ من
الاجتماع ومن العصر ، ومن الاستيعاب
أن نزل القصيدة - الخالية من
العيوب - عن عصرها أو مجتمعها .
ويرى أحمد طه أن هناك بلا شك
أزمة شعرية ، وهي دليل آخر على
اوتباط الشعر بالاجتماع - فهي أيضاً
- كما يقول - مواكبة للأزمة التي
يعيشها المجتمع - ولكنها ليست - أنها
أزمة نمو أو أزمة احتضار ، أنها
نضجة لوقوف هذا الجيل بأكمله من
على ما حدث - سواء على أرضية
الشعر أو السياسة ، وهي أيضاً
نتيجة لفربة كاملة يقوم بها هذا
الجيل تجاه كل ما كتب تحت راية
الشعر الحديث في محاولة جادة
باحتاج التجديد الجذري لا الشكل .
إن شغلنا الأكبر هو البحث عن
المدخل الحقيقي للحداثة وليس التمرد
على القديم شأن الأجيال التي سبقتنا .
لذلك نحن نقوم بجهد لإعادة تقييم
«أزمة» كلاسكية شعراء التفعيلة ،



عبد المصطفى الكريّم

الشعر الذكي الذي طبع التعامل مع مدلوله شئ آخر

هذا هو الغموض فأعلاه به ... وإن كانت التسمية عنا حادثة . أما ان كنت تقصد بالغموض تعمد الإيحاء وادعاء لغزوات زائفة بهلوانية في حساب الصنق الفني فسأكون أول من يقف إلى جوارك لصد هذا الغموض . لقد لاحظت طوال السنين العشر الماضية أن كل من يريد الحرب من مواجهة نص شعري وإن يصرح بأن هذا النص غامض وأنه غير موافق على الغموض في الشعر الحديث . الفكر يحلل . ولكن الشاعر يرك والتعامل مع الفن والاستمتاع في الشعر يحتاج إلى ذرية جمالية وثق في تفهم قانون الظاهرة الشعرية بدلا من الصراع بين ذلك الشعر غامض .

ويرى الشاعر عزت عامر أحد مؤسسي جمعية كتاب الفن - نشر قصائده في جريدة المساء ومجلة « جازي » ٦٨ ، أصدر ديوانه الأول « مثلث في الحدائق الطاغورية » عام ١٩٧١ وديوانه الثاني « الحجب الصغير » عام ١٩٨١ المسألة من زاوية معاصرة تقريبا . حيث أن الشعر كصنعة مكتشف عن أصبق الانفصالات كما يقول - هو وقوف في صف الحقيقة وأبرز لها ، وهو وقوف في صف الحياة ، فهو يمسك بالناموس الحية التي تناضل في صراعها ضد كل ماضٍ ميت ، لترسم صورة المستقبل الانساني حقا ، انه كشكل يستخلص لغة لها تاريخ النفس ، وموسيقى با إيقاع الحياة والشعر كعضان (مكتشف) هو انعكاس نوعي أكثر توقرا ، أكثر بكارا ، بما يولد دوما - ومهم الطبقات الفقيرة هي المنطقة الانفصال التي يتصارع فيها الكتب والفقر

ويمانيها ، ثم يضع ذلك الموقف بأداته الجمالية ، ويقول : أن جماهيرنا المريضة متخلفة وغير قادرة على أن تمي طرفها فما بالنا بالفن وهو الذي يمثل طبيعته مستوى أكثر تعقيدا وتركيبا ، والشاعر الطليعي قدّمه في ظروف واقعا إلا يلتقي بقصديته مع الناس البسطاء إلا من خلال طبيعتهم المثقفة ، والشاعر الطليعي الآن يربى الذوق الجمالي لتلك الطليعية المثقفة . وهذا هو دورنا المحدد الآن . أن جماهير البسطاء المريضة تفتى وراء غمضها الشعبي التلقائي ولا تستطيع أن تتجاوب فنيا حتى مع قصائد أحمد فؤاد نجم ، والشاعر المثقف الذي يدعي أنه جماهيري كاذب . أن الشاعر الجماهيري بالمعنى الموضوعي للكلمة هو الشاعر الذي يصنع هموم شعبية بأرقى صياغة تمثلكها قدراته الخلاقة .

ويجدد أسجد ريان للشعر الجديد معركتين أساسيتين عليه أن يخوضهما بجواره الحركة الأولى ضد التخلف بشكل عام ، ذلك التخلف الاجتماعي الذي يتجسد في ساحة الشعر تمثلا في المفاهيم العتيقة البالية التي رسختها الرجوازية حصول الفن والشعر ، تلك المفاهيم التي يتشربها التلميذ في المدرسة والطلاب في الجامعة والتي تصبغها الصحف ومختلف وسائل الإعلام كل يوم في أدسة البشر مكسدة للثقافة السياسي أو لترسيخ المعاني المريضة والذوات المتوردة . والحركة الثانية : هي تلك التي يخوضها مع قصائد قد يتفق معها دماغا مع مضمون ماقوله من أفكار جاهزة ، ولكنه يخلف مميا عندما تقتصر على تلك الأفكار والمضامين ولا تخطو لخدمة الفن قيد أدلة معتبرة أن العناية بجذبات الشعر ضرب من التعالى على الواقع ، وهي تقصص بذلك بأداء ذي بدء عن فقدانها إمكانات العمل من خلال الشكل ولا يصبح لها الحق في أن تدعى أي انتماء له .

وأجدد ريان أكثر وضوحا في التعامل مع ظاهرة الغموض ويتساءل : ما معنى الغموض هذا ؟ هل هو وصف لتجربة الشاعر التي ينبغي أن تكون أكثر تركيبا بحكم طبيعة المد الظاهرة - ظاهرة الفن - أن كان

إلى محاولة التعرف على طريق الثورة الشعرية الإصيلة لتترك بعد ذلك للأجيال القادمة مهنة تاصيل ماسنحاول الوصول إليه . ويؤثر الشاعر أحمد طه التعامل مع مقولة الغموض والاستئلة التي تدور حول غموض القصيدة الجديدة قائلا أن صفة الاستئلة قديمة بمر الشعر العربي ، ويرى أنها - أي الاستئلة - تخفى داخلها مفهوما للشعر يتعلق بالناقد لا بالأبداع ، فهناك نموذج قديم وعظيم يجب اتباعه دائما . وقد يكون لاستفحال هذه المشكلة - مشكلة الاستئلة وليست مشكلة الغموض - في عصرنا جانبها التاريخي بعد أن ملا الساحة جيل كامل من الكتاب والشعراء والفنانين يقفون في منتصف المسافة بين الفن والسياسة ويقومون بصياغة المفاهيم التي يطرحتها الزعماء السياسيون شعرا أو نظما يسهل فهمه واستفحال « فائدته » ليتسنى لعامة الجمهور استيعاب ما عجز الزعماء السياسيون عن توسيله . أن هذه التساؤلات ستراجع حتما إلى الخلف بعد أن اكتشف ريق عدم المرحلة بكاملها . ويرى الشاعر أحمد طه أن قيسة الشعر تحدها منظومة العلاقات الخاصة الداخلية والمستترة ، تلك التي ينالها التصور لا الحواس ، والتي لا ينشأ التحليل بقدر ما يستخرجها ويشير إليها . ولذلك لا جسدي من الحديث عن بساطة التعبير أو تعقده ولا بالتواصل مع الجمهور أو مفادته ، ويمكننا في هذا المجال تذكر كلمة ماركس : أن الانسان لكي يتقن الفن لا يكفي أن تكون له ثقافة عامة ، وإنما يجب أن تكون له ثقافة فنية .

وينظر الشاعر أسجد ريان : « أحد مؤسسي مجلة دراسة ٧٧ ، ومجلة « رباب » ، نشر قصائده في عدد من المجلات المصرية والعربية صدر ديوانه الأول « أغنيات حب للأرض عام ١٩٧٣ ، وديوانه الثاني « الخضراء عام ١٩٧٨ » للسلالة من زاوية أخرى ، فهو يرى أن الشعر الناصح هو الشعر الذي تعلم عبر معاناة الجماهير المريضة ولكنه يقدمه فنييا ويربهم جماليا ، والشاعر يتخذ موقفا تجاه كل القضايا التي يعتدب من الآخرون من وطنها

مع جودة الشعر أو رداءته ، ويقول :
 وإن كانت مسحة من الفوضى تعني
 سجراً محبباً للقصيدة .. ثم يستدرك
 قائلاً أن الأيضال في التمثيل أو
 الفوضى قد يفسد أي عمل فني .

٢ - أما الثقافة والشاعر فيصعد
 القديم حين
 شارك في تأسيس وإصدار مجلة
 الشرقية التي أصدرها أدباء الغربية
 عام ١٩٧٥ ونشرت قصائده وقصته
 في بعض المجلات العربية والمصرية ،
 وله دراسات نقدية عن الشاعر صلاح
 محزون والقاصي يحيى الطاهر عبد الله
 بمجلة فصول ، لم يصعد له كتاب
 حتى الآن

فيرفض وجود أي تعاضد في العلاقة
 بين الإبداع الشعري كمثل جمال
 وصوم الناس وحركة المجتمع ، بل
 يرى أنها علاقة حبيسة جملتها بوضع
 ذلك بقوله : إنك لكي توصل هناك
 للناس لابد وأن تعبر عنه بقمص جالبي
 لأنك في الحقيقة تهمد البنية التقليدية
 في الواقع ، وهي بنية قبيحة شديدة
 الفجح والفساد لكي تقيم مكانها بنية
 جديدة شديدة الجمال والليل ، وقبحة
 الشعر لا ترتفع كسا يرى لوركا ألا
 يتقدم بصد من كل ما هو عادي مألوف
 في الصالح العادي والمخال على
 السواء ولا يعتقد الشاعر سمح الدين
 حسن بوجود أزمة تعني قصص الشعر
 بالذات ويرى أن الأزمة - في الحقيقة
 هي أزمة الحرية والديمقراطية
 والعدل ، ويرى أن الفوضى هي
 القصيدة الحديثة يأتي من أنها ذات
 طبيعة مبركة تستفيد من المذهب
 والتيارات الفنية والادبية ، وتحول
 إلى نوع من الحركة والصراع الداخلي
 في سبيل تأكيد قيمتها الجديدة
 القائلة بأن الصراع هو بمقدار ما يتحرك
 ولكنه يفرق بين نوعين من الفوضى :
 ١ - فوضى ترفض الرذالة والمز
 عن اللحاق بالركب البشرى ، وشاعر
 هذا النوع متخلف فنياً وعقلياً وقصيدة
 هذا الشاعر تحول إلى ميدان الادعاء
 والثرثرة والتفاهات ، وإلى فساد
 وفوضى تافهين

٢ - فوضى شعري تلبية طبيعة
 المرحلة الحضارية التي يعيشها الجنس
 البشرى بجموعة ، والجنس العربي
 على وجه الخصوص والتحديث ،
 فالشاعر لم يصرنا أشبه بسيزيف
 يرفع حجركه إلى قمة الجبل وهو
 يتصد أشراره الفوسفة بالدم والرق
 .. فهل قدمت هذه الرؤى اجابة
 من التساؤلات أم أن السؤال المطروح:
 « الإبداع الشعري الجديد إلى أين ؟ »
 يظل مطروحاً .

وأماهم ، وبشكل أعم - محصورة
 المجتمع ، لكنه يضيف .. أن هذه
 العملية لابد أن تتم من خلال وسيط
 إيجابي هو الشاعر ، وبعبارة أخرى
 - الشعر تصوير لرؤية الشاعر لحركة
 المجتمع . هنا يكمن الفارق بين شاعر
 يفت على الحياء وشاعر يمتص داخل
 المجتمع ويمتص المجتمع داخله . إن
 شعر الشاعر يجب أن يكون من نفس
 قصيدة دمه بصد هضم حركة المجتمع
 وفي ذهني نموذج يوضح الأمر بسهولة ،
 محصور درويش الذي يعيش القضية
 الفلسطينية ويصير عنها من خلال ذاته ،
 ويصبح القاصم الشاعر الذي يصور
 القضية من خارجه . ويرى الشاعر
 عجم المنصور أن أزمة الشعر في مصر
 هي أزمة كل الانشياء الطبيعية في
 مصر ، ويرى أن الفوضى قد بدأ
 تاريخياً مع بداية الشعر وإن أصبح
 ظاهرة مع بداية الحركة الرومانسية ،
 ويرجع الفوضى إلى أمور كثيرة ومنها
 ما يتعلق بالذات مثل :
 ١ - محاولة الشاعر طرح مفاهيم
 جديدة يجدها المتلقي صعبة في التعامل
 معها .
 ٢ - عدم فهم المتلقي لكيفية التعامل
 مع القصيدة .
 ٣ - نقص الثقافة الفنية عند
 المتلقي ، ومنها ما يتعلق بالشاعر
 مثل :
 ١ - الادعاء .

والضمان والكرامة ، والشعر لذلك
 نبوة يخلص منه الطليقات المفقودة ،
 ونبوة لغايم ، وتعبية لجلادهم ،
 ويربط الشاعر مزج عام بين الازمة
 الزمنية للشعر وازمة المجتمع ، ويرى
 أن المجتمع طبقات تتجنى شعراً يكرس
 التهرب والضياع ، يعني فساد
 الفنى وضاع الفنى ، بينما شعراء
 الثورة يتلمسون هنا وهناك نبض

النبضة الجديدة ، نبض شفيف لهم
 يركض ، ويبحثون عن أشكالهم
 الإبداعية الجديدة المنسقة مع وصالتهم
 الجديدة (تعظيم أطر الموت ، موت
 الله الرسمية ، موت الأسكال
 التفتيش) وتولد على أيديهم لغة
 جديدة أكثر بساطة أكثر شفافية ،
 أكثر عتسماً ، أنها أزمة
 مسزوجة فني فاحية استطاع
 .. من جديد ، ومن فاحية أخرى
 اطلاع العلاقة بينهم وبينهم الفنى .
 ولا سبيل للخروج كشعراء في واقع
 التهر والتخلف - إلا بأن يكون
 الشعراء متماثلين - حتى في حدود
 خلق اللغة الجديدة مع جواهرهم
 ويرى الشاعر مزج عام أن الشعر
 لا ينفك مع الفوضى ، وإذا كان
 المنصور هو الفوضى المتلى (العلاقات
 الطبيعية في الفنى) فهذا لا علاقة
 بالشعر ، أما إذا كان الفوضى في
 الصور الشعرية وتماثلها وعلاقتها ،
 فهذا ليس موضوعاً بقدر ما هو ضعف
 في تركيز الصور ووضوحها في علاقاتها
 ورفض في مستوى الشعر نفسه ،
 فالشعر الذي هو ثقافة وتوحيه
 (محاولة لجمع شمل الموقف الإنساني
 بصدته وتفتت) لا يكتشف حتماً
 الحقيقة في البساطة وليس في
 التعقيد . كما أن البكارة وبراعة
 الاغالات الوليدة متون البساطة ،
 أنها العالم العدل (المدمش ، المكتشف
 للسر الأول) والشعر يكتشف ذلك
 العالم ، ولذلك فهو مبال دائماً لكل
 ما هو بسيط ، وبالعكس فإن تشويه
 الحقيقة هو الذي يقود إلى الفوضى ،
 مغارة الفس من الطليقات المفقودة
 بالسلطة ، ولا مهرب من ذلك -
 الهروب إلى التعقيد معناه القيام
 بالوظيفة العكسية ، أي خدمة الطبقات
 سادة الثورية والتفريب .

يرى الشاعر عجم المنصور
 عبد الكريم :

من مؤسسي جماعة « أصوات »
 الثورية ، أصدر ديوانه الأول
 « الناكث » من سلسلة كتاب « أصوات »
 أن الشعر تصوير لمفهوم الناس

مدخل جديد:

يوحنا محمود

شعر .. تمليه

طبيعة المرحلة

الخصائص

٢ - عدم وضوح الرؤية .
 وبصراحة قامة - يقول عبد المنصور
 عبد الكريم - الشعر الذي لا نستطيع
 التعامل مع مدلوله - ولا أقول معناه
 - يمكن أن يكون أي شيء آخر غير
 الشعر ، ويرفض الشاعر وجود أية
 علاقة بين بساطة التعبير أو تعقيده



نقد الفلسفة البرجوازية المعاصرة

« فصل من كتاب »

بقلم: حسن عزعزي

١ - تمهيد

السياسة والدين والفلسفة هو عبارة عن صراع الطبقات الاجتماعية .

لقد وضعت الاشتراكية العلمية خط الاسترشاد الذي يسمح باكتشاف القانون في القوضى الظاهرة، وبدقة أكبر اكتشفت قانون الصراع الطبقي .

وردت في خاتمة كتاب (المادية ومذهب النقد التجريبي) أربعة اسس منهجية لنقد الفلسفة البرجوازية، فلكي نكتشف جوهر تيار فلسفي معين علينا ان نضع امامه الاسئلة الاربعة التالية -

أولا : كيف تحل هنا المسألة الاساسية في

ان عصرنا هو عصر الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية، صراع يشمل جميع ميادين الحياة والنشاط البشري .

وان المحتوى الاساسي للحياة الايديولوجية في هذا العصر هو الصراع بين الايديولوجيتين الاشتراكية والبرجوازية، وهو صراع لا يقبل التوفيق، لانه انعكاس للصراع الطبقي على النطاق العالمي . ان النظرة العلمية ترى ان كل الصراع التاريخي الذي جرى ويجرى في مجال

و" اليسارية "

وفي الواقع فإن كلا هذين الاتجاهين يلتقيان في النضال ضد الايديولوجية الاشتراكية العلمية .

ان الايديولوجية البرجوازية تعيش أزمة عميقة هي تعبير عن الازمة العامة للرأسمالية والتعبير المتطرف عن هذه الازمة هي التيارات المعادية للاشتراكية .

اننا نعيش عهد انفراج دولي، سياسي وعسكري . ولكن ليس هناك ولا يمكن أن يكون هناك "انفراج ايديولوجي" ، ففي الصراع بين الايديولوجيتين الاشتراكية والبرجوازية لا يوجد ولا يمكن ان يوجد توفيق أو مساومات أو تنازلات .

ان الفلسفة البرجوازية المعاصرة تشمل مدارس واتجاهات مختلفة متعددة . واذ كانت الفلسفة البرجوازية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر تناضل ضد ايديولوجية الاقطاع من مطلقات تقدمية ، فانها قد انتقلت الى مواقع الرجعية، بعد استيلاء البرجوازية على السلطة، وتخلت عن الافكار والاراء التقدمية، اما في مرحلة الامبريالية فقد اصيبت بأزمة عميقة . وعندما كانت البرجوازية طبقة تقدمية كانت الفلسفة البرجوازية تجمع اتجاهات مادية ومثالية، أما في مرحلة الامبريالية حين صارت الطبقة البرجوازية طبقة رجعية فقد تخلت عن المادية، ولا يقوم بتطوير المادية في العصر الراهن سوى الاشتراكية العلمية . توجد ثلاثة اتجاهات اساسية في الفلسفة البرجوازية المعاصرة وهي -

أولا الوضعية الجديدة، وتشمل مدارس متعددة كما أنها مرت بمراحل مختلفة وبصورة عامة فإن هذا التيار مثالي ذاتي وقد زعم ممثلوه انهم يضعون فلسفة العلوم .

ثانيا : الوجودية، وهو اتجاه مثالي ذاتي ايضا . ومما يميز هذه الفلسفة يعتبرون أنفسهم

الفلسفة ؟

ثانيا : ما هي المصادر النظرية التاريخية لهذا التيار ؟

ثالثا : ما هو ارتباطه بتطور العلوم الطبيعية ؟
رابعا : ما هو طابعه الحزبي أي الطبقي ؟
ان التطور التاريخي الراهن يتميز بزيادة حدة الصراع الايديولوجي بين الرأسمالية والاشتراكية وهذا الصراع يؤثر على حياة الشعوب على نطاق واسع . انه يعبر عن عدم امكانية التوفيق بين المواقع الطبقة البرجوازية والبروليتاريا ، عن التناقض بين النظامين الاجتماعيين . وفي معركة الافكار هذه تتمتع الاشتراكية العلمية التي اكتسبت تجربة غنية خلال بناء الاشتراكية وخلال تجربة الحركة العمالية العالمية وحركة التحرر الوطني ويتعاظم نفوذ افكار الاشتراكية العلمية ويزداد تأثيرها على عقول ملايين جديدة وجديدة من الناس وتحاول الدوائر الامبريالية بكل الطرق والوسائل عرقلة هذه العملية وتحديد انتشار افكار الاشتراكية العلمية ،

ونسعى حاهدة من جهة أخرى لنشر افكارها المضادة والسيطرة على عقول الناس وازعاجها بالادهايم والاضاليل . والشئ الرئيسي هو محاولة الايديولوجية البرجوازية أن تثبت أن اهداف التقدم الاجتماعي يمكن تحقيقها بدون التحولات الثورية، أي بدون المساس بأسس النظام الاجتماعي للرأسمالية . وقد وضعت نظريات مختلفة لخدمة هذا الغرض مثل نظرية "مجتمع الرفاهية العامة" و"المجتمع الصناعي" "تحول الرأسمالية" و"الرأسمالية الشعبية" .

وتواجه الاشتراكية العلمية ايديولوجية افكار البرجوازية والبرجوازية الصغيرة من جهة، وإلى هذا المعسكر تنتمي مذاهب معاداة الاشتراكية ومن جهة أخرى تواجه الاشتراكية العلمية الأشكال المختلفة للتحريفية اليمينية



هو الاله . وهكذا فان عدم الاعتراف بالحقيقة الموضوعية هو سمة عامة للفلسفة البرجوازية المعاصرة .

ولا تعترف الفلسفة البرجوازية المعاصرة بالديالكتيك "ان الاساتذة البرجوازيين يهاجمون هيجل ككلب ميت وينكرون ديالكتيكة الثورى وينتقلون الى مواقع التطور السطحي" فبدلا عن الديالكتيك الثورى تبشر بعض المذاهب البرجوازية بما يسمى بالديالكتيك المأساوى الذى يزعم ان حل التناقضات في العالم امر مستحيل . انها دعوة الى اليأس والتشاؤم وفقدان الثقة بالمستقبل .

الفلسفة البرجوازية المعاصرة تحاول فصل الفلسفة عن العلوم ، وترفع شعار "محو ايدولوجية العلوم ، وترى ان العلم في غنى عن العقيدة وانه لا يمكن الجمع بين الاثنين أصلا . وهكذا فانها مستعدة للاعتراف بموسى الاشتراكية العلمية "كعالم" بشرط ان يتخلى عن "عقيدته" حول الرسالة التاريخية للبروليتاريا .

ان الفلسفة البرجوازية المعاصرة تتخلى عن فكرة التقدم التاريخي . وحتى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر جرت الاستعاضة عن كلمة تقدم " وكلمة "تطور" بكلمة "ارتقا" أو "تطور تدريجي" .

وممثلو الكانطية يفهمون التقدم فهما ذاتيا على انه "دوران التاريخ" اما الوضعية الجديدة فتعتبر "التقدم" كلمة فارغة بدون معنى .

في هذا التمهيد تحدثنا عن خصائص الصراع الايديولوجي في العصر الراهن ، وعن السمات العامة للفلسفة البرجوازية المعاصرة . وفي الحلقات القادمة سوف نتناول تباعا الاتجاهات الاساسية لهذه الفلسفة (الوضعية الجديدة ، الوجودية ، الثوماسية ، الحديده) بالتفصيل .

ثالثا الماثوسية الجديدة ، وهي فلسفة الفاتيكان الرسمية ، فلسفة الكنيسة الكاثوليكية انها فلسفة دينية تمثل المثالية الموضوعية . وفيما يتصل بالسمات العامة للفلسفة البرجوازية المعاصرة على اختلاف اتجاهاتها فيمكن اجمالها في أن هذه الفلسفة عاجزة عن تفسير التحولات التي تجرى في وجود الانسان وفي وعيه انها تتميز باللادرية واللاعقلانية والانتقائية ، هذه الفلسفة تنفي المادية والديالكتيك ، وتعود الى التعاليم الأكثر رجعية في الماضي لقد قامت باحيااء افكار (أفلاطون) و (ثوماس الاكوينى) و (ببركلي) و (هيوم) و (كانط) . أما الافكار التقدمية التي برزت في الماضي فقد تخلت عنها وهذا طبيعي لان الفلسفة البرجوازية المعاصرة تدافع عن النظام الرأسمالي المحتضر .

ان الحذور المعرفية لمثالية الفلسفة البرجوازية المعاصرة تتجلى في المبالغة في بعض جوانب عملية المعرفة ، في تضخيم بعض هذه الجوانب . مثلا المدارس المختلفة للوضعية الجديدة تضخم جوانب معينة من جوانب عملية المعرفة فالوضعية المنطقية تضخم دور التفكير المجرد ، والوضعية اللغوية تضخم دور الكلمة . أما الوجودية فتضخم وتبالغ في دور مشاعر الانسان .

ان جميع الاتجاهات الفلسفية البرجوازية المعاصرة تقوم بتشوية مفهوم الحقيقة فالوضعيون الحدد يعلنون عن تعدد الحقائق ، والبرجماتيون يعتبرون ان الحقيقة هي كل ما يعود بالفائدة ، فالنفع مقياس الحقيقة والوضعيون اللغويون يعتبرون ان الحقيقة هي التوفيق الذاتي بين الجمل وأن الحقيقة هي اتفاق بين العلماء . والوجوديون يعتبرون ان مصدر الحقيقة هو الحدس الداخلي للانسان . أما الثوماسيون الحدد فيعتبرون هذا المصدر

الوضعية الجديدة

=====

الوضعية الجديدة هي التيار الأكثر انتشارا في الفلسفة البرجوازية المعاصرة. انها تضم مدارس شتى، يوحدتها جميعا انها تقف موقف المثالية الذاتية .

لقد مرت الفلسفة الوضعية في تطورها بمراحل ثلاث : المرحلة الاولى هي مرحلة النشوء ، في ثلاثينات القرن التاسع عشر . أسس الوضعية الفيلسوف الفرنسي (أوجست كوت) والفيلسوف الانجليزي (هيربرت سبنسر) ومنذ نشأتها تقف الوضعية موقف العداء من المادية ، ولكن ، نتيجة للتطور العاصف للعلوم الطبيعية في الفترة التي ظهرت فيها ، فقد اكتسب هذا المذهب صورة علمية ظاهرية وخداعة

تزعم الوضعية ان الانسان لا يستطيع ان يدرك جوهر الاشياء لذلك فهي تعتبر ان جميع القضايا التي درستها الفلسفة من قبل هي قضايا باطلة لا معنى لها . لذلك فهي لا تنظر الا بالمعرفة الوضعية ، أي المعرفة التي يمكن التحقق من صحتها بالتجربة . أما ما كان خارج اطار المعرفة الوضعية وكان غير قابل للتحقق من صحتها بواسطة التجربة فانه لا يقع في نطاق النظر الفلسفي الصحيح وعليه فالوضعية ترفض النظر في المسألة الاساسية في الفلسفة ، مسألة العلاقة بين المادة والوعي ، وتعددها قضية باطلة لا طائل من وراء البحث فيها . مادة الفلسفة ، في نظرهم ، ينبغي ان تكون مادة وضعية يمكن وصفها ، مصادرة الظنفي الوقائع "وعلى الفلسفة ان تتحول الى علم وضعي مثله مثل العلوم الطبيعية . عليها ان تكف عن البحث في القضايا "الميتافيزائية" قضايا الوجود والوعي ، وان تنكب على دراسة اساليب البحث العلمي وتنصرف الى ايجاد منهج يسهل وضع المعارف

في نظام ثابت . الوضعية تقف ضد تكوين النظرة المتكاملة الشاملة الى العالم ، ضد القوانين الموضوعية لتطور الطبيعة والمجتمع . وفي ميدان المجتمع أنكر الوضعيون الصراع الطبقي وتقدموا ، بدلا عن ذلك ، بنظريات بيولوجية وسيكولوجية لتفسير التطور الاجتماعي تلك كانت المرحلة الاولى من تطور الوضعية .

المرحلة الثانية من تطور الوضعية تبدأ في اواخر القرن التاسع عشر ، انها مرحلة الفلسفة (المادية) نسبة الى الفيلسوف النمساوي (أرنست ماخ) . المادية ، كما بين كتاب (المادية ومذهب النقد التجريبي) عبارة عن احياء وتطوير لافكار (بيركلي) الانجليزي المثالية الذاتية ولا أدريية (هيوم) الانجليزي ايضا ، في ظروف جديدة تعريف الحقيقة لديها انها " مركب احاسيس " . البرتقاله مثلا هي مجموع احاسيس لونها وشكلها ورائحتها ومذاقها ، وهي احاسيس تحدث للانسان الذي يتعامل مع البرتقاله . انها تجربة الذات التي تحس أما البرتقاله نفسها فلا وجود موضوعي لها ، ووظيفة الفلسفة والعلم هي ايجاد طريقة لتنظيم احاسيسنا ، من هنا تركيز الماخييين على دراسة الادراك الحسي .

في ميدان نظرية المعرفة تقدم الماخيون ايضا بمبدأ "النسبية" (مفهوما بشكل مثالي ومبالغ فيه) . زعموا ان مفاهيمنا لا تحمل صفة الموضوعية واعتبروا ان المسألة الاساسية في الفلسفة أي العلاقة بين المادة والوعي وايهما اولى مسألة باطلة وملغاة . ونتيجة لذلك عدوا فلسفتهم فوق المادية والمثالية . ولكن ذلك هو الباطل بعينه فالفلسفة منذ ان وجدت قبل أكثر من ألفي عام حزبية وتاريخها هو تاريخ الصراع بين المادية والمثالية .

المرحلة الثالثة من تطور الوضعية ابتدأت في عشرينيات القرن الحالي . انها مرحلة الوضعية

مثل "الوضعية المنطقية" و"الوضعية اللغوية" و البراجماتية" وهي تطور المنطلقات الاساسية للفلسفة الوضعية في مرحلتها الاولى والثانية في اتجاهات مختلفة. انها تشترك جميعا في رفض النظر في المسألة الاساسية في الفلسفة ، وتعتبر ان العلوم التجريبية وحدها تستطيع ان تزودنا بالمعرفة الصحيحة عن العالم ، وأن وظيفة الفلسفة هي ايجاد "منطق" لهذه العلوم وعلى ذلك فالوضعيون الجدد على اختلاف مدارسهم ينفون اهمية الفلسفة باعتبارها نظرة الى العالم متكاملة علمية .

لنستعرض بايجاز المدارس الرئيسية للوضعية الجديدة : الوضعية المنطقية ، الوضعية اللغوية . البراجماتية .

الوضعية المنطقية

=====

نشأت في عشرينيات القرن الحالي في النمسا وبريطانيا وفرنسا. من أبرز ممثليها (شليك) و(كارفاب) و (رسل) و "مور" الوضعية المنطقية ، شأنها شأن الوضعية الجديدة كلها ، ترفض النظر في المسألة الاساسية في الفلسفة انها تعتبر ان مهمة الفلسفة هي التفسير المنطقي والشكلي للمعارف العلمية أى المعارف التي تتوصل اليها العلوم الخاصة ، والمنطق في نظرها هو جوهر الفلسفة. وإذا كان المفهوم الاساسي عند الماخيين هو "عناصر العالم" فانه عند الوضعيين الحدد " الوقائع " . وكلا المفهومين يؤلان في الاخير الى " الاحاسيس " . العالم عندهم ليس وجودا موضوعيا خارج وعي الانسان ومستقلا عن هذا الوعي بل هو "وقائع" تتجلى في احاسيس. وعي الانسان يدرك هذه الاحاسيس ويسجلها في كلمات ورموز وصيغ . واذن فمهمة الفلسفة هي تفسير الاحاسيس او

الوقائع بواسطة الكلمات والرموز والصيغ. لذلك يبالغ أصحاب الوضعية المنطقية في تقدير دور اللغة بل ويذهبون الى حد اعتبار تطوير اللغة هو المهمة الاساسية للفلسفة .

يقسمون الجمل التي نستخدمها الى قسمين اولاً ، الجمل التجريبية . وهي التي يمكن اختيار صحتها بالتجربة . ثانياً ، الجمل التحليلية . وهي التي نستخدمها الفلسفة والرياضيات والمنطق والدين وعلم الاخلاق الخ .

الجمل التجريبية تعبر عن وقائع تخضع للملاحظة ويمكن التحقق من صحتها مباشرة بواسطة التجربة . مثلاً جملة " السماء تمطر " ، لكي نتأكد من صحتها يكفي فقط ان ننظر من خلال النافذة . اما الجمل التحليلية التي لا يمكن اختيار صحتها على أساس التجربة ، على اساس الوقائع فان صحتها او عدم صحتها امر يقرره اتفاق العلماء ، وهكذا فالحقيقة عند الوضعيين المنطقيين هي حقيقة ليس لانها موضوعية ، ولكن لان العلماء قرروا ذلك الحقيقة فيما يتعلق بالجمل التحليلية ، هي اذن "اتفاق العلماء" لا اكثر ولا اقل .

الوضعية اللغوية " السيমানطيقية"

=====

نشأت في ثلاثينيات القرن العشرين في المانيا والنمسا والولايات المتحدة . من أبرز ممثليها (كارناب) و (تشيز) .

اذا كان الوضعيون المنطقيون قد ركزوا في بداية بحوثهم على " أشكال " التركيب اللغوي فقد نشأ كرد فعل لذلك ، تيار اخر في الوضعية الجديدة يعطي اهتماما اكبر لجانب " المعاني " في اللغة ، انه الوضعية السيমানطيقية او اللغوية عند الوضعيين اللغويين ان "العالم تركيب لغوي" اللغة ليست انعكاسا للعالم الخارجى ، بل هي واقع مباشر للعالم هو "ما

للعمل".

المسألة المركزية عند البرجماتيين هي مفهوم الحقيقة "الحقيقة هي ما يجدي". ما ينفع. وهكذا فإن الحقائق يمكن ان تتعدد حسب تعدد وجهات النظر. اذا كانت الفكرة مفيدة لي أو في مصلحتي فهي حقيقة. البراجماتيون يفهمون التطبيق أو الممارسة بطريقة ذاتية ومثالية. انهم مثاليون ذاتيون لانهم ينفون المضمون الموضوعي للحقيقة.

الجوهر الرجعي للوضعية الجديدة

=====

الوضعية الجديدة فلسفة برجوازية وهدفها الرئيسي هو الدفاع عن الرأسمالية وممارسات الطبقة البرجوازية على النطاق المحلي والعالمي فالوضعية المنطقية واللغوية تعتبران ان التناقضات الموجودة في المجتمع ناتجة عن سوء استخدام اللغة. (تشيز) مثلا يرى ان المصاعب السياسية والاقتصادية التي تعاني منها أفريقيا نابعة من سوء استعمال اللغة الذي يؤدي الى الخلافات في تفسير الظواهر الاجتماعية والى التناقضات الاجتماعية نتيجة لذلك وهكذا فإن تحسين اللغة سوف يؤدي الى التغلب على هذه المصاعب، على سبيل المثال يقترح استخدام مصطلح "مجتمع الرفاهية العامة" بدلا من "المجتمع الرأسمالي" وهكذا تحل مشاكل الرأسمالية بضربة واحدة. الفلسفة البراجماتية تدافع عن مصالح أرباب العمل، كما انها تؤثر على نفسية وأخلاقية الناس العاديين في امريكا الذين يتسمون بالفردية والسعي وراء المصلحة الخاصة انها تبرر السياسة الرجعية للولايات المتحدة واعمالها العدوانية ضد الشعوب الفاشية والعنصرية والنزعة العسكرية مقبولة، من وجهة النظر البراجماتية، لانها "نافعة" وتخدم.

أقوله عنه". هكذا يقول "تشيز". فيلسوف وضعي لنؤي آخر يقول بنفس المعنى "حدود لتي هي حدود "عالمي"

يفكر الوضعيون اللغويون على النحو التالي تصرفات الناس في المجتمع تعود الى فهمهم للكلمات. ومعاني الكلمات قد تكون مختلفة عند مختلف الناس، متعددة بتعدد فهم ولذلك من الضروري تحسين اللغة لتحسن الناس في المجتمع ويختفي الصراع بينهم ويسود التفاهم والوثام. قد يبدو هذا كلاما جميلا ومقبولا. ولكن هل حقا ان الصراع الاجتماعي يصادم الناس بعضهم البعض الآخر عائد الى طريقة استعمالهم للغة؟ يتضح اذن ان الوضعية اللغوية تبالي في تقدير دور الكلمة فالكلمة التي هي كما نعرف، رمز أو انعكاس للعالم الموضوعي، هي عندهم عنصر أو جزء من العالم نفسه.

البراجماتية

=====

نشأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة، خلال المرحلة الثانية من تطور الوضعية انها احد تيارات الفلسفة الوضعية الجديدة المعاصرة، أو قل هي النموذج الأمريكي للوضعية الجديدة. من أبرز ممثليها (بيرس) و (جيمس) و (ديوي). البراجماتية كترسمية آتية من الكلمة اليونانية "براجما"، وتعني الاشياء المنجزة "أو العمل" أو "المنفعة" وعند البراجماتيين ان مقياس الحقيقة هو جدواها وفائدتها. العالم في نظر البراجماتية مشوش، العالم بترتيب هذا التشوش وعملية المعرفة يقوم وظيفة العلم هي ترتيب هذه الفوضى. وهو وسيلة للتغلب على فوضى العالم الخارجي، وسيلة لمعرفة العالم. "الفكرة أداة



"الغاية تبرر الوسيلة" وذلك المبدأ المشؤوم الذي ارتكبت وترتكب على اساسه افطع الجرائم بحق الشعوب . بحق الانسان ، هو مبدأ مقبول ، عند البرجماتيين ، ولا غبار عليه اطلاقا ويمكن استخدامه في مجال السياسة كما في مجال الاخلاق بدون تورعات . المبادئ ليست بشيء ، النتائج هي كل شيء .
هكذا يظهر بوضوح الجوهر الرجعي للفلسفة الوضعية الجديدة .

الوجودية

=====

الوجودية تيار من تيارات الفلسفة البرجوازية المعاصرة ، نشأ في عشرينيات القرن الحالي في ألمانيا وفرنسا في ظروف ما بعد الحرب العالمية الاولى
في الفلسفة الوجودية اتجاهان رئيسيان : اتجاه الحادي يمثله (سارتر) و(كامو) وغيرهما واتجاه ديني يمثله (مارسل) و(ياسبرز) وآخرون

المسألة الرئيسية التي تتناولها الوجودية هي مسألة معنى الحياة الانسانية . ما معنى الحياة ؟ عند الوجوديين ان العالم هو ما اشر به أنا الذات . بدون الذات لا يوجد العالم أي ان الوجوديين ينكرون الوجود الموضوعي للعالم من حولنا ومع انكار وجود العالم موضوعيا ينفون القوانين الموضوعية التي تحكمه . العالم عندهم عفوى لاعقلاني ومشوش انه عالم معاد للانسان ، لا يجد فيه الانسان سوى العذاب والالام . عالم لا يتيح للانسان ، أن يحقق فيه حريته وسعادته . والخلاص الوحيد منه يتحقق في الرفض ، رفض هذا العالم اللاانساني . المفاهيم الرئيسية التي تحللها الوجودية هي الوجود ، الحرية ، القلق ، الخوف ، الموت ، اليأس ، الغثيان ، التشوش .
الوجودية تتناول مقولة الوجود . وتعريف

المقولة صعب جدا كما يعترف الوجوديون انفسهم . الوجود عندهم ليس هو الوجود التجريبي بالمعنى المتعارف عليه بل الوجود بمعنى مشاعر الانسان وحياته الروحية الداخلية وادراكه الذاتي . وهذا الوجود مثالي ولا يستطيع العقل الانساني ادراكه . من ناحية ، الوجود عندهم مستقل عن الانسان ومشاعره ، وهو هنا بمعنى الكينونة ومن ناحية أخرى ، الوجود مرتبط بالانسان ولا يمكن تصوره بدون الانسان ومشاعر الانسان لذلك فالوجودية هي شكل خاص من المثالية الذاتية .

الوجود عندهم أيضا هو "كون الانسان منعزلا عن العالم المحيط به مكفئا على نفسه" اما العلاقة بين الوجود والوعي فهي مسألة لا عقلانية ولا معنى لها . لماذا ؟ لان الوجود هو ما يدرك نفسه . أي لا يوجد وجود خارج الذات . تلك هي وجهة نظر الوجودية الاحادية اما الوجودية الدنية فتتناول ثلاثة عوامل : أولا العالم التجريبي . وهو كل ما تحس به وتستوعبه .

ثانيا العالم الداخلي ، الروحي ، عالم الذات . وهذا الوجود الذاتي يمكن الكشف عنه في لحظات معينة فقط مثلا عندما يكون الانسان في حالة الخوف او اليأس ، أو تحت التعذيب او في مواجهة الموت . ولا يمكن استيعاب هذا العالم بواسطة العقل . انه حالة خاصة من حالات الانسان النفسية .

ثالثا : العالم المتعالي ، عالم الغيب ، العالم الآخر ولا يبلغه الانسان الا بعد الموت ، وهو المعنى الاساسي لحياة الانسان انه العالم الذي تحقق فيه حرية الانسان وسعادته كاملتين . وهذا قريب جدا من المفهوم الديني عن الحياة الاخره .

تتسم نظرية المعرفة الوجودية باللاأدرية واللاعقلانية ، تعتبر الوجودية ان المعرفة تم

والوجوديون يطلقون على فلسفتهم "فلسفة الحرية". ولكنهم يفهمون الحرية بشكل غير علمي. بالحرية يفهمون حرية اختيار الانسان لقراراته وتصرفاته .

ونتيجة لهذه الحرية تتشكل شخصية الانسان ويحتل الانسان مكانا معينا في العالم . ان وجود الانسان يمكن في حرية اختياره لتصرفاته واسلوب حياته الخ ، اذن الحرية هي حرية ارادة الانسان ان يختار الانسان مناطبه هو نفسه ، فكونه شجاعا او جباناً ، مخلصا لوطنه او خائناً ، تقدما او رجعا هو امر يعنيه هو وحده وrehn باختياره الحر .

والصورة المتطرفة لهذا المذهب هي تلك التي تبرر قرارات وتصرفات ما يسمى بالشخصيات القوية وطموحها لفرض ارادتها وسيطرتها على الآخرين . اى تبرير الطغيان والتسلط والعنف . تقول الوجودية ان الانسان يريد ان يكون حرا ويجب ان يكون حرا ، ولكنه لا يعرف كيف ينال هذه الحرية ولا يعرف ماذا يفعل بحريته لانه لا توجد مثل عليا . العالم المحيط بالانسان عالم فوضى مشوش معاد للانسان . ومشاعر الانسان ازاء هذا العالم هي الغثيان والخوف واليأس . لا يستطيع الناس ان يفهم بعضهم البعض الاخر . ومن النادر جدا ان تجد الذات ذاتا اخرى قريبة منها ويمكن ان تتسجم معها . والواقع ان الوجوديين حين يتكلمون عن العالم المعادى للانسان يعنون العالم الراسمالي المعادى للانسان حقاً ولكنهم لا يطرحون المسألة على هذا النحو الواضح فضلا عن ذلك فانهم لا يطرحون مهمة تغيير هذا العالم ثوريا

ولا يفهم الوجوديون العلاقة الصحيحة بين مقولتي الحرية والضرورة . انهم يعتبرون العالم تلك الضرورة المناقضة لحرية الانسان . لقد شغلت مسألة العلاقة بين الحرية والضرورة عقول الفلاسفة منذ عهد بعيد . وقد اكتشف

بمرحلتين : المرحلة الحسية والمرحلة المنطقية . المرحلة الحسية قد تكون كاذبة أما المرحلة المنطقية فنسبية ، وكلا المرحلتين لا يمكن ان تكشف لنا عن الحقيقة . ولا تعترف الوجودية بوجود قوانين موضوعية تحكم العالم المحيط بنا . ولذلك فالعالم لا يمكن ادراكه . ان ما ينبغي ان يكون موضوع المعرفة عند الوجوديين هو مشاعر الانسان فحسب ، الوجود هو حياة الانسان الروحية . وطريقة الوصول الى هذه المعرفة هو انكفاء الانسان على نفسه والانزاع عن العالم المحيط به أى بواسطة الجنس .

تتقدم الوجودية بنظرية "الاتصال" أو نظرية العلاقات بين الذات . وعلى اساسها هناك ثلاثة انواع من العلاقات بين الذات أى بين الناس .

أولا : علاقة الصداقة ، عندما تكون الذات منسجمة وقريبة من الذات الاخرى . ثانيا : علاقة الحياة ، عندما تكون الذات غير منسجمة مع الذات الاخرى .

ثالثا : علاقة العداء عندما تكون الذات في حالة كراهية ونفور مع الذات الاخرى . وهذه العلاقات تقع خارج نطاق العلم ولا يمكن تفسيرها من قبله كما يزعم الوجوديون . ان نظرية "الاتصال" أو العلاقات بين الذات الوجودية لا تتناول العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الناس ، ولا تحليل الانسان في ظلها بكل شمولها . انها تقتصر فقط على العلاقات الروحية بين ذات وأخرى ، اما الاشتراك العلمية فتعتبر ان جوهر الانسان هو مجموع العلاقات الاجتماعية التي يعيش في ظلها .

يتسم المذهب الاجتماعي للوجودية ، أى انكارها الاجتماعية ، بطابع رجعي . اهم مقولات الوجودية في هذا الميدان مقولة الحرية



الجماهير وعلى المثقفين بصورة خاصة يجري تكيف تعاليم (ثوماس الاكوينى) لظروف عصرنا الراهن، عصر الثورات الاجتماعية والثورة العلمية التكنيكية. اذا كانت الاديان المختلفة تستند الى الايمان فحسب، فالثوماسية الجديدة تحاول ان توجد اساسا عقليا للكاتوليكية وتحاول ان تبرهن على وجود القوة الالهية

تحل الثوماسية الجديدة المسألة الاساسية في الفلسفة بطريقة مثالية الغيب هو اساس هذا العالم وهو اساس كل شيء موجود. وهو مصدر المعرفة الحقيقية الاولى اما العقل فهو المصدر الثاني، الثوماسيون الجدد يعترفون بوجود المادة. ولكن المادة عندهم "خام" ومهما يخلق العالم والكائنات الحية ويتم فيها ايداع الشرارة الروحية للمعرفة الاعتراف بوجود القوة الالهية ليست مسألة عقيدة عند الثوماسيين الجدد بل هو مسألة معرفة.

نظرية المعرفة الثوماسية الجديدة تشير الى ثلاث مراحل للمعرفة (١) المعرفة الحسية (٢) المعرفة العقلية (٣) الوحي الالهى وحقيقة الوحي الالهى أعلى من كل حقيقة ومصدرها الكتب المقدسة. وللثوماسية الجديدة مذهبها الاجتماعي ايضا. وهدف هذا المذهب هو تبرير النظام الاجتماعي القائم انها تدعو الى ما يسمى بالاشتراكية المسيحية. التي لا يجمعها بالاشتراكية الحقيقية أى جامع. أما الفكرة الاجتماعية الاساسية للثوماسية الجديدة فهي أن عدم العدالة في المجتمع شيء محتوم وأمر طبيعي تقرر منذ الازل، انها تدافع عن الملكية الخاصة والاستغلال، وتعلل الانسان المعذب على هذه الارض بأوهام في عالم الغيب.

يهجّل الطريق لحل هذه المسألة ودرس ديالكتيك الحرية والضرورة، لكن مثاليته منعتة من حل هذه المسألة حلا كاملا، ووقعت هذه المهمة على عاتق مؤسسي الاشتراكية العلمية. في كتاب (لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية) وفي (انتي دوهرنج) نجد الحل الصحيح المادى الديالكتيكي للعلاقة بين الحرية والضرورة، الضرورة هي ما يوجد في العالم بشكل قانوني، والتحرر من الضرورة لا يكون الا بمراجعتها، بمعرفتها، هناك قوانين موضوعية تحكم تطور الطبيعة والمجتمع والانسان يحقق حريته حين يراعي هذه القوانين وبالاعتماد عليها الحرية هي الضرورة المعروفة. بناء الاشتراكية يتطلب معرفة القوانين الموضوعية لتطور المجتمع وفي ظل الاشتراكية الكاملة تتحقق حرية الانسان، الاشتراكية الكاملة قفزة من ملكوت الضرورة الى ملكوت الحرية.

الثوماسية الجديدة

=====

اذا كانت الوضعية الجديدة والوجودية تيارين مثاليين ذاتيين في الفلسفة البرجوازية المعاصرة، فالثوماسية الجديدة تيار مثالي موضوعي.

الثوماسية الجديدة هي الفلسفة الرسمية للكنيسة الكاثوليكية، الفلسفة الرسمية للفاشيكان وهي منتشرة في البلدان الكاثوليكية مثل ايطاليا واسبانيا والنمسا والمانيا الغربية وفرنسا وبلجيكا، وجزئيا في الولايات المتحدة هذه الفلسفة عبارة عن احياء وتطور للافكار الاساسية (ثوماس الاكوينى) أكبر ممثلي الفلسفة المدرسية اللاهوتية في القرون الوسطى أبرز ممثليها الان هم (مرسيه) و (ماريتان) و (قبتز) من أجل الحفاظ على تأثير الكنيسة على

قضية للمناقشة

مع مشاكل الخريجين

بقلم عاطف سعد

"بواسطة كرت غوار" وفرت لي وظيفة "لترجمان في شركة امريكية تعمل على تدريب الجنود السعوديين في الرياض اشتغلت بكل همّة وحماس وفرت مبلغاً أعدت لاطلب التي احببتها في عمان فحجزت المخابرات جواز السفر واستدعني للتحقيق في نشاطاتي قبل اربع سنوات في مجلس الطلبة . وبعد اخذ ورد ، " وطلعان روح " في طابور مخابرات العبدلي . قايضوني بين التعاون معهم ، او حرمانني من العودة الى "جنة الذهب ومنحني الضابط فرصة لافكر وفكرت . وقادني تفكيري الى ترك جواز السفر اليهم . وعدت الى الوطن . آه . ما اجملك ايها الوطن .

اصحبت امي لاطلب من احببت . تعرفها . اذكركما ، كنتما نموذجين صامدين في علاقتكما ، مبروك . قاطعني . " لا تستعجل يا صديقي فقد رفضتني امها ، لانها لا تريد ان يكون والد زوج ابنتها كندرجي . . . تساءلت . " . والحب اللي . . . " رد بسخرية وسرعة : " سافر على ابو ظبي "

خرج من جامعتنا العزيزة حتى الان ثلاثة افواج من الخريجين . ومضى على "ولادة الابن البكر" ، الذي هو الفوج الاول ، سنة وشهر .

سألت: ترى ما هي احوالهم الان؟؟ وكيف يواجهون الحياة .؟ واين وصلوا بآمالهم واحلامهم .؟

والتيقنهم سنة من الخريجين في ازمة مختلفة ، وامكنة مختلفة . ورغم اختلاف الزمان والمكان في لقاءاتي معهم ، الا اني وجدت القاسم المشترك الاعظم بينهم جميعا . . . العناء . التي تشبه معاناة الجندي الذي يدخل في معركة شرسة ويكتشف ان "سلامة التيار لا يستطيع ان يقشر فيه نقاعة" ، كما ذكرت احدهم . ووجدت مشتركا اخر بينهم جميعا . وهو ان درجة تحصيلهم العلمي لم تنخفض عن مستوى جيد مرتفع . وتصل الى درجة الامتياز .

قال الخريج " ن . من الفوج الاول



بعد مجازر لبنان

الخريجة "ه..ه" من الفوج الاول .

الخريجة "م . " معدلها جيد جيدا .

بدت متعبة ومنفرة: معدلها جيد مرتفع

"بعد تخريجي شهرين، سافرت الى

كنت متلهفة على تخريجي لاحقق بعضا

عمان . وبمساعدة "كرت غوار" اشتغلت

من احلام مشروعة .

بوظيفة ليست لها اى علاقة بشهادتي (يمرتب

سعيت وراء وظيفة . تساعدني لاساعد

١١٠ دنانير في عمان وجدت الاشياء تمشي

اهلي بعض الشيء

على رأسها . هناك ما فيش ناس" فيه طوابير

وبعد اتصالات . . وسفر . . ولف ودوران مع

كراجات ، اسهم ومستندات وارقام .

عديد من المؤسسات والدوائر . لم احصل الا

المدراء بشكل عام ، هناك يسألون شكليا عن

على عبارة "اذا بنحتاجلك بنتصل فيك"

المؤهلات لكنهم في الحقيقة يبحثون عن

وانتظر .

مؤهلات خاصة جدا للخريجة البائسة ، في

قلت . بدها شوية صبر وطولة بال "

عمان عشت الغربة والاغتراب . . احسست انني

قالت : صبرت . . مضى ١٣ شهرا على

منفية بأختياري عن الوطن الذي احببت . .

تخريجي حتى الان والامور تتعقد اكثر . فالاهل

كنت مشدودة دوما للناس . . هنا خاصة

اخذوا يزيدون ضغوطهم التقليدية ، قبل

بالانتقاضات وبعد مضى تسع اشهر قررت

شهرين تقالتي . قرأت معهد معلومات الوكالة

الاستقالة من الوظيفة والعودة الى الوطن . دون

برام الله يحتاج الى مدرسة . ذهبت وقدمت

ان اوفر من مرتبي قرشا واحدا . والان اجدد

طلب ، ومعظم ما سمعته شجعتني فرحت ، ولكن

نضالي من اجل وظيفة مضى لي ثلاثة شهور . .

الفرحة لم تدم . فالوكالة اعلنت افلاسها . .

نعرفهم قد تعينوا، او قرر تعيينهم ومؤهلات
قسم منهم لا تصل حتى الى مستوى جيد ..
فماذا تقول؟؟

سكت في البداية وهمت بعد
"دعني ارى دعني ارى"
عند المدخل الرئيسي للجامعة التقيت
بالخريجة "س" وهي من خريجات
الفوج الثالث

قالت: منذ كنت في المدرسة، تعلمت
وتربيت على مبدأ الاعتماد على النفس بكفاءة
ومسؤولية وفي الجامعة كان هذا المبدأ ..
هو خط السير الذي اعتمدته .. حتى لا احتاج
لتوصيات كرت غوار" او اى واسطة من اى كان
وحتى اثبت لنفسي، ولكل من يعرفني، انني
منسجم مع مبادئى قررت ان اخوض معركتي
الاكاديمية بهدف واضح لي هو الحصول على
درجة الشرف، والاولى على الكلية ويتجاوز
لتعقيدات وصعوبات. عشناها جميعا حققت
هدفي هذا. وانتصرت

قلت: "هذا انجاز نفخر به جميعا ويمكن القول
ان جامعتنا الان تستطيع ان تعزز بابنائها
المتفوقين وسترعاهم مؤكداً .. الم تقدمي
طلب لتعملي كمعيدة

قالت "اتصور .. ان حقي على الجامعة ان
اعمل كمعيدة والحقيقة انني قدمت طلبى
بالطريقة العادية .. لكن يا حسرة .."

قلت "على ماذا تتحسرين؟؟ وماذا يزعجك
هل جامعتنا تتنكر لك؟؟"

اجابت وهي تحاول ان تضبط انفعال قلت منها
"انهم يهمسون باذني همسات تكاد تفجر
راسي يقولون لي ليس كاف مؤهلك ..
تحتاجين الى "وظيفة"

هل تتخيل ذلك؟؟

قلت "في جامعتنا يمكن تخيل اى شيء .. لكن
ارجوان لا تتجاوبى مع هذه الهمسات .. ولا

احس بضيق شديد، نظرا لانني اصبحت اجد
نفسى عبئا على ميزانية الاشهر التي تتآكل مع
الزمن

الخريج "ف. . . " من الفوج الثاني - معدله
امتياز -

درست سنتين في يوغوسلافيا .. عدت
للزيارة منعت من الاحتلال .. تقدمت للجامعة
بدايات من جديد .. درست في كلية التجارة،
فم المحاسبة وضعت لنفسي هدفا التزمت به
طوال فترة الدراسة الجامعية .. ان اعمل
كمعيد في الجامعة .. وبعدها احاول ان سمحت
الظروف ان اكمل دراساتي العليا .. لقد
حققت الخطوة الاصب، وانتهيت ١٣٣ ساعة
ممتدة في ثلاثة سنوات ونصف .. بمستوى
امتياز .. وبترتيب الثالث على فوج خريجي
كليتي ..

قلت: "حتى الان لا اجد مشكلة ..
واعتقد انك ستوظف فمؤهلك لا يحتاج لاي
ضغط او واجهات ثم انه فيه تكافؤ فرص
في جامعتنا ..

هز راسه، هزة حقيقة، وقال: .. كنت
اعتقد ذلك لكن المشكلة ان تعييني، على ما
يبدو يحتاج الى "واسطة" او واجهات من دوى
النفسوذ .. "

قلت: يا صاحبي: الواسطة عندنا ..
بظلم لمن لا يحمل موهل علمي، او كفاءة
مميزة .. وانت ليس من هذا النوع .. فأرجو
ان "تطول روحك" .. شويه .. ثم ان جامعتنا
الان تتعرض لخطر وضع منذ تأسيسها فصبوا
عليك وعليها ..

قال: انني اتفهم ذلك واو يدك .. لكن
تكاثر الفرص اللي بتحكى عنه اشك فيه .. "
قلت بسرعة: "اثبت ما تقول .. " رد .. اذا
علمت ان هناك بعض الخريجين من الذين

وصفك هل بمقدور الجامعة ان تجد اماكن لكل هو لا ؟؟

قال حسب معلوماتي ، ليسوا كثيرين جدا فهم لا يتجاوزون ال خمسة خريجين من كليتي للفوج الثالث من ذوي معدلات ما فوق ٨٠ بالمئة ثم ان ، هناك خطة لدى الادارة لتوسيع المعهد وافتتاح فروع يدرس بها محاسبة وسكرتارية وغيرها ونحن من ابنا الجامعة وليس اولى منها ولا افضل منها ان توفر لنا الحماية هل فهمتني ؟؟

قلت " الان افهمك "

هذه نماذج من خريجي جامعتنا ، جامع النجاح الوطنية ، يعيشون معاناتهم في الحاضر ويعكسون قلقهم من المستقبل ، او عليم هذا من المستقبل ، مثله مثل الحاضر ، لا ينفصل عن معاناة وصمود شعبهم لقد بدأت هذه المقالة - التحقيق بسوء ال بسيط (اول السطر) عن احوال خريجينا واعنقد انني حصلت على جواب لهذه الاحوال لكنني اعترف ايضا ان هذا الجواب طرح تساؤلات عديدة ، قد تكون معقدة في بعض الاحيان ، لكنها مشروعة لانها تشمل المئات من خريجينا ممن اختاروا البقاء في الوطن . واعترف ايضا انني لا املك الوصفات الجاهزة او حتى الاجوبة الكاملة . وانني ادعو كل من يهتم بهذا الموضوع ان يساعدني . اولا ، في ايجاد حلول ومعالجات آتية يتمخض عنها توفير العيش الكريم للخريجين ١١ وثانيا في تشخيص علمي وموضوعي لهذه القضية التي تشغل بال المئات من هؤلاء الذين اخذ قلقهم يحمل في طياته خوف حقيقي على جدوى التعليم الجامعي في بلادنا وخصوصا . هؤلاء الذين عصروا ادمغتهم ، وعصروا ميزانيات اسرهم . ليجدوا لانفسهم مكانا يعملون فيه بموء هلاتهم العلمية في هذا الوطن الجميل .

تتسرعي باعطاء حكم قطعي الان ولا شك انك تريدان الاستمرار على مبدئك . في ان تتوظفي كمعيدة او مساعدة . بطريقة نظيفة وليس انظف من " واسطه " الموهل العلمي الذي ناضلت لاجله ووصلتي اليه دعينا نسير على نفس المبدأ . حتى نثبت عادة تصبر مع الزمن قانون ارجوك . قليلا من الصبر ، فلم يمض على تخرجك سوى شهر واحد دعينا نعمل سويا من اجل ذلك . . . " قالت " ماشي موافقة "

والتقيت بالخريج (م) في سوق الخان ، وهو من الفوج الثالث قال بدى احكي ع المكشوف انا طفران واسرتي طفرانه . ومصروفات الدراسة طوال اربع سنوات ، كنت احصل عليها من جمعية اصدقاء الجامعة وغيرها من الجمعيات الخيرية ولا زال علي ديون لاحدى الجمعيات . وقد تعرضت للاعتقال اثناء الدراسة مرات عديدة وممنوع لى ان اغادر خارج الوطن وملاحقات الاحتلال لي مستمرة وكل ذلك اعتبرته تحدى . لم يزدني الا تصميمي على نيل افضل الدرجات الاكاديمية وفعلا انتصر في هذا التحدى وحصلت على تقدير جيد جدا مرتفع (٨١ بالمئة) وليس لى مكان افضل العمل فيه سوى المكان الذي احببت واعني الجامعة

قلت اهنتك على تقديرك ، لكني لا افهمك عندما تشير الى اعتقالك بهذه الطريقة هل قال يا صديقي لا تفهمني بهذه الطريقة . لا اقصد ذلك بقدر ما اردت ان اوضح طبيعة التحديات التي واجهتها . والاصرار الكامن في اعماقي لاو من لي ولاسرتي مستلزمات الحد الادنى لعيش كريم

ثم انني لا اعرف ايا من الذين يملكون "المفاتيح الذهبية" . ليتدخلوا من قلت هناك الكثيرين ممن يتشابهون في

الى اتخاذ موقف من مسألة تحالفات الثورة الفلسطينية ومستقبل نضالها

فليس من المقبول ، ان نشيد بالصدقة مع الاتحاد السوفياتي ونطلب دعمه ، ونرسل الوفود تباعا لزيارته ، بل ونحمله أحيانا مصائب وتخاذل أنظمتنا العربية . ثم نرد له الجميل بنشر كل شائعة او رواية كاذبة ، ابتدعها خيال محرر امريكي مأجور ، حول اوضاعه وسياسته

العالم واسع ، والمسافات شاسعة . غير ان وسائل الاتصال الحديثة جعلته متقاربا للغاية ويخطيء من يظن ان "بحبته" في العداء للسوفيات سنؤدي مقاصدها دون ان تلحق الاذى بصورته وبموقفه امام العالم

وحرى بأولئك الذين يسترخون لسماع وقراءة كل ما هو معاد للاتحاد السوفياتي ، والاشتراكية على وجه العموم ، ان يتذكروا ان الخاسر الاكبر من الاساءة للعلاقات الفلسطينية - السوفياتية هو الطرف الفلسطيني .

ونحن ، المكافحين في ظروف بالغة التعقيد وضد أعداء شديدي الشراسة . الطرف الاحوج للدعم والمساندة ، وبالتأكيد فان الشعب الفلسطيني هو اكثر شوب المنطقة ، ان لم نقل العالم ، حاجة لتأييد ودعم الاتحاد السوفياتي .

يقينا ان تهريج وحقاقات المعادين للاتحاد السوفياتي لا يمكن ان تؤثّر في مواقفه ولا ان تضعف تأييده الحازم والمبدئي لنضال الشعب الفلسطيني ، غير ان المقصود بهذا التهريج التأثير على الموقف الفلسطيني وليس السوفياتي ، وشق وحدة نضالنا مع قوى الثورة العالمية ، والهدف ، ان نصبح فريسة سهلة امام الامبريالية

وباختصار ، فنحن لا نطالب احدا بأن يتبنى موقف التأييد والدعاية للاتحاد

ملح الكتابات المعادية للإتحاد السوفياتي في بعض الصحف المحلية

محمد سعيد

بعض الصحف المحلية في المناطق المحتلة لا تجد ما تملأ به صفحاتها الداخلية . الا ما تحود به وكالات الانباء الغربية من زبالة الدعاية المعادية للاتحاد السوفياتي . ولا يخفى على القارئ الواعي . مدى انعدام الموضوعية ، والكذب الرخيص الذي تميز به هذه المقالات ، والتي ليس نادرا ما تكون مخصصة للتصدير لدول العالم الثالث ، لان درجة انعدام صدقها وموضوعيتها قد يحول دون نشرها حتى في الصحافة الغربية المعادية صراحة للاتحاد السوفياتي . ونحن لا نستطيع بالطبع ، ان نلوم صحيفة "القدس" مثلا على نشر هذه المقالات بشكل يومي فصفحاتها مفتوحة ، والكل يعرف ذلك ، لمقالات اكثر بلاغة ضد الحركة الوطنية الفلسطينية وفد القضية الفلسطينية .

غير ان من واجبنا ان ننقل تلك الصحف المحسوبة على الحركة الوطنية والتي لا يندر ان تتحف قراءها بنفس المقالات المدسوسة المعادية للاتحاد السوفياتي

ان المغزى الحقيقي لنشر هذه المقالات هو ابعادنا عن مجرد اتخاذ موقف التأييد او العدا للاتحاد السوفياتي انه ينعكس ممتدا

السوفيياتي .فهو ليس بحاجة لذلك .ولكن من
حقنا ان نطالب محرري الصحافة الوطنية
بالمزيد من التمهيص والحذر حتى لا تغدو
بعض الصفحات في حرائدهم بوقا لدعاية

المخابرات المركزية الامريكية

ام لا زلنا بحاجة لاعادة اثبات ان
الامبريالية الامريكية هي الرأس الاكبر في
ثالوث التآمر ضد الشعب الفلسطيني ؟ .

اغني عند الفرح .. وربما ابكي عندما
اتعذب ولكن المهم انني أجد ردا لكل موقف
فعبرات التاريخ تفيض وتمتد كاصوات الظلام
في الافق .. تشدني الى النهار ، وتارة اخرى
الى الهاوية .. فلا يسعني الا ان اترقب عتمة
الطريق . اقف على اعتاب الغروب انتظر عودة
الشاعر .. وحرح الغريب .. العن القدر
الاحمق .. واصرخ في وجه العاصفة "بانه لا
بد وان يعود " فالخبر يقول بانه قتل في
عراك مع الزمن .. وسجلت المعركة في ذلك
التاريخ العاهر .. ورسمت معالمها على
خرائط الحب الضائع .

ونبأ آخر يقول بانه مات متأثرا بجراحه .
ويده مرفوعتان نحو الافق البعيد .. ليحجب
الشمس عن جسده .. ويمحو الضباب عن سطح
تبره .. ويوقف الرياح خوفا من اخذ رائحته .
واخذ يرسم على الرمال خريطة الوطن
بدمه .. لتبقى طريقا الى فرسان النهار
التالي .. وحاجزا للعواصف الاتية من الرعب
ومقعد حب لكل من ينتظر شاعرا ..
وحرحا غريبا .

فهو لا بد وان يعود كالحلم حقيقة .. من
الاعالي .. من جوف البحار .. من خلف
الضباب .. من خرائط الوحم .. وصفحات
التاريخ ..

مع السفن .. مع الطيور .. مع كل قطرة
مطر .. واغنية ربيع .
فهو سيعود ..

وعودته على رموش عيوني
ولونه بلون جدائي .

واسمه على الرمال بأحمر شفاهي



رَأْدَةٌ
عَوْض
بَيْت جَالا

الرواية العراقية في كتاب المستقبل

مصطفى عبود

عند اهله البعيدين ، تكاد الرواية العراقية لا تعدو
هلال اول الشهر ، تصعب رويته وتضطر المحاكم الشرعية
الى فتح ابوابها الى ما بعد غياب الشمس ، بانتظار مفاجآت
شهود اللحظة الاخيرة .

هذه القسوة ، لو صحت ، لاصبحت الرواية العراقية
مجرد نزوة ولما ظهرت لها حدود معقولة : اذ ستبدو في كل
مرة اما مزهوة او وجلة ولما استطاع كذلك الشعر العراقي
الحديث ، بكل انقال المسيح المعلقة في عنقه ان ينقذ سمعة
الثقافة العراقية من الضلال او التحجر او الولادة المشوهة .

محط اهتمام الحياة الادبية ، بل الثقافية عموما
لانه من دون ذلك الاهتمام ، مثلما يذهب اليه
هذا البعض ، نكون عاجزين عن تفسير عمرها
الذي جاوز الاربعة عقود ، الا على اعتبارها
قاصرة العقل . والاهتمام الذي تحاط به آية
رواية عراقية جديدة ليس مبعثه فقط القانون
الاقتصادي في العرض والطلب ، او الندوة وانما
مبعثه كذلك قانون التراكم الذي استطاعت
الرواية العراقية ، برغم كل ما تتصف به من
تواضع ، ان تقوم بهوتضع لنفسها انسكلوبيديتها
الصغيرة المزينة ببيع صور ، قسم منها لم يصور
كما ينبغي ، كما استطاعت ان تدخل هذه
الموسوعة في اطار الادب العراقي الحديث ،
الضيق اصلا ، وان كان يتجاوز حدود الرواية

واذا وافقنا النقد على ان الرواية هي
النوع الادبي الذي توصل اليه المجتمع
اليورجوازي للتعبير عن وعيه لذاته ، فلا بد
من التساؤل عن مرحلة التطور التي ما زال
الادب العراقي يرزح تحتها ؟ افي العصور
البسيطة ام في عصر منقرض آخر لم يعد
العالم الحديث يمت اليه بصلة القربى او
السدوم ؟

صحيح ان الرواية العراقية لم تعد فرضية ،
كما انها كفت عن ان تكون شبحا منذ فترة غير
قصيرة . الا انها ، من ناحية اخرى ، ما برحت
تقف على رصيف حياتنا ، مثل بائعة ورد خجولة .
انها مثقلة باسماك كثيرة تجعل تقدمها ناحيتنا
متفئرا ، مع انها اصحت الان ، كما يذهب البعض

المجهرية ويمكن التعرف عليه بقوة البصر
المجرد .

حول الرواية الان هالة، نوع من التنوير .
فهذا الفن الذي اتقنه اسلافنا العراقيون
القدامى في الملاحم والحكايات منذ عهد
جلجامش والذين وضعوا ألف ليلة وليلة، ما
زالت اساره تصدع الروح وتخلب البصر .
والكل يعلم ان كلمة تنويه كبيرة الان هي اكبر
منها، في الواقع، لان الذي يحزم امرها هو
واقعها ذاته الذي ما برح فافد النظارة، قليل
الترتيب، ضيق الشيوخ وسوقه بالنسبة الى
تجار الكتب أبعث على الشك . ويجب ان لا
يجرنا مثل هذا الحديث الى الظن باننا نخس
بالامر هذا الشخص او ذاك . فالرواية اذا كانت
نوعا ادبيا، فالاشخاص فيها، حتى افضلهم
ليسوا اكثر من بضع اشجار لا غابه . كما لا يعني
هذا ان الرواية العراقية ولدت من ليلة سفاح
او نزلت من قمر كوني جاء من وراء أرض زحل .
فالرواية العراقية درنة حية وهي تتوح بالحيامن
المخصبة . لانه بعكس ذلك يغدو الامر مثل
خرافات المحومين: شيء فسفوري تخلفه
الحرارة التي تتجاوز درجات المحارير
الطبيعية . فما ان تزول لحظة الهلوسة حتى
ينفثي الجو عن فقاعة من الوهم . لا الرواية
العراقية لا هي عاقر ولا هي نفل وان كانت
بعض الظنون باقية تحوم حولها وكأنها فتاة
طالت خطبتها دون سبب واضح .

ليس لهذا السبب بالذات يرى بعض
المرجعين - عن حق - احيانا - بأن الرواية
العراقية سيكون لها عمر سلحفاة وصبر سلحفاة
لا بل سرعة سلحفاة؟ واضيف الى ذلك : الا
اذا قدر للحياة الثقافية في العراق ان تنجو
من قبضة الاستبداد السياسي الذي يعصف به
منذ خمسة عقود واكثر من دون توقف وقدر
له ان يشهد فترة من الاستقرار المستتير .
وباختصار الا اذا شهد العراق عهدا من الحرية
طويلا وثابتا وقابلا للتطور وكفت اشكال الحكم
المطلق عن الطمع في تجربة حظها على ابنائه
التعساء الحظ . وبهذا الخصوص ، ينبغي ان لا
نكتفي بطعم الامثلة التاريخية، فهي ، ان كانت

قوية النكهة، الا ان خطرها يكمن احيانا في
انها لا تشبع المعد الخاوية وثمنها باهظ قياسا
الى الواقع الحي . فنمط الازدهار الروائي مثلا
في روسيا القيصرية، في ظل الحراب
والاستبداد، عبارة عن ظاهرة معقدة من حيث
تركيبها وزمانها داخل اطار اوربا الرأسمالية
التي لم تكن حتى تلك اللحظة قد اهتزت
بتجربة لن تنساها ما ظلت على قيد الحياة
وتلك هي تجربة اكتوبر وليس من سبيل الى
الدقة في المقارنة مع بلد كان شبه مستعمر
ناخت عليه قرون طويلة من الركود والارربة
والسياط كالعراق .

ولهذا ففي حالة كهذه، ليس من المرجح
ان ننجو من خطر استنتاج يرى ان الالم هو
مخصب الرواية وليس الا الظروف المتسمه
بالتعاسة والاستبداد قادرة على ايجاد نسل
روائي فحل - فالى الجحيم بالانظمة
الديمقراطية طالما بقيت الرواية مزدهرة هذه
المأسوسية الادبية وان لم تكن معلنة فهي تملأ
الجو برائححتها الخانقة . وبدل ان تضحي
الرواية سبيلا الى حرية الانسان، تتحول الى
مسوغ لكي يرقد رقدته الابدية في قعر الذل
ويستمع بقراءة الروايات الدامية، البالغة
الذروة والروعة ،

وليس اخطر من هذا العبث الذي لا يمت
الى صلب الثقافة الحقيقية بشيء .
ان الرواية العراقية بأمس الحاجة الى
النور والجو المنعش للحرية والى رافعات
اجتماعية جبارة ترفع عن جسدها النحيل
المهصور القيود والمحرمات التي ما زالت
ترسف فيها منذ زمان بعيد .

واذا كنا نقول بأن خيط الرواية العراقية
يلوح بل ومتقطعا في احيان كثيرة وأن
تضاريسها الحقيقية ما زالت غارقة في ضباب
المستقبل فلا يعني ذلك ان هذه الرواية
يفصلها عن الرواية العالمية زمان فلكي يصعب
عبوره حتى باسرع الصواريخ الكونية . ليس
هناك زمن ضوئي حقا وبمعايير الثورة العلمية
والتقنية المعاصرة ، فان ذلك الفاصل الزمني
الطويل قد لا يلوح بذلك الطول الذي يذهب
بالصبر ولا يثمر الا عن التواكل والاستسلام .

القوى السياسية الهمجية السوداء .

ولنتفادى سوء القصد بتفسير صغير. فإذا قلنا ان الرواية هي النوع الادبي الذي عبر به المجتمع البورجوازي عن وعيه لذاته، فلا يعني هذا مطلقا ان حفنة من الرأسماليين قاموا بموءامرة لصنع الرواية على هذا النحو. ببساطة لم يكن للرواية كنوع ادبي، قبل قيام العلاقات الرأسمالية وجود حقيقي . فمثلما كانت ابنة الطبقة المتوسطة في القرون الوسطى، فان الرواية هي ابنة البورجوازية في مجتمعيها . ولكن الا يثير هذا الامر تساؤلا من مثل هل تحتاج الرواية لكي تنشا وتتطور الى مجتمع بورجوازي، اضافة الى النبوغ الذي لا نستطيع ان نحس بدقة طوبوغرافية اذا اكتفينا بالتبسيط، نستطيع القول بان الشرط الاجتماعي الحاسم لوجودها مجتمع يقوم على علاقات اجتماعية ما بعد اقطاعية، سواء كانت رأسمالية ام لا . باختصار، الى مجتمع عصري، مجتمع حديث . ولكن هذا لن يعني في ظروف العالم المعاصر ان كتابا ما لن يستطيع ان يكتب رواية وهو بعده يعيش في مجتمع ما قبل رأسمالي . فتبادل التأثيرين مختلف اجزاء العالم الذي خلقه تطور وسائل الاتصال وضغط الظروف الخارجية ينبغي عدم التقليل من شأنهما ابدا، وان كان هذا الشذوذ لا ينفي القاعدة بل هو اميل الى تأكيدها .

ان الرواية العراقية تحتاج الى "قاعدة للغة" اذا انها لا تستطيع الا بها القضاء على مواسم قحطها . فنتفة روايات وحفنة اعلام اقل منها عددا لن تبقى توءلف تاريخا حيا، بل مجرد تاريخ انثروبولوجي يشرح قسما وتركيب واصول هذه العشيرة الضئيلة بالنسل الذي كان يمكن وما يزال ان يجعل منها قبيلة وأمة في دنيا الانوات الادبية في بلدنا .

لقد انحصر تاريخ الرواية العراقية حتى الان في نطاق واقعية شاحبة من نوع واقعية القرن التاسع عشر وان كانت قد ازدادت موءخرا بمحاولات اكثر تطورا وبتجريبية مستعارة ومتطرفة دون تأن كاف . ولهذا يبدو ان خبز الموائد المنصوبة لن يكون كافيا لصنع قاعدة المستقبل . فالغزارة لا تعني فقط

كل رواية يبدو انها تولد من معطف احد الناس، وهذا الغوغول موجود كذلك في تاريخ روايتنا المعاصرة . ولكن الرواية في اخر المطاف لا تولد الا من ضغط الوقت ومن النبوغ في آن واحد معا . فوجود واحد منهما لن يبعث الا قبيلة رطبة تنتج الدخان دون ان تصدر عنها فرقة واحدة . واذا صح ان النبوغ لا يظهر الا اذا طابق حاجات زمانه، فصحيح ايضا ان كل نشاط التاريخ هو في التحليل الاخير نشاط الانسان المصدع ذاته وليس نشاط الحماة والكائنات غير العاقلة، مهما بلغت هذه من اهمية في حياة الكائن البشري .

وفي الرواية العراقية حدس من هذا القبيل .

حقا لقد كانت هذه الرقعة الضئيلة من خارطة العالم - العراق - تبدو في وقت ما كان احدا لا يعبرها الا البعران التي تحمل نجارة البدو وتنوح تحت عبء العلق الضريبي للولادة العثمانيين ولكنها ما لبثت ان تحولت الى قطعة موهجة على الخارطة الاستراتيجية لمصالح عدد من القوى العالمية والمغامرين . وهكذا فقد كان استعراق العراق في حلمه الرتيب وجيزا، انقضى وقت ان انتفض من عفوته على الم الحفارات الغربية تحفر لحمة وتستخرج المعادن النائمة في احشائه . وكان هذا اكبر جانب من جوانب العملية التي ألقت بالعراق في مجرى التاريخ الحديث وصنعت له ضغط الزمن المطلوب . غير انه لم يكن كل الزخم الضروري . ويكفي القول ان ديناميكية التطور الداخلي لبنية المجتمع العراقي لم تكن بتلك القوة التي أمكن ملاحظتها في مصر مثلا، وبدرجة أقل منها في لبنان وسوريا، الموضوعية لتطور الرواية وانتشارها في هذه البلدان قياسا الى العراق . دعونا نتذكر ان سعد زغلول في عام ١٩١٩، في حين لم تنتظم بورجوازية العراق ان تصل الى الحكم بقيادة باربعين عاما في ثورة لم تكن لتسلمها بعدئذ لقمة سائغة الى خليط من

التأكيد على اهمية (أساليب النوع الادبي) لان الفصل بين الاسلوب واللغة من جانب وبين النوع الادبي من الجانب الاخر قد افضى الى تركيز الدراسة بالاساس على الاصداء الفردية والاتجاهية للاسلوب، في حين تم تجاهل النبرة الجوهرية له وكيونته الاجتماعية .

لقد طغت وغطت التحويلات التي طرأت على الاسلوب والتي ارتبطت بكتاب فرديين وبأ اتجاهات فردية . على المصائر التاريخية الكبرى لفن الاسلوب والتي ارتبطت بمصائر مختلف الانوات الادبية . فغالبا ما اعتبر الاسلوب كأنه لا يتعامل الا مع المهارات الفردية فيتجاهل الحياة الاجتماعية للاسلوب خلف طاولة الكاتب اى في المساحات الفسيحة للمساحات والمدن والشوارع والقرى . بين الفئات الاجتماعية المختلفة والاجيال والحب والاعمار . أو ان العكس تماما هو الذى يقع .

وحتى القرن العشرين ، بقي فن الاسلوب دون مقود ولم تطرح القضايا المتعلقة بفن اسلوب الرواية لان المنهج الذى كان قائما لم يعترف الا بفردية الاسلوب اللغوى في الرواية . ولفترة طويلة ، بقيت الرواية هدفا لفحص

الايدولوجي المجرد او التقويم الدعائي . كانت المسائل الملموسة لفن الاسلوب اما ان يجرى تجاهلها او تعتبر امرا عارضا ليس له اى أساس في أية مبادئ ، اذ اعتبر اسلوب النثر عموما ، ان كان فيه ما يستحق الذكر مجرد جزء من الاسلوب الشاعرى ، بالمعنى الضيق للكلمة .

غير انه في حوالي نهاية القرن الماضي ظهر وضع معاكس للفحص الايدولوجي المجرد لمثل هذه القضايا وذلك في ازدياد الاهتمام بالقضايا الملموسة للمهارة الفنية الحرفية في النثر والقضايا التقنية للرواية ، الطويلة والقصيرة على حد سواء .

لكن هذا الاهتمام لم يكن مقترنا بوجود منهج مبدئي وملموس وهما الصفتان اللتان ينبغي ان تتماشيا جنبا الى جنب . ويتصل هذا المنهج بالخصائص المحددة للحياة الاسلوبية لنسيج الروائي اللفظي .

عددها - على اهميته البالغة في هذا السياق - بل ما تنطوى عليه من نبوغ متسع ايضا ، كما ان التناسل لا يحتاج فقط الى عدة واسعة وانما الى ثقافة روائية اوسع ، ثقافة تتعلق بالمفهوم الروائي ذاته كنوع ادبي مستقل ولقوانين عمله الداخلية . ان العمل للمستقبل دون شروط مسبقة كهذه معناه التفقيس في فراغ . ونستطيع ان نلخص هذه الشروط بكلمة واحدة هي : تحديث الرواية العراقية .

ولكن من اية زاوية يمكن ان ننظر الى مسألة (تحديث) الموجودات القائمة للرواية العراقية ؟ بالعودة الى سياسة (الثكنات) الايدولوجية حيث توضع الواقعية في مقابل الحداثة ، ام القيام بدراسة صورة ، حريصة للمفاهيم السائدة حول الرواية والتطورات التي شهدتها في ضوء ما طرأ على العالم من تبدل ؟ وفي ضوء متطلبات الرواية العراقية نفسها ؟ صحيح ان الثقافة الروائية هي مجموعة من المفاهيم والمصطلحات والخبر والتيارات التي ينبغي ان تدرس في ضوء ملاساتها الايدولوجية ولكن شريطة ان تتحدد الرقعة الحقيقية لها داخل المجال الروائي ، لا العكس كما يحدث عادة حين يجرى تصنيف هذه الثقافة في ضوء اعتبارات خارجة عنها ولا تساعد على امتصاص وتشغيل المصادر الحية التي انبثقت في مجريات التطور خلال هذه الفترة .

هناك تعارض مزعوم يوضع على الدوام بين الواقعية والحداثة . وهو تعارض يصح ، اذا جردناه من قشرته الايدولوجية ، تعارضا ما بين الواقع والتطور . وهو امر مستحيل .

واذا شئنا ان نعبر عن ذلك بصورة ملموسة على نطاق الادب ، فانه ينعكس على حد قول الناقد ميخائيل باختن في الفجوة القائمة بين (الشكلية) المجردة و(الايدولوجيا) التي لا تقل عنها تجريدا في دراسة الاسلوب الادبي . والسبب واضح ، على ما هو عليه من تعقيد : ان الشكل والمضمون يكونان وحدة محددة في الاسلوب شريطة ان نفهم من الاسلوب بانه ظاهرة اجتماعية في كل جانب من جوانب حياته . وقد يكون هذا هو الباعث على

كان شائعا الرأي الذى يرى في فن
الاسلوب الروائي مجرد وسيط لا يتميز بأية
معالجة اسلوبية أصيلة وخاصة. فطالما افتقد
هذا الاسلوب الى أى شكل شعري،
بالمعنى الضيق، فإنه يغدو مجردا من أية قيمة
فنية. فهو اسلوب، حسب هذا الرأي، مثله مثل
أية لغة علمية أو عملية، أى مجرد وسيط
للاتصال يمكن اعتباره محايدا من الناحية
الفنية.

في عشرينيات هذا القرن، بدأ الامر
بالتحول.

لقد كشفت التحليلات والاطروحات التي
كانت ترمي الى اقامة اسس منهج من هذه
القضية بكل وضوح بأن مقولات فن الاسلوب
التقليدى كافة ولا سيما مفهوم الاسلوب الشعري
الذى تقوم عليه هذه المقولات لا يمكن ان
ينطبق على فن الاسلوب الروائي الذى برهن
على أنه محك لكل الفكر الاسلوبي وكشف عن
صيق وعدم كفاية فن الاسلوب التقليدى في
جمع ميادين الاسلوب الفني.

لقد كان اصل المشكلة في حبل السرة لا
الهيئة التي صار عليها المولود الجديد في
ما بعد. فالاسلوب الروائي كان مطرودا من
البداية من ميدان الاصاله وتابعا الى اصول
المذهب الشعري للاسلوب الذى يرى قيمة
الاسلوب بما ينطوى العمل الفني عليه من
أهمية لغوية. فقد كان الاسلوب هو اللغة.

ولهذا السبب وقعت كافة المحاولات
لتحليل فن الاسلوب تحليلات ملموسا في الرواية
اما ضحية الاوصاف البلاغية للغة أو اكتفت
بملاحظة العناصر الاسلوبية الفردية في الرواية
والتي اخذت توصف على نحو يتناسب
والمقولات التقليدية لفن الاسلوب.

في كلتا الحالتين كانت الرواية واسلوبها
يضيان من يد الباحث ويتسريان من
بين اصابعه.

ان الرواية عموما هي ظاهرة تتجسد في
تشكيلة متنوعة من الاساليب والاصوات
والخصائص الفردية للغة. فالباحث يصادف
عددا من الوحدات الاسلوبية غير المتجنسة

وهي تحتل اماكنها داخل النسيج اللفظي
للرواية على مستويات لغوية متباينة وتضخ
الى مختلف الانماط الاسلوبية.

ويمكن حصر النماذج الجوهرية للوحدات
التأليفية والاسلوبية للرواية بوصفها الوحدة
النهائية لكل هذه الوحدات، فيما يلي:

أولا - السرد الادبي المباشر للكاتب.
(بكل ما ينطوى عليه من تفرعات مختلفة).
ثانيا - اضاء طابع اسلوبي على مختلف
اشكال السرد الشفوية المتداولة.

ثالثا - اضاء طابع اسلوبي على مختلف
اشكال السرد المكتوبة والمتداولة شبه الادبية
مثل الرسائل واليوميات والمذكرات، الخ..

رابعا - مختلف اشكال الحديث الادبية
للمؤلف التي تتميز بطابع فني اضافي مثل
الاحاديث الاخلاقية والفلسفية والعلمية وما
شاكل ذلك.

خامسا - الاحاديث الاسلوبية الفردية
لمختلف الشخصيات في الرواية.

وقت ان تدخل هذه الوحدات الاسلوبية
الرواية، فإنها تتداخلها دون ان تكون متجانسة
وتأخذ داخل الرواية بالتمازج في منظومة
فنية أعلى وتضخ فيه الى هذه الوحدة الفنية
العليا للكل. ان هذا الكل لا يتطابق مع أى
من الوحدات التابعة والفرعية.

الاسلوب الروائي يتألف من مزج اساليب.
ولغة الرواية هي عبارة عن منظومة "لغات"
وكل عنصر فردى في لغة الرواية يتحدد مباشرة
من قبل هذه الوحدات الاسلوبية المنفرعة، في
ذات الوقت الذى يؤثر فيه ذلك العنصر على
الاسلوب النهائي للرواية ويحمل كذلك بصمة
هذا الاسلوب ويساهم بقسطه في بناء المعنى
الشامل للكل وفي الكشف عنه.

ان هذا التطور الذى أصاب الموضوعات
من خلال اللغة والحديث وتفككها الى سيول
وقطرات من التنوع الاجتماعي في الحديث
والاستخدام الواسع للحوار هو الذى يؤلف
الخصائص الجوهرية لفن الاسلوب الروائي.
مثل هذا المزج للغات والاساليب في
وحدة أسمى لا تعرفه فنون الاساليب التقليدية
ولا تملك منهجا اصيلا من لغة الحوار

نهاية الامر على احدى الوحدات الاسلوبية الفرعية المستقلة نسبيا في الرواية . لكن نموذج هذا التحليل لا يتفق في الرواية وشموليتهما مع العنصر الذي يتم اختياره على انه هو الجوهرى في الرواية، طالما ان هذا العنصر اذا سحب من تفاعله مع العناصر الاخرى داخل الرواية يتبدل معناه الاسلوبي ويكف عن كونه ما كان عليه بالفعل داخل الرواية .

ويبين الاسلوب الروائي بأقناع تام بأن المقولات والطرائق الاسلوبية التقليدية عاجزة عن مجاراة خصوصيات الرواية . فالمقولات الشاملة من قبيل "اللغة الشعرية" و "تفرد اللغة" و "الصورة" و "الرمز" و "الاسلوب الملحمي" وغير ذلك والتي تطورت واستخدمت في فن الاسلوب موجهة الى انواع وحيدة الجانب وحيدة الاسلوب، أى الى الانواع الشعرية على وجه الحصر .

ان وجهة النظر التي تستثنى كلية من ميدان الاساليب الشعرية النثر الروائي على اساس انه تشكيلة بلاغية صرفة، تثير مع ذلك اعترافا مبدأيا لا يقبل التأويل الا وهو ان جميع الفقهيات الراهنة بكل اساسها الفلسفي اللغوى، لا تستطيع ان تتماشى وشمولية فن الاسلوب في الوقت الحالي .

لكننا سوف نجد، من ناحية اخرى، ان الاشكال البلاغية تكشف، اذا اخذت بصورة صحيحة ومن غير تعصب، عن التمايزات الخارجية في بعض جوانب الاسلوب مثل الحوار الداخلي فيه والظواهر التي ترافقه وهذا الامر لم يؤخذ حتى الان بصورة كافية بالحسبان ولم يفهم تأثيره الواسع على حياة اللغة .

لقد ارتبط النثر الفني للرواية دوما بصورة عضوية وثيقة بالاشكال البلاغية . فعلى امتداد تطوره، لم يكن هناك أى انفصال في هذا الترابط الوثيق (سواء جرى سلما او من خلال الصراع بينهما) مع الانواع البلاغية الحية مثل الاساليب الدعائية والفلسفية والاخلاقية وما شابه ذلك، كما لم يكن النثر الفني والرواية اقل ترابطا مع الانواع الفنية الصرفة مثل

الاجتماعي داخل الرواية .
يتعرض تحليل الاسلوب الروائي الى اتجاهين هما :

أ - الاختصار على وصف لغة المؤلف (او لغة الرواية في احسن الحالات) .
ب - تحليل احدى الوحدات الاسلوبية الفرعية واعتبارها اسلوب الرواية كلها .
تفترض وجهة النظر الاولى وحدة الاسلوب من جهة على انها وحدة اللغة بمعنى وجود نظام من الاشكال القياسية العامة مثلما تفترض من جهة اخرى وحدة التفرد، كما تنعكس صورتها في تلك اللغة .

واذا كان صحيحا ان هذين الشرطين ضروريان في معظم انوات الاساليب الا انها حتى والحالة هذه لا يمثلان كل شيء بالنسبة للاسلوب الموظف في العمل الفني كما انهما لا يحددان ذلك الاسلوب .

فمثل هذه العناصر تشير الى نظام لغوى او نظام للحديث أى الى وحدات بلاغية محددة وليس الى النظام السائد داخل العمل الفني الذى تتحكم به انماط مختلفة تماما عن المنظومات البلاغية للغة والحديث .

ان الرواية تنطوى على تراتب داخلي للغة وعلى التنوع الاجتماعي لهذه اللغة والاصوات الفردية التي ترن بداخلها . وهذا هو النثر الروائي الحق .

ولهذا فان استبدال الاسلوب الروائي بلغة الرواية التي يستخدمها المؤلف يشوه من جانب جوهر فن الاسلوب الروائي لانه لا يمكن ان يؤدى الا الى ان نستخرج من الرواية تلك العناصر التي تناسب اطار نظام لغوى واحد، يعبر مباشرة وللحال عن تفرد لغة الكاتب . ان شمولية الرواية والمهمات المحددة في بناء ذلك التكامل من عناصر متباينة من الحديث والاصوات والاسلوب وحتى اللغات، تبقى ابعد من متناول هذا الاتجاه في تحليل الاسلوب الروائي .

اما الاحلال الاخر فانه يتسم بتوجه لا الى لغة المؤلف وانما الى اسلوب الرواية غير ان هذا الاسلوب يضيق الى درجة انه يقتصر في

الارسطية والاوغسطينية وشاعرية اللغة الكنسية للصور الوسيطة والكلاسيكية الجديدة الكانطية والشمولية القواعدية والقوى للبينتيز والايديولوجيا الملموسة لهمولدت الا تعبير عن نفس القوى المركزية الجاذبة في اللغة الاجتماعية والحياة الايديولوجية . فقد كانت تحمل نفس مهمة مركزة وتوحيد اللغة الادبية .

من وجهة النظر هذه ، اللغة الادبية ذاتها ليست الا تنوعا واحدا في تنوع اللغة . وهذا الترتاب والتنوع الفعليين ليسا هما فقط العوامل السكونية للغة بل هما في ذات الوقت العوامل الديناميكية لها . فالتراتب والتنوع يتسعان ويتعمقان طالما بقيت اللغة حية ومتطورة اذ يوجد الى جانب القوى المركزية الجاذبة قوى مركزية طاردة تعمل باتجاه خلق عمليات اللامركزة والتفكك وهي العمليات الناتجة عن التنوع الاجتماعي والتاريخي .

ففي حين تطورت التفرعات الاساسية للانواع الشعرية في مجرى القوى المركزية الموحدة ، فان الرواية والانواع النثرية المرتبطة بها قد تطورت تاريخيا في سياق القوى المركزية الطاردة . وبينما دعى الشعر لكي يقوم بمهمة الحفاظ على مركزية ووحدة اللغة ، كان النثر الروائي يجمع في بوتقته للكلمات والحكايات وَاغانِي الشارِع والاقوال الماثورة والنكات ، حيث يتلاشى اى مركز للغة ويجرى تلاعب مليء بالحياة بلغات الشعراء والباحثين والرهبان والفرسان وهلم جرا وحيث تصبح كل (اللغات) اقنعة وليس للغة اى وجه حقيقي ومستقر .

ومهما يكن من امر ، فان العمل الابداعي ككل ، من وجهة نظر فن الاسلوب ، مونولوج مغلق ومكتف بنفسه يصنعه المؤلف ولا يفترض الا مستمعا سلبيا يوجد خلف حدود هذا المونولوج . وهو في هذا يبدو قريبا من الديالوج ، الذى يفترض متحاورا اخر او اكثر ولكنه في الوقت ذاته مغلق ومكتف بنفسه على العموم . بمعنى انه متكون من عناصر نظام مغلق لا يسعى الى شىء خارج نفسه . وقد شبه هذا النظام في عمله بنظام اللغة التي لا تستطيع ان تتفاعل حواريا

الاساليب الملحمية والدرامية والشعرية . وهذا التداخل المتصل هو الذى حفظ للاسلوب الروائي هويته النوعية التي لا يمكن اعتبارها مجرد اسلوب بلاغى .

وفي حين يمكن القول بأن النوع الروائي هو نوع فني ، فان اسلوبه شعرى ، الا انه اسلوب شعرى لا يتفق واطار الفهم القائم عن هذا الاسلوب الذى يتبع قواعد محددة كانت موجبة طيلة تطورها التاريخي منذ ارسطو حتى الان ، نحو بعض الانوات (الرسمية) المرتبطة باتجاهات تاريخية محددة في الحياة الادبية والايديولوجية ولهذا بقي عدد من الظواهر بعيدا عن اهتمامه .

ولقد كانت قوة هذه القواعد ومحدوديتها في وقت واحد تكمن في ارتباطها بمصائير تاريخية وبمهمات ايديولوجية محددة . ولهذا فلم تنبثق هذه وتتشكل الا على يد قوى تاريخية فاعلة في التطور الادبي والايديولوجي للعراب الاجتماعية المختلفة والانعكاس النظرى للقوى الفعالة التي تخلق بدورها حياة اللغة . كانت هذه القوى على تلك الدرجة من القوة التي مكنتها من توحيد ومركزة عالم الادب والايديولوجيا .

ان مقولة اللغة الواحدة هي التعبير النظرى على العمليات التاريخية لتوحيد ومركزة اللغة اى انعكاس للقوى الجاذبة المركزية في اللغة . فاللغة الواحدة ليست شيئا جاهزا بل مصنوعا على الدوام وهي تقف في كل لحظة من حياة اللغة ضد تنوعات الحديث الفعلي . ولكنها تملك الواقع كقوة للثقل على هذا التنوع الذى تقوم بوضع حدود معينة له وتضمن له اقصى درجات الفهم ويتطور تركز اللغة في الوحدة الفعلية التي تقوم بين لغة الحديث اليومية المتداولة واللغة الادبية ، اى (اللغة الصحيحة) .

انماط اللغوى العامة والواحدة هي نظام من (اللغظي) والايديولوجي وتمركز التفكير الشفوى اللغة الوطنية نواة صلبة ومستقرة للغة الادبية الرسمية المقررة او المقبولة عرفا . وما الاساليب

مع لغة غريبة عنها .

ان القضايا المرتبطة بفن الاسلوب الروائي يوءى بالضرورة الى الحاجة لتناول عدد من المسائل المبدئية في فلسفة الاسلوب وهي قضايا تتصل بتلك الجوانب من حياة الاسلوب التي فأتت عمليا على انتباه الفكر اللغوى والاسلوبى في السابق وبخاصة وتصرف الاسلوب في عالم يتميز بتنوع الحديث واللغة .

ما هي العبرة من كل حديث باختن بالنسبة الى الرواية العراقية؟ مجرد طلبة تنوير في ليل يصرخ فيه الجميع كما شاء أو أم تحديد للخطوة الملموسة ؟

ثمة من يعتقد ان كل هذا هراء لن يفضي الى شيء اذا لم يحدث زلزال يهز الرواية العراقية كلها من النفوة ويريه الحشرات المخيفة التي قد تنقلها الى عالم الاخرة بخطوة واحدة. لكن تفسير الزلزال هنا لن يعني الا حدوث "انقطاع" في الاستمرارية الكمية. حدوث الطفرة المنتظرة التي لن تقع قطعا دون تحضير ، دون تهديد التربة وقلبها ، دون ارساء منطلقات جديدة سواء في الكتابة الروائية ام في نقد الرواية .

ولكي نبذل هواء الغرفة ، لا بد من فتح النوافذ: ان الهواء الذي تنتفسه الرواية العراقية، الى جانب سموم وابخرة الاوضاع الاجتماعية السياسية، يئلف رئتيها لانه مؤكسد بالمفاهيم المغلوطة والمتخلفة ان الرواية ليست نوعا من (لغة) تحتل مقاما ثانيا في سلم الرتب. كما انها ليست تابعا الى سيد أعلى منها دمه أزرق وعرقه متأصل في التاريخ واذا كانت الرواية العراقية ما زالت تحبو فلانها ستغدو مخلوقا يغذالسير على قدميه وهذا مكتوب في سيرة الرواية نفسها وفي شهادة الميلاد .

الشيء الآخر هو ان يستبدل الروائي قد المحدودية المشؤوم بفهم أفضل لارضية الواقع: التاريخ، الذي لا يقبل التراخي في مسألة تكون صلبة وهي التطور الذي لا يحد ولن يتوقف ، لانه في تلك الحالة تكون الحياة ذاتها قد شارفت على الهلاك .

هل درست الرواية العراقية حتى اليوم بوصفها كيانا متداخلا من الاصوات واللغات والاساليب أو في ضوء ذلك؟ وهل بحثت من زاوية تراتب عناصرها وتداخلها في نسج لفظي يتخذ طابعا يختلف كلية عن عناصره المكونة وتظل في الوقت ذاته متصلة ببعضها؟ هل اخذنا بالاعتبار جوهر اللغة ، مثلما اشار اليها باختن وحاولنا ان نفكك بنية الرواية ونعيد ربطها لكي نكشف عن جميع طبقاتها وطرقها الخفية، وهذه كلها لا تزيد من منطلقات أساسية لا تحديدات خارقة تقتضيها عضلات مدربة تحت عين خبير .

ومن دون هذه الخطوة الأولى، سيكون طريق الحداثة امام الرواية العراقية مسدودا أو ملغوما بالمفرقات . ان الواقعية والحداثة يمكن ان يتعارضا في حالة واحدة: اذا تحصنا داخل شرنقات "ايدولوجية" أو "شكلية" مجردة كالتي اشار اليها باختن .

لن تكتفي الرواية العراقية بهز ذيلها، كالقط الغاضب. فهي بأمس الحاجة الى ذخيرة عصرها لكي لا تنتقل نهائيا الى عصر منقرض ويعثر عليها الباحثون وسط الاحجار البائدة .

ولكن الرواية العراقية من الناحية الاخرى لن تكون قادرة على صعود سلم الحداثة من الفراغ . فالفراغ لا يفضي الا الى الفراغ. ان الاندفاع غير الموزون نحو التجريبي المتطرفة سيخلط الحابل بالنابل ويحدث هرجا في سلم القيم النقدية وأصول التأليف الروائي ، اذا لم يصحب كل خطوة من الخطوات التي تتقدم فيها الرواية تحليل نقدي تقوي. لكن التجريبية لا تخيف قد الروح المحافظة التي تسجن الرواية في مواقع سكونية وسط الزمن المتبدل .

ان كل مشكلة الرواية العراقية تنحصر في وعيها الذاتي لنفسها داخل اطار الادب والثقافة العراقيتين وهي مشكلة لا تتعلق بها لوحدها، في واقع الامر وان كانت تقتضي منها أن تبدأ بالتحرك دون ان تبقى تتلصقا بانتظار حدوث معجزة لن تقع ، على أية حال . يلاحظ المرء بحق افتتاحا متزايدافكرة

يوصل المحاولة من جديد من أجل أن يصفها
كي يعطيها صفة اصالة موثوقة وشخصية .

كتب هنري جيمس في مطلع هذا القرن
مقالة يعاين فيها مستقبل الرواية فقال: "إن
الرواية لم تصل والحق يقال الا متأخرة الى
وعي ذاتها ولكنها منذ ان استطاعت ذلك
راحت تبذل أقصى جهد ممكن لكي تعوض ما
فات عليها من وقت " . وبينما شخص جيمس
شرحاً آخذاً بالاتساع بين الوظائف الشعبية
والجمالية للرواية، فانه توقع حدوث تحولات
كبرى تكون فيه الرواية أقرب الى حقيقتها .

وفي السنوات التالية حتى العشرينات
تعرضت الرواية الى قدر عظيم من اعادة النظر
كان على نحو ما تحقيقاً للقدرة الشعرية
والرمزية الكامنة في الرواية، الا أنه كان أيضاً
نوعاً من الازمة فقد الروائي المعاصر فيها شيئاً
من ثقة القرن التاسع عشر بالواقع وفي توالي
التقدم وفي النمو الطبيعي للعلاقة بين الافراد
وتقدمهم الاخلاقي والاجتماعي . ولهذا
انعطفت الرواية الى عالم أضحت فيه هذه
العلاقات الاساسية ذات طبيعة انتقالية
فاندفعت الى داخلها لا لتعكف فقط على
دراسة المصادر الرمزية والميثولوجية وانما
أمنت النظر أيضاً في تعقيدات واشغالات
الوعي الابداعي وزاوية الرؤية ووجهة النظر
واصول التصوير . وتوغلت عميقاً الى حيث
يتدفق الوعي الفردي والجماعي الذي اخذت
بنيته طابع علاقة متبدلة وزماناً متحولاً . كما
انها حولت بصرها الى الخارج نحو عالم اقل
ملموسية وتماسكاً (رسوخاً)، نحو تاريخ حافل
بالفوضى ونظام اجتماعي مضطرب . وشددت
على العلاقات الملتبسة بين الحياة الداخلية
والخارجية . ولكنها في هذا كله بقيت متمسكة
بقناعات جديدة عن تعدد وجهات النظر الى
العالم الذي خلق لدينا الاحساس بالخبرة
والواقع .

كانت تلك هي المرحلة الاولى مما أطلقت
عليه مجموعة من النقاد اسم "المودرنزم"
(وهو اصطلاح غير دقيق الا اذا كان الهدف
منه نسبة حركة التحديث في الادب والفن الى

الرواية بين الكتاب والنقاد على حد سواء ،
في الوقت الراهن . وقد يكون هذا أحد
الاسباب التي أدت الى احتدام الجدل حولها .
لقد نفقت الرواية في النقد عن نفسها موقعها
المتدني وصارت مثار اهتمام كبير وأخذت
تتناثر نظريات وتواريخ الرواية والسرد وراح
قم من النقاد يبحثون في المفهوم الذي يرى
أن الرواية مكونة من حيث الاساس من الحكمة
الشخصية والوصف وانتهوا الى أنها مكونة
كذلك من بنية وأسلوب وشكل وأوا أن الرواية
شيء أكثر من مجرد تصوير للحياة .

انها ابداع لحياة . حكاية مصنوعة من
الفاظ توازي لكل الحكايات الاخرى التي
تكونها عندما تتوفر على تنظيم وتوضيح
الخبرة (التجربة) وتحديد الواقع . لقد اخذت
الدراسات تركز على أنواع السرد ومنطياته
واعترت الرواية عينة على الوعي الذاتي في
تنظيم الخبرة . وأخذت تراث البنيوية والشكلية
يطبق بصورة متزايدة الى جانب التقنيات
العقدة للتحليلات الماركسية وقد ظهرت الى
الوجود الآن جملة من النظريات التي تعتبر
الرواية ظاهرة سرديولوجية . وكان من الواضح
أن هذه المفاهيم تؤثر على ما يقوم به
الروائيون المعاصرون ، رغم أنهم لا يقعون في
حبالها .

ويواصل مالكولم برادبري قائلاً في مقدمة
كتابه "الرواية اليوم" : علينا ان نتذكر بأن
التزامات الناقد والكتاب هي التزامات متباينة
للتأية . فمهمة الناقد هي ان يسبر غور تاريخ
الشكل وطابع وجوده الثقافي وانماط الابداع .
اما الالتزام الذي في عهده الكاتب فهو أن
ينحول الى مبدع أسلوبه ومجرب في خلق
عالم لا يوجد بشكله الكامل بالنسبة له الى ان
يكون قد خلقه وان عليه أن يتوصل الى
امكانية ابتكار كتاب في عالم ما زال يراه ناقصاً
من الاسم حتى الآن . وهو يقوم بذلك من
خلال موروث هو موروث الرواية وضد هذا
الموروث في وقت واحد . فهو يكرر الشكل ولكنه

يعيد صنعه في الوقت ذاته وهو يمارس حرية
الاختيار في وضع تاريخي وثقافي محدد ولكنه

لمؤدى اللعبة أو من يمثل دور متعهد الحفلات .

عموماً، أضحى المركز الواقعي يميل الى الاضمحلال وفقد النص المستقر استقراره وتم توجيه الدعوة الى قارئ الرواية بطرق روائية وقد تبين أن هذه التطورات كانت تحدث بنفس الايقاع تقريبا على نطاق واسع من العالم .

اننا نعيش الان في عصر ازداد فيه بصورة ملحوظة الطابع الانتقالي للرواية . والحق ان التساؤلات بخصوص الطبيعة الروائية والاجزاء المكونة لها مثل دور الحكبة والقصة وطبيعة الشخصية والعلاقة بين الواقعية والفاطازيا قد صارت الان في مقدمة ما يلفت الانتباه، بحيث نستطيع القول دون تردد بأن هناك نقلة جمالية جادة تشق طريقها في الرواية وتبشر بقيام عهد اسلوبي متميز وجديد .

وليس هذا الامر بالمستغرب ، لان وقوع ذلك من حين لآخر يعد جزءاً من استمرارية وتطور الرواية . فالمناقشة الجارية رغم ما تنسم به من شدة لا تعتبر في كثير من النواحي امرا جديداً . فمعظم التساؤلات والقضايا المطروحة في مجريات المناقشة تتصل مباشرة باليوم الذي انبثقت فيه الرواية انبثاقاً كاملاً بصفتها شكلاً في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ان الرواية تتأرجح بين قطبين يسحبانها باستمرار : الاول هو ميلها الفطرى نحو الواقعية والتوثيق الاجتماعي وتشابك علاقتها بالاحداث والحركات التاريخية . والثاني ميلها الفطرى نحو الشكل والتخيل والبحث التأملي في الذات . لهذا السبب اكتسبت الرواية دوماً سمعتين : الاولى سمعتها كشيء يتسم بالبراءة النسبية حينما تكون أداة تعبير عن المسرة التي نجدها في الحكاية وغبطتنا بالواقعية الاجتماعية من خلال اللغة الادبية الوحيدة التي نتحدث ونكتب بها الا وهي النثر . والثانية سمعتها بأنها ابتكار لفظي معقد يسر عبره غور ملايسات السرد وتوقييدات البناء والقضايا المتعلقة بوضع قواعد التجربة والحيرة التي تساورنا عند خلق شعور بالصدق

اتجاه فكري معين وتجريد الاتجاهات الاخرى منه وساعد على تبلور هذا الموقف من الحداثة الموقف المتمزمت الذي ما برح النصيون يتخذونه الى اليوم من هذه المسألة) .

غير ان في هذا الوقت لاح ان جانباً كبيراً من القوة الدافعة للحركة الحديثة قد نصب . فشهدت سنوات ما بعد الحرب الثانية انبعثت الرواية الليبرالية والواقعية . ولقد اظهرت الرواية بعد عام ١٩٤٥ كل امارة من امارات التاكيد من جديد على قوتها الواقعة الكامنة ونزوعها الاخلاقي والاجتماعي وفهما للحياة على أنها عملية تقدم . لقد اعيد تمثيل دروس الكتاب المعاصرين العظام مثل دوستوفسكي ومان ، جويس وبرست ، موسل وكافكا ، فوكنر وفرجينيا وولوف ولكن بروح من الواقعية النسبية ولم يكن هناك الحاج على القضايا التقنية والمعرفية . لقد أضحت الرواية التي انبعثت في الخمسينات تنعثر في الستينات ، حتى اخذت الحال بالتغير . فقد شرعت المسائل الشكلية والمعرفية المتعلقة بالرواية تؤكد نفسها من جديد وأخذ عدد من الروائيين الذين بدأوا يكتبون بعد الحرب بالتبدل من ناحية الاسلوب واتضح ثانية التأكيد على وهم التاريخ أو تلفه وانبعثت المشاكل المتعلقة بخلق شخصية ملموسة في عالم يحوم فيه الخطر على الانسانية ويعتقد فيه الكثيرون أن الانسان لا يزيد عن مجموع الادوار التي يلعبها .

وهكذا أضحت فكرة الرواية كحكاية واقعية موضع تحد ككرة أخرى .

لقد أحكم كتاب الطابع المرجعي للرواية مستخدمين أنماط من التحقيقات والوثائقية والوسائل الصحفية كما هو الحال في الرواية غير - الخيالية . بينما أكد اخرون على البعد الواحد للشخصية وعلى تسطيح الحكبة من خلال محاكاة الاشكال الشعبية أو ابتكار الرواية التقنوترونية وقد شدد اخرون على زوغان النص وعلى تقلبه . فكتبوا روايات يخفي فيها الواو الاساسي من مسرح النص لكي يؤكّد على صدق حكايته او يعاود الظهور في القناع المفضوح

من نسج غير حقيقي . لقد تنازعت وتعاشرت
كلتا السمتين وساعدتا على اعطاء الرواية
تنوع الشكل الذي صارت تمتلكه الان . وهو شكل
مأمل للغاية في التاريخ ، يهتم لحد كبير
بالتصوير ومع هذا فانه ينزع بالضرورة نحو
البحث في الذات و" التأمل " . وفي فترات
التأكيد على هذا الجانب من الرواية أو ذاك ،
الا ان عملية التآرجح في وقتنا هذا أضحت
أكثر احتداما .

وعلى الرغم مما هناك من جدل وحركة
متميزتين صوب اتبعات شيء ما أشبه ما يكون
يظهر عهد اسلوبي جديد فاننا نجد ان من
الصعب اعطاء تعريف شبه تاريخي لما هو واقع
لقد اشار كتاب الى مصطلحات من قبيل (ما
بعد الرواية) و(ما فوق الرواية) ، حاولوا ان
يصفوا فيها طابع الرواية التجريبية المعاصرة ،
بينما اقترح آخرون كيانا اوسع لفترة اسلوبية
اطلقوا عليها اسم " ما بعد المودرنزم " . ويرد
هؤلاء ان يقولوا انه مثلما تطلب العهد الاول
من " المودرنزم " هدمها للمفردة التقليدية في
نقد الرواية لكي يصبح من الممكن فهمها ،
كذلك فاننا نحتاج اليوم الى علم مصطلحات
جديد والى نمط جديد من الممارسة النقدية
لكي يمكن حل مشكلة الرواية الحديثة . وقد
تكون هذه خطوة هامة نحو فهم الرواية
الحديثة ، الا انها تحمل معها خطورة تأصيل
جزء بعينه فقط من اتجاه اوسع منها لحد ما .
هناك نقاش واسع يجري فيه التساؤل
عن شؤون الرواية ، تبدو فيه بعض الانشغالات
واضحة بالاساس القصصي للروايات مثل دور
السرود وقضايا الرواية والسلطة التي يدعيها
على نصه والعلاقة بين البنى الروائية وأنماط
البنى الأخرى للكتابة النثرية مثل الكتابة
التاريخية والسير الذاتية والتحقيق والاعتراف
بالروائية اللاغائية التي يكفي فيها ببساطة
وجود النص ذاته من دور حاجة للتأكيد على
معناه ومعنى العالم الذي لم يعد ينظر هؤلاء
اسبابا وانما تجريبيا ببساطة وبالتقليد
الاسلوبي والمحاكاة وتشابك مختلف الاساليب
والطرق وبسلطان الحكبات واغراءات النهايات
وقسراتها وبخطر وامكانيات الرمز والتصميم

وبمساءلة ما اذا كانت الرواية قادرة على
استقطار المعنى أم أن قدرتها محدودة في
خلق تكوينات منطقية بطريق الصدفة . وهذه
كلها ليست بكل تأكيد مجرد محاولة واحدة .
ومثلما هو عليه الحال في كثير من المنظومات
الاسلوبية ، ليست السمة البارزة في آخر المطاف
هي تفرد الاسلوب (اسلوبا) وانما الطريقة
التي تبدو فيها كثير من الاساليب المتنوعة
التي اثبتت عن حاجات وانشغالات متباينة
أشد التباين لدى الكتاب الذين أيدعوها
وقد ترابطت فيما بينها .

ان الميدان الجمالي في الرواية اليوم
بالغ التنوع والسعة فهو يمتد من روايات
بورغيس التي تستغرقها مكانة الافعال الوهمية
(المتخيلة) والعلاقات بين نظم التفكير
والنظم الكونية وابتكارات نابوكوف الهائلة
للعوالم الخيالية التي رغم كونها ليست غريبة
عن الواقع ان انها مفصلة عن اللغة المأصلة ،
ترى من خلل مرايا ووميض ولكنها تعطي
بصائص خاطفة للكشف الرمزي ومن منمنات
بيكيت اللغوية واختصاره الفلسفي للغة الى
مجرد نبرة للنطق الى الشخصيات الاثرية
والكوميديا لتوماس بنجن أو ووليم غادس
الفارقة في عالم تكنولوجيا والمدرسة بالرموز
كرة بعد أخرى ومن التشابه الغريبة للاحاساس
التي تحل محل الشخصيات في الكون الشبهي
لالان روب غريبه أو ناتالي ساروت الى
الشخصيات العارضة ، غير المحددة لايريس
مردوك التي تكتشف في النهاية وسط رقصات
الحب والتسلط شيئا من حدود الذات ومن
العوالم الخيالية والغريبة لايتالو كالفيينو
المخلوقة من " لعبة الخلط " التي تلعبها مع
تاريخ القصة الى تحديث المخزون السردي
لدى جون بارث (الاساطير اليونانية ، ألف ليلة
وليله الى التنف السردية ومزج القصص التي
تنتهي عند مشارف بعيدة داخل وضعها
الناقص ومن محاكاة وايموند كوينو الساخرة
للاساليب التي تحول الكتابة الى تناسلات لا
تنتهي للنصوص الى ايمائيات انغوس ولسن
المنيفة وسردياته متعددة الاصوات ومن

لها الا دليلا ومرشدا لمثل هذا العمل .
بدون منطلق كهذا، فان من المحتم أن
تقلب القواعد الايديولوجية الوقائع الحية
بدل أن يحدث العكس وهو أن تساعد الوقائع
والظواهر الحية الجديدة على اغناء
الترسانة الفكرية القائمة .
أمام الرواية العراقية اختيارات جمة ولكن
الكفاح من أجل طريق صحيح للتنظير سوف
يختصر عليها كثيرا من الوقت الضائع وبرسي
سبل الاختيار الحر على قاعدة من القناعات
الصحيحة والاقتناع .

.....

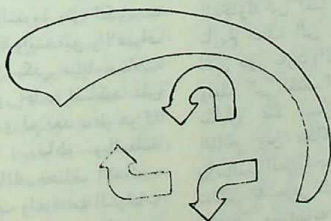
أصل هذه الكلمة مصدران وهواجس
شخصية . ولكنها ليست مهتمة بالتشبه بأية
استنتاجات، إذ ان محط اهتمامها الأول
والاخير هو التساؤلات التي يمكن أن تثير
حمية المهتمين بهذا الميدان .
ان الرواية العراقية ما برحت فقيرة حتى
يومنا هذا ، غير ان الحياة كما يبدو قد أوكلت
اليها دوراً ينبغي أن تنهض به ولكنها قبل أن
تستطيع ذلك عليها ان تقوم أولاً على أسس
صحيحة وتمتلك ثقافة روائية غنية وواسعة تكون
لها بمثابة قاعدة تموين والامر الاخر ان عليها
أن تؤسس لها قاعدة تناسل حقيقية نقيها من
الانقراض والعزلة وتجعلها كائناً يعيش في
شوارعنا ودورنا ومخادع النوم وليس مجرد
طيف يراود أحلام البعض عندما يصابون بعسر
الهضم .

الفانطازيات المتوترة لجون هاوكس والصرخة
الاعترافية لروايات فيليب روث الاخيرة الى
الوعي المودرنزمي المكشوف للروائي السيكو-
تاريخي نورمان ميللر .
فالرواية المعاصرة في الغرب ملة واسعة
ينبغي أن تضم بين ممثليها البارزين غونتر
غراس وماكس فريتش وكلود سيمون وميشيل
بوتور وفيليب سولرز وعددا كبيرا اخر . ومن
المفيد النظر الى هؤلاء من خلال نظرة مقارنة
لكي يمكن التمعن في علاقات الارتباط القائمة
تمعنا أفضل وذلك لان جزءاً من المشكلة هو أن
الصناقشة الجارية قد اقتضت لحد بعيد على
أبرز العناصر في الحركة الظليعية الراهنة .

اننا نعيش في وقت كف فيه الاسلوب عن
أن يكون ظاهرة وطنية وحسب فقد أخذت
الضغوط التاريخية المتقاربة تصنع الشكل في
كثير من البلدان .

لقد أصبحت الحداثة في الرواية أمراً غير
قابل للنقاش . لكن الصراع يستمر بين
المصطلحات النقدية الاتجاهات الايديولوجية
التي تقف وراءها . وهذا أمر وان كان مهماً
وحيوياً، الا انه لا يخلو من كثير من التجريدات
والتعصب ويحتاج الى أن يتقيد بأساس صحيح
ولا سيما في ميدان البحوث النقدية : فالوقائع
والحياة ذاتها هي قاعدة العمل البحثي التي
يمكن بفضلها التوصل الى استنتاجات فكرية
جديدة وما المبادئ الايديولوجية السابقة

عن "البديل"



خليل بيدس ومسارح الازهان وفن القصة

د. أحمد أبو مطر

في ترجمته لميخائيل بن جرجس عورا قوله :
"مولود في عكا عام ١٨٥٥ ومات في نابلس ٠٠
ومن أخباره روايات مختلفة" . ويذكر الدكتور
محمد يوسف نجم (٢) انه قد نشر في جريدة
الاهرام المصرية عام ١٨٧٦ رواية (البنون في
حب مانون) . ويبدو ان له علاقة قوية

بؤكد الاستقراء الموضوعي ان فلسطين لم
تختلف في ميدان الفن القصصي عن بقية
الانظار العربية، بل سبقت العديد منها في
هذا المجال من أقدم الاخبار علاقة بهذا
الموضوع، ما اورده الاب لويس شيخو (١) ،

* مسارح الازهان، مجموعة أدبية فنية روائية في حقيقة الحياة، لخليل
بيدس. صدرت طبعتها الاولى عن المطبعة العصرية بمصر عام ١٩٢٤ ،
بأصدر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين طبعتها الثانية في
بيروت (تموز ١٩٨١) .

بالصحافة ، اذ يذكر شاكر مصطفى (٣) انه
أنشأ مجلة في باريس اسمها (الحقوق) .
ومن هذه الاخبار ما ذكر ان رشيد الدجاني
اختار رواية (ابنة الكاهن) او (يقظة الجيش)
تعريبها ، وهي رواية أدبية اجتماعية غرامية ،
وموضوعها انتقاد اساليب بعض الكتاب في
تأليف الروايات على اختلاف مواضعها (٤) .

خليل بيدس ومجلة النفائس :

=====

وفي هذا السياق ، تبدو جهود خليل
بيدس ، تستحق الدراسة والتقييم ، كي يوضع
صاحبها في مكانه اللائق به ، من خلال هذه
الجهود التي تثبت الدراسة العملية أنها رائدة في
ميدانها ، سواء في فلسطين ام في الاقطار
الغربية مجتمعة . من المعلومات التي قام
بجمعها الدكتور ناصر الدين الاسد (٥) ، نعرف
ان خليل بيدس ، ولد عام ١٨٧٥ في مدينة
الناصرة ، ودرس في دار المعلمين الروسية
بالناصرة ست سنوات ، ثم ارسل مديرا للمدرسة
الروسية الابتدائية في حمص بسوريا ، حيث
امضى فيها سنتين ، ثم نقل الى المدرسة
الروسية الابتدائية في بسكنتا بلبنان حيث
درس ميخائيل نعيمة ، عاد بعدها الى حيفا
ومارس التعليم مدرسا للغة العربية في مدرسة
المطران الانكليزية في القدس حتى عام ١٩٤٥
حيث أحيل على التقاعد ، وبعد نكبة فلسطين
عام ١٩٤٨ هاجر الى عمان بشرق الاردن
وتمكث فيها فترة انتقل بعدها الى بيروت ، حيث
توفي فيها عام ١٩٤٩ .

تأثر خليل بيدس بسنوات دراسته في
دار المعلمين الروسية التي أمضى فيها ست
سنوات ، اذ "كانت الدروس تلقى بالروسية ،
علا خلا اللغة العربية وادبها والتاريخ العام ،
والتعليم المسيحي" (٦) . ومن الطبيعي ان
تهتم هذه المدرسة بتدريس اللغة الروسية

والادب الروسي على أيدي معلمين من
الروس ، او من العرب الذين تخرجوا من معاهد
روسيا ، كما يبدو من حديث ميخائيل نعيمة ،
الذي التحق بالمدرسة عام ١٩٠٢ ، أي بعد
تخرج خليل بيدس منها بخمس سنوات تقريبا
يقول ميخائيل نعيمة (٧) عن حوال المدرس
الذي كان قد تأثر به أستاذه خليل بيدس من
قبله " . . . ما ان تمكنت الى حد ما من قواعد
اللغة الروسية ، وحفظت قسطا لا بأس به من
عفدياتها ، حتى انطلقت أطلع في المجلات
الروسية التي كانت تصلنا ، واقتحم كتابا من
عيار ديستوفسكي وتولستوى . . . الا ان مطالعات
الروسية ، وان تركت في قلبي غصه بسبب
نقص معارفي اللغوية ، لم تلبث ان اثارت
اعجابي بالادب الروسي ، وحسرتي على الادب
العربي بالنسبة اليه . فقد تكشف لي فقرا
الفاضح الى أدب ينبع من الحياة وأدباء لا
يتلهون بالقشور عن اللباب . ومن بعد ان
كنت أحسد الكثير من أدبائنا وشعرائنا
المعروفين في ذلك الزمان واتمنى لو اكون
كواحد منهم ، بت أخجل بهم وأتمنى لو
استطيع ان اكتب كما يكتب هؤلاء الروس " .
ان هذا الحو الذي عاشه خليل بيدس قبل
تلميذه ميخائيل نعيمة جعله يوجه عنايته نحو
الادب الروسي بالذات . مكرسا مجلته
(النفائس) الى نقل روائع الى اللغة العربية
وقرائها . وقد اثرت المدارس الروسية
واسادت في الروس في اشاعة هذا الجو الذي
اوجد العديد من الفلسطينيين الذين
يترجمون عن الروسية ويعرفون بالادب الروسي
(٨) كما قامت هذه المدارس التي كانت منتشرة
في انحاء فلسطين وبلاد الشام بلفت الانظار
الى الادب والثقافة الروسية ، والرواية بشكل
اساسي ، وبالتالي اثرت في نشأة الرواية
الفلسطينية معتمدة على نظيرتها في الادب
الاوربي ، اذ "لم يكن بإمكان التراث

القديم، على ما فيه من روعة وطرافة وأصاله
التي ترضي حاجات البرجوازية الجديدة
النامية، أو يتلاءم معها. أنه يعبر عن مجتمع
من القرون الوسطى، وعن مثل في الحياة
متصلة بأنماط من الحكم وعلاقات في
الاقتصاد والمجتمع بدأت في الاضمحلال
وبدا التطور الاجتماعي يقود الى غيرها" (٩)

مجلة النفائس

=====

أنشأ خليل بيدس مجلته (النفائس) في
حيفا عام ١٩٠٨. إذ صدر العدد الاول منها
في نوفمبر من هذا العام، ووصفها بأنها
(مجلة لطائف وفكاهات) وهذا الوصف يتلاءم
مع تلك النظرة السائدة آنذاك للقصة، فأغلب
المجلات كانت تفرد لها بابا تسميه الفكاهات
(١) ويرجع هذا التستر والتمويه الى النظرة
المعادية للقصة والقصصين. مما حدا بمجلة
(المقتطف) في بادئ الامر أن تحجم عن
نشر القصص، وحثت المربين وأولياء الامور أن
يبعدوا الشباب والشابات عن قراءة القصص
الباطلة التي تفسد الاخلاق (١١). ومحمد
حسين هيكل نفسه، عندما نشر روايته (زينب)
لأول مرة عام ١٩١٤، لم يطلق عليها (رواية)
انما اعتبرها (مناظر وأخلاق ريفية) بقلم
مصري فلاح، وظل ينتظر حتى عام ١٩٢٩.
عندما تقبلت البيئة ان يطبع اسمه عليها (١٢)
وكما هو واضح، فان عام ١٩٠٨ يعتبر فترة
متقدمة زمنيا لظهور مجلة خاصة بالقصة في
فلسطين، اذا ما قورنت باقطار عربية أخرى
سقت في ميدان الاخذ بأسباب الحضارة
الحديثة كمصر ولبنان. كان لدى بيدس احساس
خاص بأهمية الفن الروائي وتأثيره، فهو يقول
في العدد الاول من مجلته: (وبعد، فلا
يخفى ما للروايات على اختلاف مواضيعها من
التأثير الخطير في القلوب والعقول حتى

اعتبرت انها من أعظم اركان المدنية. بالنظر
الى ما تستبطنه من الحكمة في تثقيف الاخلاق
وما تنطوي عليه من العبر والمواعظ في تنوير
الاذهان، ولما كان لها هذا المقام الرفيع،
وكان لجميع الطبقات من خاصة الناس وعامتهم
شغف بأمرها واقبال غريب عليها، عقدنا
النية على اصدار هذه المجموعة، نضمنها من
الروايات الادبية والفكاهات العصرية، وغير
ذلك من النوادر واللطائف ما يتوق الى مطالعته
والتفكه بتلاوته كل أديب" (١٣). وكان أول
ما نشره قطعه بعنوان (ثمانية مشاهد) اطلق
عليها رواية واقعية، استغرقت عشر صفحات،
وتدور حول زواج الملكة (حنه) حاكمة قشتالة عام
١٤٩٦ من الدوق فيليب برنس هابسبورج
حسب تعبيره - (١٥)

استمر اصدار بيدس لمجلته (النفائس) في
حيفا لمدة عامين، ثم بدأ يصدرها في القدس
في بداية السنة الثالثة (كانون الثاني ١٩١١)
وظلت تصدر في القدس ثلاث سنوات حتى
نهاية عام ١٩١٣، ثم انقطعت حينها، حتى
أعاد اصدارها في حيفا عام ١٩١٩ لمدة عام
واحد. ثم توقفت نهائيا (١٦) وطوال فترات
صدورها، ظل بيدس يوجه جل اهتمامه للرواية
ينشر في كل مجلد منها رواية متسلسلة - في
الغالب - مترجمة عن الروسية. ففي اعداد
المجلد الاول (١٩٠٨) نشر رواية الكاتبة
الانجليزية مارلي كورلي (تحت نير السلطة)
عن ترجمة ز. جورا فسكايا الروسية لها
ونشرها بعنوان (سقاء الملوك). وذلك قبل أن
يصدرها مستقلة في طبعة ثانية عام ١٩٢٢
وبالاعتماد على دليل الكتاب العربي
الفلسطيني (١٧) وما أورده الدكتور ناصر
الدين الاسد (١٨) نرى ان لخليل بيدس
أربعة وثلاثين مؤلفا في الرواية والتاريخ
والكتب المدرسية وخلافها وقد ورد ضمن هذه
المؤلفات الروايات التالية. وأغلبها مترجم.

(١) ابنة القبطان، لبوشكين. جريدة المنار
بيروت ١٨٩٨.

(٢) القوزاقي الولهان. رواية مترجمة، نشرت
في جريدة لبنان لصاحبها (ابراهيم
الاسود، وفي سنتها السابعة، بيروت عام
١٨٩٨، ثم طبعت مستقلة عام ١٨٩٩.

(٣) الطبيب الحاذق . بيروت ١٨٩٨

(٤) شفاء الملوك، للكاتبة الانكليزية ماري
كوري، ترجمها عن الروسية بعنوان (شفاء
الملوك)، ونشرت سلسلة في أعداد
المجلد الاول من النفائس (١٩٠٨)، ثم
ظهرت طبعة مستقلة عام ١٩٢٢ عن مطبعة
دير الروم بالقدس .

(٥) أهوال الاستبداد، لتولستوى، المطبعة
الوطنية. حيفا ١٩٠٩.

(٦) الحسناء المتكررة، للايطالي اميل سلفاري
صدرت ملحقه بالمجلد الثالث من النفائس
العصرية (١٩١١) ثم طبعت ثانية عام ١٩٢٥
هنرى الثامن وزوجته السادسة، للكاتبة
الالمانية ف. ملباخ، صدر القسم الاول منها
عام ١٩١٢ في المجلد الرابع من مجلته
النفائس. وصدر القسم الثاني عام ١٩١٣
ملحقا بالمجلد الخامس، ثم صدرت في
القدس عام ١٩٢١ .

(٨) العرش والحب، القدس ١٩٢١

(٩) الوارات، رواية مؤلفة، القدس ١٩٢٠ .
(١٠) حنا كارنين، لتولستوى، أعلن عنها في
الجزء السابع من السنة الخامسة من
مجلته النفائس، على انها ستكون هدية
السنة السادسة للمشاركين، واعتبرها
أشهر روايات الفيلسوف تولستوى، بل
أشهر الروايات الفلسفية الاجتماعية
على الإطلاق

(١١) الشاب المنتصر . القدس ١٩٤٥

ونتيجة للظروف السياسية التي مرت
على الوطن الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨، ضاع

أغلب نتاج بيدس الروائي وغيره، إذ لم أعر
له في أغلب المكتبات العربية على غير ما
وجدته في دار الكتب المصرية :

(١) المشوه، ترجمة عن فيكتور هوجو

(٢) هنرى الثامن وزوجته السادسة، معربة عن
ف. ملباخ، دارالايثام السورية القدس ١٩٢٢

(٣) أهوال الاستبداد، معربة عن تولستوى،
القاهرة، المطبعة العصرية ١٩٢٧

(٤) مسارح الازهان (مجموعة قصص) مؤلفة.
القاهرة المطبعة العصرية ١٩٢٤

(٥) شفاء الملوك، معربة عن ماري كوري (رواية
أدبية غرامية) مطبعة دير الروم القدس ١٩٢٢

(٦) العرش والحب، مترجم دار الايثام السورية
القدس ١٩١٤

أما روايته المؤلفة الوحيدة (الوارث)
فلم اتمكن من العثور عليها، لا في المكتبات
ولا عند أصدقائه. وفي مجال القصة. ورد في
دليل الكتاب العربي (ص ١٦) أن له مجموعة
أقاصيص تحت الطبع اسمها (أحلام الحياة).
ان تعدد مؤلفات خليل بيدس، وتنوع
موضوعاتها، يجعلنا نرى فيه محركا أساسيا فعلا
في ميدان الحركة الثقافية في فلسطين في
النصف الاول من القرن العشرين. إذ ألف في
الرواية والتاريخ وتدريس العربية والصرف
والآثار والتربية، ومارس التعليم، وكتب في
الصحافة، وألقى المحاضرات والندوات ان
هذا النشاط الغزير المتنوع، يضع أمامنا
شخصية فذة تحتاج الى الدراسة والتنقيب،
واعادة نشر أعمالها التي لم يطلع جيلنا الا
على القليل منها

مسارح الازهان

=====

"مسارح الازهان، المجموعة القصصية
لخليل بيدس. أطلق عليها مجموعة أدبية
فنية، دأبنا في حققة الحياة" صدرت

طبعتها الاولى عام ١٩٢٤. عندما نشرها في مصر الياس انطون الياس صاحب المكتبة العمرية، وأصدر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين طبعتها الثانية في تموز ١٩٨١. ضمن سلسلة احياء التراث الثقافي الفلسطيني ستناول هذه المجموعة من ناحيتين، الاولى. اراء خليل بيدس في الرواية ومكانتها وكتابها، وهي الراء التي وردت في مقدمته للطبعة الاولى (ص ٩-١٦) والثانية دراسة قصص المجموعة ذاتها

١- آراء بيدس النظرية :

تبدو الراء النظرية التي أوردتها خليل بيدس في مقدمته لمجموعته القصصية، نظريات مهمة مقدمة، اذا نظر اليها في اطار الزمن الذي كتب فيه (١٩١٤)، والظروف الادبية والاجتماعية السائدة آنذاك. ويظهر منها أن الفن الروائي أصبح له من التقدير والاحترام، ما حدى بخليل بيدس ان يشيد بفن الرواية. ويهاجم المتطفلين عليه الذين أساءوا اليه بالترجمة حيناً والتأليف حيناً آخر كما يبدو منها الغيرة الاكيدة لديه على هذا الفن الادبي الناشئ، وطموحاته ان يقوم هذا الفن بدور مهم في تطوير المجتمع وتكوين اهدافه ان أهم هذه الراء والمواقف تبدو فيما يلي

١) احساسه المبكر باهمية الرواية ودورها :

يقول خليل بيدس (١٩) "لا يحجل احد من الروائيات من الشأن الخطير والمقام الرفيع بين سائر كتب الادب عند جميع الامم. فهي أعظم اركان المدنية، وفي مقدمة المطبوعات انتشاراً وتداولاً، وأشدّها رسوخاً في النفس والقلب، وأثبتتها أثراً في الاخلاق والعادات، وأعظمها عاملاً في الهدم والبناء، لان فيها تمثيلاً لمظاهر الحياة وصورها من خير وشر،

وفضيلة ورذيلة، وعدل وجور، وصدق وكذب. وفيها وصف أحوال الامم، وعبر الزمان. وحوادث الحب والغرام، والحرب والسلام". ان هذه النظرات في طبيعة فن الرواية تعتبر متقدمة وجريئة وفي غاية الاهمية، اذا أخذنا في الاعتبار انه يجهر بها في فلسطين عام ١٩٢٤ في حين ان محمد حسين هيكل، انتظر حتى عام ١٩٢٩، حتى وضع اسمه على روايته (زينب) في طبعتها الثانية بمصر. بعد ان كانت طبعتها الاولى قد صدرت في عام ١٩١٤ بقلم (مصرى فلاح)، مشيراً على الغلاف الى أنها "مناظر وأخلاق ريفية"، وكأنه يريد ان ينفي عنها صفة (الرواية)

ب) لمن يكتب الروائي ؟

يقول خليل بيدس (٢٠). (الروائي يكتب للعامة، وهم السواد الأعظم من كل أمه. يكتب للنفوس الحائرة، والقلوب المتألّمة يكتب للنفوس الجائعة والقلوب الظمأى. والعامة يميلون الى الرواية لانها كتابهم ورفيقهم وعشيرتهم، وهي احمل ما يتلهون به في ساعات فراغهم، وأفضل ما يرتاحون لمناجاته في خلوتهم، وأنجح ما يتوسل به لاصلاح عاداتهم وتنقيف أخلاقهم، وأعذب مورد يستمدون منه البصائر. ويتضح أن هذا الرأي على أهميته، ما يزال يرى ان من مهمات الرواية التسلية والترفيه، فهي "احمل ما يتلهون به في ساعات فراغهم"، وهو من مخلفات البدايات الاولى لنشأة الفن الروائي، في الوطن العربي، حيث كان تيار التسلية والترفيه مسيطراً وسائداً، ونتيجة للآثر ذاته، أطلق بيدس على مجلته النفائس - كما مرّ بنا - بأنها "مجلة لطائف وفكاهات"، كان ينشر في أعدادها حلقات الروايات التي يترجمها، قبل نشرها كاملة في كتاب مستقل،

مما يعنى ان هذه الروايات عنده، لم تتخلص بعد من مفهوم الترفيه والتلهي .

(ج) من هو الروائي الحقيقي في نظره؟

يقول خليل بيدس (٢١) " الروائي ان لم يعاشر العامة ويدرس أحوالهم أو لم يكن منهم ويعيش بينهم أو لم تكن فيه قوة التصور ومهارة التصوير وبراعة الوصف ولم يكن فيه النظرة الادبية الصادقة الى كل حادث ، والارتياح التام بل الكلف التام ببحثه ، فليس بروائي عبقري . وهو ان لم يقرأ مئات الروايات ومئات التواريخ، ولم يطلع على حوادث الكون ويلج كل مجتمع ، ويدرك معنى الحياة وأسرارها وأساليبها، وينتزع غرض روايته من حوادث الحياة وطبيعة الانسان ويجعلها منطقية على الحقيقة والواقع فليس بروائي متفطن وهو ان لم يكن نبيا يرى بصيرته ما لا يراه غيره ، وان لم يكن شاعرا يخلق في سماء الخيال. ولم يكن عالما ، اجتماعيا يعلم الاحوال ويطلع على كل شأن من الشؤون فليس بروائي ماهر . فالروائي الحقيقي العبقري التفطن هو من عاش للفن ، وكتب للفن ، ومات في سبيل الفن " . ان هذه الاراء والنظرات تذكرنا بما هو معروف عن روائيين كبار أمثال بلزاك و زولا اذ كانوا يقومون بجمع المعلومات والاحصاءات والتقارير عن الموضوعات والشخصيات التي يودون معالجتها روائيا وهو بصدد كتابة روايته "جرمينال" ، ذهب اميل زولا الى المناجم ، حيث عاش بين عمالها ، وعانى على الطبيعة معاناتهم القاسية. كما ان الاحساس الصادق بالموضوع جعل فلوير يقول عن الصفحات التي وصف فيها انتحار مدام بوفارى " بأنه شعر - فعلا - بطعم السم في حلقه ، أثناء كتابته ووصفه لمشهد الانتحار، وهو قريب مما قاله

بلزاك عن وصفه لمعركة "واترلو" من أنه عند الكتابة، كان يخيل اليه أنه يسمع صوت المدافع وانفجارات القنابل ان مطالبة خليل بيدس للروائي بأن يكون شاعرا ونبيا وعالما من علماء الاجتماع ، لا يبتعد عن قول ألييرس عندما تنبأ بأن فن الرواية سوف يحل محل الفنون الادبية جميعها، وذلك في قوله "ان الرواية لتقوم بدور الكاهن والمشرف السياسي، وخادمة الاطفال، وصحفي الوقائع اليومية والرائد، ومعلم الفلسفة وهي تقوم بهذه الادوار كلها في فن عالي يهدف الى ان يحل محل الفنون الادبية جميعا، ويمكن ان يكون في أيامنا شكلا معما للثقافة " (٢٢) وهذا يدل دلالة واضحة على اتساع رؤية بيدس، وأفكاره المتقدمة بخصوص أهمية الفن الروائي، ومدى قدرته على الكشف والتعبير ، وبالذات اذا أخذنا في الاعتبار الزمن المتقدم (١٩١٤) الذي كون فيه هذه المفاهيم النظرية ، لفن من الفنون الادبية الجديدة في حياتنا الادبية

(د) ما هي شروط الرواية الحقيقية؟

يرى بيدس أن "الرواية الحقيقية الفنية هي التي ترمى الى المغازي الحكيمة والأغراض الادبية الى تمجيد الفضائل، أو التنديد بالرذائل، الى تهذيب الاخلاق وتنوير العقول وتنقية القلوب واصلاح السيرة . . التي تبقى أثرا في نفس القارئ . وتحذوه الى الامل، وتقوده في سبيل الرقي الادبي والحب النقي . ان رواية ولو صغيرة ، تجلى فيها جمال الفن فامتزجت بأجزاء النفس لخير من المئات من أمثال تلك السلع الثقافية التي يتاجر فيها بعض المشعوذين . ولا شك ان قيمة الرواية هي فيما تتضمنه من الفائدة، وتتوخاه من العبرة " (٢٣) .

ان هذه الآراء، وتلك المواقف، من فن الرواية، تكتسب أهمية بالغة، وهي تفسر الاخلاص الكبير الذي أبداه بيدس لفن الرواية مما جعله ينجز فيه العديد من الاعمال التي سبق ذكرها (٢٤)

٢ - قصص المجموعة

اذا نظر الدارس المعاصر لقصص هذه المجموعة، من خلال المفاهيم النقدية الحديثة التي وصل اليها نقد القصة القصيرة، والابنية الفنية التي حققها هذا الفن، فانه - لامحالة - صاب بدهشه كبيرة لتخلف مستواها الفني، وخطها بين أشكال متعددة من التعبير. لذلك فان قارئ وناقد هذه المجموعة، عليه ان يتذكر دوما أثناء سياحته فيها، انها كتبت عام ١٩٢٤، أي قبل أكثر من نصف قرن، حيث كانت القصة القصيرة فنا جديدا كل الجده على الادب العربي، لم تؤصل قواعده الفنية بعد. وكل عمل أدبي يقرأ معزولا عن سياقه التاريخي، لا يبدو شديد التأثير، كما قال فرانك أوكونور عن "معطف" جوجول ضمن سياقها التاريخي البعيد عن مفاهيمنا النقدية المعاصرة، يلاحظ ان خليل بيدس، كان لا يفرق بين الرواية والقصة القصيرة، لذلك فهو يسمي مجموعته "أدبية فنية روائية" او بمعنى آخر، فان القصة والرواية كان لهما نفس المفهوم عند كتاب تلك المرحلة، رغم ان بيدس بالذات، عرف الادب الروائي الروسي عن كتب، وقدم العديد من الروايات في طبعات مترجمة بتصرف في مجلته النفائس، أو التاريخي والمقالة. لذلك فانه من الصعب العثور على قاسم مشترك بين هذه الاشكال، اذ ان عنصر الطول - كحد أدنى - يتذبذب من قطعة الى أخرى الا ان الدارس لا يعدم

قاسما مشتركا بينها، وهو في الموضوع وليس في الشكل، وقد أشار اليه المؤلف في تعريفه لهذه المجموعة، بأنها "مجموعة في حقيقة الحياة" "حقيقة الحياة" هي المحور الاساس الذي دارت حوله المجموعة، أي كانت الاشكال الفنية التي توختها. ولما كانت هذه الاشكال متعددة، تقترب حيناً من القصة وتبتعد حيناً آخر، يصبح الموضوع "حقيقة الحياة" هو المدخل الاوضح لدراسة المجموعة. ما هي المحاور الموضوعية التي كانت محط اهتمام بيدس، ودارت - بالتالي - حولها مجموعته في البداية، يلاحظ شنف بيدس بالتاريخ، لذلك فهو يختار العديد من موضوعات المجموعة من لقطات تاريخية، لتخدم غرضاً حياتياً يرمى اليه، أو لتقديم اللقطة التاريخية لذاتها، دون ان يقبل الخاتمة أمام إمكانية اسقاط معاصر - في زمنه - لهذه اللقطة فمن التاريخ اليوناني، استقى اطار القطع - القصص. "أبن الحقيقة" و "آلهة الجمال" و "الصدى" و "محاورة بين الالهة" ومن التاريخ الفرعوني. "الثور المقدس" و "المومياء". ومن التراث البوذي: "حجر الالماس" ومن التاريخ الفرنسي "الاب" ومن التاريخ الإيراني: حجر الفلاسفة، ومن التاريخ العربي - الاسلامي: "جنون الحب". وفي اكثر من مكان، يشير صراحه في الهامش الى الاطار التاريخي الذي استقى منه أحداث القصة، يقول عن "جنوب الحب" "بنيت هذه الرواية على حادث حقيقي وقع في قطبه عاصمة الدولة الاموية في الاندلس في أيام السلطان عبد الرحمن الثالث (الخليفة الناصر) الذي ولي الملك سنة ٩١٢م" (٢٥).

وعن (الاب) يقول "بنيت هذه الرواية على حادثة تاريخية من حوادث الثورة الفرنسية الشهيرة" (٢٦)

وعودة الى سؤالنا عن المحاور الموضوعية

ان هذه الآراء، وتلك المواقف، من فن الرواية، تكتسب أهمية بالغة، وهي تفسر الاخلاص الكبير الذي أبداه بيدس لفن الرواية مما جعله ينجز فيه العديد من الاعمال التي سبق ذكرها (٢٤)

٢ - قصص المجموعة

اذا نظر الدارس المعاصر لقصص هذه المجموعة، من خلال المفاهيم النقدية الحديثة التي وصل اليها نقد القصة القصيرة، والابنية الفنية التي حققها هذا الفن، فانه - لامحالة - صاب بدهشه كبيرة لتخلف مستواها الفني، وخطها بين أشكال متعددة من التعبير. لذلك فان قارئ وناقد هذه المجموعة، عليه ان يتذكر دوما أثناء سياحته فيها، انها كتبت عام ١٩٢٤، أي قبل أكثر من نصف قرن، حيث كانت القصة القصيرة فنا جديدا كل الجده على الادب العربي، لم تؤصل قواعده الفنية بعد. وكل عمل أدبي يقرأ معزولا عن سياقه التاريخي، لا يبدو شديد التأثير، كما قال فرانك أوكونور عن "معطف" جوجول ضمن سياقها التاريخي البعيد عن مفاهيمنا النقدية المعاصرة، يلاحظ ان خليل بيدس، كان لا يفرق بين الرواية والقصة القصيرة، لذلك فهو يسمي مجموعته "أدبية فنية روائية" او بمعنى آخر، فان القصة والرواية كان لهما نفس المفهوم عند كتاب تلك المرحلة، رغم ان بيدس بالذات، عرف الادب الروائي الروسي عن كتب، وقدم العديد من الروايات في طبعات مترجمة بتصرف في مجلته النفائس، أو التاريخي والمقالة. لذلك فانه من الصعب العثور على قاسم مشترك بين هذه الاشكال، اذ ان عنصر الطول - كحد أدنى - يتذبذب من قطعة الى أخرى الا ان الدارس لا يعدم

التي كانت محط اهتمام بيدس في مجموعته هذه، نلاحظ أن دائرة اهتمامه كانت محصورة فيما يلي

(١) المرأة . الحب . الخيانة الزوجية

لقد كان للمرأة الحضور الابرز في هذه المجموعة، إذ تكاد لا تخلو قصة من المرأة أختا أو زوجة أو عشيقة . وفي أغلب الاحوال يتوفر قدر كبير من الخيانة لديها، أما للزوج أو للحبيب . مما يجعل سمة 'الخيانة الزوجية' طابع المرأة في هذه المجموعة :

x في "نحن وهم" المرأة زوجة تظهر لزوجها الحب والوفاء المفرطين، ويكون ذلك تغطية لخيانتها مع صديق عرفت عليه في احدى الحفلات . ربما يكون هذا الموضوع عاديا ومألوفاً، أيا كانت الحكمة القصصية التي تعالجه . الا ان بيدس خطط لهذه القصة بعناية جعلها تحقق مستوى فنيا واضحا، إذ أدار قصة فرعية الى جانب الحدث الرئيسي . بينما الزوجة تقضي وقتا طويلا مع حبيبها، بعد تخطيط دقيق . دخل حبيب الخادمة، ليقتضي وقتا مماثلا ، وعند منتصف الليل . اكتشفت الزوجة بعد انصراف حبيبها، وجود الخادمة مع لذاتها الخاصة، فثارت ثورة الزوجة الشريفة التي تأنف من هذه الاعمال المنافية للاخلاق، مهدده الخادمة بالطرده، وكان لها ذلك رغم رجا زوجها . وينهي بيدس القصة بجملته تهكمية تعبر عن المفزى الاساسي الذي بنى عليه حبكة القصة . وكانت كلما اجتمعت بزوجها تتطرق الى ذكر هذه الحادثة، ولا تستطيع ان تفهم كيف خلت (مرثا) بخطيبها وجنت مثل هذه الجناية الغريبة .

x في "الفيلسوف"، الفتاة تحب الشاب

وتبدى كرهها الشديد لصديقة، الى درجة انه يفكر في اعتزال صداقته، كي يفرر بهذه الحبيبة الغالية الوفية، التي تنكر له بعد أول لقاء مع صديقه، فاذا هي تعزله وتصبح خطيبة لصديقه المكروه سابقا .

x في "القناع"، تتظاهر الزوجة بالشرف والاباء، وتثور غاضبة لانها وجدت في جيب معطف زوجها قناعا لامرأة، وتهدا ثأرتها عندما تكتشف ان المعطف لصديقه فتتهم صديقه بالانحطاط وسوء الاخلاق، وعندما ياتي الصديق لزيارتها، تعبس في وجهه لان القناع دليل على ان له عشيقة غيرها، الى ان اثبت لها انه قناعها الذي نسيته في بيته قبل فترة، فاحتفظ به للذكرى . والقصة من أفضل القصص بناءً وشكلاً فنياً، مثل "نحن وهم" وكان التناقض في المواقف، أو التناقض بين القول والعمل، كان يساعد الكاتب في نسج حبكة القصة، على اعتبار ان على القاص أن يبحث دائما عن وجوه أخرى في الوجه الذي يقبله المجتمع من حياة الفرد، تمكنه من كشف فحوى هذا الوجه .

وكذلك يستمر حضور الخيانة الزوجية، في قصص أخرى مثل "الزوج المخدوع" و"زوجة نادرة المثال" و"المقابلة المخيفة"، مما يجعل الامر بحاجة الى دراسة في غوء السباق الاجتماعي للقصص، او الظروف الخاصة بمحيط الكاتب

٢ - الحقيقة والسعادة

في أكثر من قصة، يجهد الكاتب نفسه في البحث عن الحقيقة والسعادة، وتشعر ان غيابهما في المجموعة، بنفس حضور الخيانة الزوجية، وكانهما قطبان متضادان فالحقيقة - كمثل - غائبه، وغيابها في الحياة الزوجية، يجعل الرجل جاهلا لحقيقة ان زوجته تخونه،



هذا الدور مهما في ضوء الظروف الاجتماعية التي كانت تسود بيئته آنذاك، في العقدين الاول والثاني من هذا القرن في "بلا سب" يدين السلوك الظالم للآباء، وفي "المومياء" دعوة الى السلام ونبذ الحروب التوسعية الظالمة، وفي "هدية العيد" و"خسام الزوجين" يحث على الوفاء والحياة الهادئة، والبعد عن الطلاق لمساوئه الاجتماعية على الاطفال بالذات، وفي "المذهب الصغير" و"الثور المقدس" يحارب الخرافات والالوهام وفي "الصدى" والحديث ذو شجون" يمجّد دور الفن في النفوس الانسانية، وضرورة توجيه الاهتمام الى الفنانين والمثقفين. وغير ذلك من موضوعات، يبدو موقفه ودوره الاجتماعي واضحا متقدما

وبشكل عام، يظل بيدس علما من اعلام الحياة الثقافية الفلسطينية في النصف الاول من القرن العشرين، اتم بصفة الشمول في قراءاته وكتاباته، ويبدو من انتاجه الغزير (لا يقل عن اربعة وثلاثين كتابا) أنه كان له حضور أدبي - ثقافي - تعليمي في عصره، مما يطرح ضرورة اعادة طبع العديد من مؤلفاته في موضوعات مختلفة، لان أغلبها لك يتعرف عليها جيلنا الحالي

اما الخلاف حول معنى السعادة، فهو الذي يجعل المرأة سعيدة مع عشيقها، رغم ان عليها هذا خيانة لمعنى أساسي من معاني الحياة، ربما تكون السعادة الحقيقية فيه. ويلاحظ ان معالجات هذا المحور، جاءت باللوب تقريبي، متخذة شكل حوار فكري، أبعدنا عن دائرة فن القصة. كانت ملاحقة الفكرة، وإيراد الآراء المختلفة فيها هو الأساس لذلك غاب الحدث المتنامي منها، كما في "السعادة" و"حجر الالماس" و"حجر الفلاسفة"، مما أفقدها التشويق والحبكة التي اتضحت في بعض القصص ويتميز في هذا الجانب، تلك الحوارية الفكرية الطويلة التي أجراها على السنة الحيوانات في "موتمر الحيوانات" بحثا عن تحديد مفهوم للحياة والسعادة، طارحا العديد من الآراء، كما ينطلق فيها كل حيوان من طبيعته وسلوكه، بما فيهم الحيوان الناطق (الانسان)

٣ - الجانب المشرق من الحياة.

لقد كانت مواقف بيدس دائما مع الحياة في جانبها المشرق، وهذا يعني انه وعى دوره ككاتب يجب ان يمارس تأثيرا في مجتمعه، وتوعية ضد مظاهر الجهل والتخلف، ويبدو

هوامش

- (١) لويس شيخو - تاريخ الاداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ص ٢٧
- (٢) د. محمد يوسف نجم - القصة في الادب العربي الحديث ص ١٥
- (٣) د. شاكر مصطفى - القصة في سوريا ص ٣١
- (٤) مجلة النفائس - الجزء الثاني من السنة الثامنة ص ٦٣
- (٥) د. ناصر الدين الاسد - خليل بيدس رائد القصة العربية في فلسطين، معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٣.
- (٦) ميخائل نعيم - أبعد من موسكو ومن واشنطن ص ٦٦
- (٧) المرجع السابق ص ٦٧ - ٦٨

(٨) من هو لاء - غير بيدس - ما ورد في مجلة النقائس، الجزء السابع من سنتها الرابعة لعام ١٩١٢، أن الطون بلان عرب عن الروسية رواية اسمها "في سبيل الحب". كما أنه من المعروف أن نحاتي صدقي عرف بأعلام الادب الروسي، فنشر في سلسلة (أقرا) الصادرة عن دار المعارف بمصر كتابا عن (بوشكين) ١٩٤٥ و (تشيكوف) ١٩٤٧ و (جوركي) ١٩٥٦

(٩) د شاكرا مصطفى - مرجع سبق ذكره ص ٤٥

(١٠) د محمد يوسف نجم - مرجع سبق ذكره ص ١٧

(١١) مجلة المقتطف - الجزء الثالث من السنة السابعة، آب ١٨٨٢ ص ٧٤ وقد نشرت هذا التحذير تحت عنوان (ضرر الروايات والاشعار الحسية)

(١٢) يرى يحيى حقى في كتابه (فجر القصة المصرية) ص ٤٦، أن الذى دفعه الى عدم وضع اسمه عليها في عام ١٩١٤، يعود الى احتقائه وهو يصور حاضر الناس في زمانه عاطفة الحب والتغني بها، فهذا الحديث عن الحب لا تأليف القصة هو الذى يعاب عليه

(١٣) مجلة النقائس - العدد الاول تشرين الثاني ١٩٠٨ ص ١ - ٢

(١٤) المرجع السابق ص ٣ - ١٢

(١٥) راجع كتابنا: الرواية في الادب الفلسطيني، المؤسسة العربية، بيروت ص ١٨ - ١٩

(١٦) د، ناصر الدين الاسد، مرجع سبق ذكره ص ٣

(١٧) نشرته لجنة الثقافة العربية في فلسطين، مطبعة اللواء التجارية، القدس ١٩٤٦ وأعاد اصدار طبعته الثانية الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بيروت ١٩٨١

(١٨) في كتابه سابق الذكر

(١٩) مقدمته لمسارح الازهان، الطبعة الثانية، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

الفلسطينيين بيروت، تموز ١٩٨١ ص ٩

(٢٠) المصدر السابق ص ١١

(٢١) المصدر السابق ص ١١ - ١٢

(٢٢) ألبيريس - تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة جورج سالم، مطبوعات عويدات، بيروت الطبعة الاولى، ١٩٦٧ ص ٦

(٢٣) مقدمة بيدس لمسارح الازهان ص ١٢ - ١٤

(٢٤) بالاضافة الى ما سبق ذكره من اعماله الروائية، أورد دليل الكتاب العربي الفلسطيني ص ١٦ أن له مجموعة قصص تحت الطبع اسمها (أحلام الحياة)

(٢٥) مسارح الازهان، هامش ص ٢٥٨

(٢٦) مسارح الازهان، هامش ص ١٣٥ ويلاحظ أن غرام بيدس بالتاريخ في قصصه ليس

غريبا عن مجرى حياته ودراسته، فقد اهتم اساسا في ترجمته بالروايات الروسية ذات الاطار التاريخي، كما انه اهتم بالتاريخ كدراسة وبحث، لذلك وضع فيه العديد من الكتب، وأورد منها دليل الكتاب العربي الفلسطيني الذى سبق ذكره ما يلي:

(أ) أمم البلدان

(ب) تاريخ روسيا القديم

(ج) تاريخ الطيران

(د) تاريخ القدس

(هـ) تسريح الابصار فيما تحتويه بلادنا من الآثار

(و) الدول الاسلامية

(ز) الروضة الموسومة في وصف الارض المقدسة

(ح) العرب: أبطالهم وأشهر حوادثهم

تراثنا بين التسوية والطمس والسرقة

بقلم : جميل السالموت

التراث الشعبي جزء من الهوية الوطنية لأي شعب لأنه لا يمكن لحماة بشرية لم تعرف الاستقرار ان تولد حضارة ، وبالتالي اذا لم يكن حضارة لأي تجمع بشري فانه لا يمكن ان يكون شعبا او امة . واذا كان شعبنا الفلسطيني قد ساهم بدور كبير في بناء الحضارة الانسانية بشهادة القاضي والداني وبشهادة ثراه الوطني - رغم كل المؤامرات التي هددته وما زالت تهدده - حتى ان فلسطين اشبه ما تكون بمتحف كبير لتعدد فنون الحضارة التي ما زالت قائمة والتي تمثل مختلف العصور لحياة شعبنا .

غير ان تراثنا الحضاري والشعبي مهدد بالضياح كنتيجة حتمية للغزو الصهيوني الذي نتج عنه تشريد الملايين من ابناء شعبنا وتشتتهم في مختلف بقاع الارض . ومن هنا تنتبع اهمية جمع وتدوين مختلف جوانب تراثنا الشعبي سواء القولي منها او العملي ، بل انه من اولي المهام الوطنية الملقاه على عاتق كل فرد او مؤسسة وطنية المساهمة في جمع هذا التراث حتى يتحقق للشعب الفلسطيني تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة التي ستسلم شتات شعبنا وتحافظ على هويتنا الوطنية وتراثنا العريق .

ان الحركة الصهيونية التي قامت على اسس دينية - توراتية عنصرية واعتمدت التراث الديني التوراتي في محاولة منها لجمع شتات يهود العالم وبلورتهم كشعب ، باقامة - دولة اسرائيل - قد عمدت الى تحريد الشعب الفلسطيني من مقدساته الدينية ، فهدمت مئات المساجد والكنائس في الجزء الذي قامت عليه عام ١٩٤٨ ، وفي بعض المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ .

ولن يغيب عن بال اي فلسطيني ما قامت به اسرائيل وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ العدوانية ، بهدم حارة الشرف في القدس العربية والحفر تحت حائط البراق وهو الحائط الغربي لرواق المسجد الاقصى المبارك . وما قام به الفاشي مايكل روان الذي اشعل النيران في محراب المسجد الاقصى في ١٩٦٩/٨/٢١ . وما لحق باولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من اضرار نتيجة هذا العمل العدواني الهمجي . وما تبع ذلك من محاولات الحفر تحت المسجد الاقصى بحجة البحث عن الهيكل المزعوم .

ثم دخول فاشي اخر هو الن غوتمان في ١٩٨٢/٤/١١ واطلاق النار على المصلين في قبة الصخرة المشرفة في رواق المسجد الاقصى ، وما تبعه من اطلاق نار اخر ومن جهات مختلفة باتجاه المواطنين الفلسطينيين الذين هرعوا للمسجد الاقصى وقبة الصخرة لحمايتهم من رصاص الغزاة ، فاستشهد عشرة مواطنين وجرح عشرات اخرون .

وكذلك الاعمال العدوانية التي تعرض لها وما زال يتعرض لها الحرم الابراهيمي الشريف في مدينة الخليل واقتطاع جزء منه واعتباره كنيسة يهوديا . وتدنيس قدسية هذا المسجد الاسلامي الشامخ ، بالسماح للزائرين اليهود بدخوله مصطحبين معهم كلا بهم وكذلك الحال بالنسبة لحمام حسن بيك في يافا ، الذي لولا يقظة شعبنا لتحول الى مراكز

ترفيهه "بارات واماكين لهو ودعارة" وذلك بتآمر بلدية تل ابيب عندما حاولت اعطاه الى شقيق شمعون بيرس زعيم حزب العمل ، من اجل هذه الغاية في اوائل العام ١٩٨٢ .
وحتى المقابر لم تسلم واموال الوقف ، فدمرت مقبرة شهيد ثورة ١٩٣٦ الشيخ عز الدين القسام ودمرت المقبرة الاسلامية في الرملة .

وكذلك الحال بالنسبة لعدد كبير من الكنائس المسيحية التي دمرت او احرقت ، ولعل احراق الكنيسة المعمدانية في القدس في شهر اكتوبر ١٩٨٢ خير شاهد على ذلك . هذا وستكون الانتهاكات الاسرائيلية للمقدسات الدينية موضع دراسة تفصيلية قادمة نظرا لاهميتها واتساعها وخطورتها في آن واحد معا .

وسيكون موضع بحثنا هذا منصبا على السرقات التي يتعرض لها تراثنا الحضاري والشعبي وان كنت لا ازمع انني استطيع تغطية هذا الموضوع من كافة جوانبه الا انني ارى في طرحي هذا لفت انتباه للمهتمين من ابناء شعبي وامتي لاعطاء هذا الجانب ولو جزءا من الاهمية حتى تسهل الاحاطة به وادراك مدى خطورته .

ان الحركة الصهيونية التي قامت على اساس دينية ثوراتية عنصرية كما اسلفنا قد ادركت ان التراث الديني لوحده قاصر عن بلورة شعب ، فقامت بسرقة تراث شعبنا الفلسطيني العملي ووضعه في متاحفها على اساس انه تراث عبري . كما قامت بسرقة تراثنا القولي ودونته على اساس انه تراث عبري يهودي .

والزائر للمتحف الاسلامي الواقع في "حي رحافيا" في القدس الجديدة ، يرى مئات القطع الاثرية والحضارية الاسلامية الفلسطينية ، ومن ضمنها الرسالة المنقوشة على حجر والموجهة من الخليفة العثماني سليمان القانوني لوالي فلسطين يامره فيها ببناء سور المدينة المقدسة التي تناولت اسرائيل على كل الاعراف والقوانين الدولية واعتبرتها عاصمة لها ١١ .

ولقد كان لموشيه ديان وزير الحرب الاسرائيلي الاسبق ، اليد الطولى في سرقة الكثير من القطع الاثرية ووضعها في بيته وحديقته قرب تل ابيب ، حتى ان احدى الصحف الاسرائيلية كتبت عنه في السبعينات انه - اكبر لص اثار في العالم - وها هي روتي ديان مطلقة - موشية ديان نفسه - تفتح محلا تحاريا في لندن وتبيع ازياءنا الشعبية الفلسطينية على اساس انها تراث يهودي . وشركة العال الاسرائيلية للطيران تبنت في العام ١٩٨٠ زيا موحدا لمضيفات الشركة ، هو عبارة عن ثوب فلاحى فلسطيني تلبسه نساء فلسطين في ترى رام الله ، ويطرزنه بايديهن ، في حين ان اى امرأة يهودية بما في ذلك الشرقيات منهن تعجز عن تطريزه . وهذا الزى الشعبي الفلسطيني المغتصب هو احد ملصقات جمعية انعاش الاسرة في البيرة ، تلك الجمعية التي بعثت برسالة احتجاج في حينه نشرت في صحيفة "الحروسالم بوست" الاسرائيلية التي نشرت خبر تبني الشركة لهذا الزى مع صورة له . وفي العام ١٩٨٠ يفرض منع التجول على قرية سلواد قضاء رام الله وتطلق النيران لارهاب اهل القرية العزل ، ويرفع منع التجول صباح اليوم التالي لتكون الضحية "طابون" - الاله الشعبية لصنع الخبز - يسرق ويوضع في متحف اسرائيلي . وحتى ماكولاتنا الشعبية سرقوها ونسبوها لانفسهم ١١ .

وفي العام ١٩٨١ يفوز مهندس اسرائيلي شاب بجائزة دولية لمسابقة اقيمت في بروكسل ببلجيكا كاحسن مصمم لقرية حيث سرق تصميم قرية فلسطينية من القرى التي هدمت 'رائيل' منها اكثر من ٣٨٠ قرية .

واغنيتنا ورقصتنا الشعبية ، - دلعونا - تغنى وترقص في وسائل الاعلام الاسرائيلية على اساس انها اغنية شعبية عبرية ، وحتى عملتنا الفلسطينية - الشاقل - سرت على المستوى الحكومي الاسرائيلي وتسبوها للتوارة ، علما بان التوارة نفسها تعترف بفلسطينية الشاقل ، فقد جاء في الاصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين في العهد القديم ما يلي :

"وكانت حياة سارة مئة وسبعاً وعشرين سنة حياة سارة ، وماتت سارة في قرية اربع التي هي حبرون في ارض كنعان . فأتى ابراهيم ليندب سارة ويبيكي عليها . وقام ابراهيم من امام ميتة وكلم بني حث قائلاً : انا غريب ونزيل عندكم . اعطوني ملك قبر معكم لادفن ميتي من امامي . فاجاب بنوحت ابراهيم قائلين له : اسمعنا يا سيدى انت رئيس من الله بيننا . في افضل قبورنا ادفن ميتك . لا يمنع احد منا وكلمهم قائلاً ان كان في نفوسكم ان ادفن ميتي من امامي فاسمعوني والتمسوا لي من عفرون بن صوفر ان يعطيني مقبرة المكفيلة التي له في طرف حقله يثمن كامل يعطيني اياها في وسطكم ملك قبر . وكان عفرون جالساً بين بني حث ، فاجاب عفرون الحثي ابراهيم في مسامع بني حث لدى جميع الداخلين باب مدينته قائلاً : لا يا سيدى اسمعني : الحقل وهبتك اياه والمقبرة التي فيه لك وهبتها لدى عيون بني شعبي وهبتك اياها . ادفن ميتك ، فسجد ابراهيم امام شعب الارض وكلم عفرون في مسامع شعب الارض قائلاً : بل ان كنت انت اياه فليتك تسميني . اعطيك ثمن الحقل ، خذ مني فادفن ميتي هناك ، فاجاب عفرون ابراهيم قائلاً له : يا سيدى اسمعني ، ارض باربع مئة شاقل فضة ما هي بيني وبينك . فادفن ميتك . فسمع ابراهيم لعفرون ووزن ابراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حث . اربع مئة شاقل جائزة عند التجار . فوجب حقل عفرون الذى في المكفيلة التي امام حمرا . الحقل والمقبرة التي فيه وجميع الشجر الذى في حدوده حواليه ، لابراهيم ملكاً لدى عيون بني حث بين جميع الداخلين باب مدينته ، وبعد ذلك دفن ابراهيم ساراماته في مقبرة حقل المكفيلة امام حمرا التي هي حبرون في ارض كنعان ."

وهكذا نجد ان كتاب اليهود المقدس "التوارة" يعترف بان ابا الانبياء ابراهيم عليه السلام قد اشترى قبر زوجته سارة في مدينة الخليل بالشاقل الذي هو عملة الكنعانيين الفلسطينيين العرب التي كانوا يستعملونها قبل رحيل ابراهيم عليه السلام من العراق الى فلسطين . وجاء مناحيم بيغن في الربع الاخير من القرن العشرين ليحعل الشاقل عملة لدولة اسرائيل على اعتبار ان الشاقل عملة اسرائيلية وردت في التوارة !
واحد المعاهد الاسرائيلية جند حوالي ثلاثمائة شاب لجمع الحكايات الشعبية التي يعرفها اليهود في اسرائيل ، فجمعوا حوالي سبعة الاف حكاية منها حوالي اربع الاف حكاية عربية رواها اليهود القادمون من العالم العربي وتبناها المعهد على اساس انها حكايات يهودية اما الثلاثة الاف الاخرى فلا شك انها ملك لشعوب وامم اخرى كان يعيش فيها من حكماءها في محاولة منهم لاذابة الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني مستغلين بذلك غياب عمدة الاغاني الفلسطينية ، تقوم ببث بعض الاغاني الشعبية الفلسطينية على اعتبار ان اصحابها الفلسطينيين ، خصوصاً في ظل ظروف القهر القومي والطبقي الذي يعيشه أبناء الشعب الفلسطيني .

ظروف القهر تدعو للمتمسك بالتراث :

ليس غريبا ان نجد شعبنا الفلسطيني في المحتل من وطننا او المهجر يتمسك بتراته ولا غرابة ان نجد فرق الرقص الشعبي تنطلق من كل ناد او مؤسسة وطنية تقريبا ، وليس غريبا ان نجد شبابنا يعتمرون الكوفية الفلسطينية المنقطة بالسواد او نجد بناتنا واخواتنا يعدن الى الزى الشعبي التقليدي خصوصا في المحتل من وطننا . فظروف القهر القومي والطبقي تفرض على كل واحد منا ان يعبر او ينفس عن هذا القهر ولو باظهار هويته الوطنية عن طريق الزى الشعبي وهذا ليس جديدا على شعبنا ، فعندما اخذت سلطات الانتداب البريطاني عام ١٩٣٦ تعتقل فلاحي وقروي شعبنا عند دخولهم المدن لان الثورة المسلحة كانت تتمركز في الريف ، وكانت تتميز القرويين من سكان المدن بالكوفية التي كان يلبسها القرويون ، فما كان من ابناء شعبنا في المدن والقرى الا ان لبسوا جميعهم الكوفية ، ولم تعد سلطات الانتداب البريطاني تعرف القروي من المدني . وشعب ثورة المليون شهيد في الجزائر كمحاولة منه للرد على الحكومة الفرنسية زمن الاستعمار التي دعت الى - فرسة - الجزائر ، عاد الى لباس قبائل الطوارق البربرية لتمييز نفسه عن المستوطنين الفرنسيين وليثبت لهم ان للشعب الجزائري هويته الوطنية وتراثه المختلف كليا عن تراث الشعب الفرنسي .

وجوزيف ستالين الزعيم السوفييتي الراحل والذي قاد روسيا الاممية الشيوعية في اعظم حرب تحررية ضد الوحش النازي في الحرب العالمية الثانية ، كان يخاطب شعبا اثناء الحرب ليلهب الحماس فيهم مذكرا اياهم بتراتهم القديم وببطولات اجدادهم . ومضى الشعب السوفييتي في الحرب تحت قيادة ستالين وقدم عشرين مليون شهيد على مذبح الحرية . وفي تقديرى انه لولا الظروف الحرجة التي كان يمر بها الشعب السوفييتي اثناء الحرب لما ضرب ستالين الشيوعي الاممي على الوتر القومي لشعبه .

ولا نزال حتى ايامنا هذه نجد وسائل الاعلام العربي تخاطب الحشوش العربية اثناء الحروب تخاطبهم بقولها : " يا احفاد خالد بن الوليد واحفاد سعد بن ابي وقاص واحفاد صلاح الدين واحفاد ... الخ " .

- من المهمين بالحفاظ على التراث الشعبي الفلسطيني في المناطق المحتلة - :

١٠١ . جمعية انعاش الاسرة : حيث يوجد لديها متحف متواضع ولديها لجنة ابحاث فولكلورية تصدر مجلة " التراث والمجتمع " حيث صدر منها حتى الان " ستة عشر عددا " كما اصدرت دراسة ميدانية تراثية عن قرية " ترمسعيا " وكذلك كتاب " مدخل لدراسة الفلكلور " لنبيل علقم ، كما تقوم بعمل ارشيف للفولكلور الفلسطيني كما اصدرت كتابا مصورا ضخما عن الازياء الشعبية .

١٠٢ . مؤسسة دار الطفل العربي : حيث يوجد لديها " مركز للتراث الشعبي " وقد اصدرت السيدة زينب الحسيني كتابا مصورا ومشروحا عليه بالعربية والانجليزية عن محتويات هذا المركز .

١٠٣ . بعض الاشخاص المهتمين والذين صدرت لهم ابحاث بهذا الخصوص :
على الخليلي ، دكتور عبد اللطيف البرغوثي ، نبيل علقم ، زكي العيلة ، جميل السلحوت ، دكتور شريف كناعنه ، وليد ربيع ، عمر حمدان ، عبد العزيز ابو هدا ، موسى علوش ، علي عثمان ، محمود مصلح ، وهاني البدارين .



حسن مصطفى

من رواد

الحركة

الفولكلورية

ال فلسطينية

بقلم

عبد الله قلوبش



حسن مصطفى

إشارة لما نشر في الفجر الأدبي العدد ٢٢ والعدد ٢٨ عن أدب وفكر الأديب
والصحفي الفلسطيني المرحوم حسن مصطفى إشارة لمواقفه الوطنية
والإنسانية

الإنسان الخالد والثاني الأجل لآثاره الماثلة
التي لا تخفي على عين
من هنا لا بد من توثيق المعرفة بين القراء

كان لزاماً علي كمواطن وشاعر من "بتير"
التنويه إلى جوانب مشرقة أخرى لهذا الإنسان
من منطلقين راسخين الأول أحياً ذكر هذا

فيها وجوده على ارضه وبقائه وانتما هـ لها .

تبنى هذا الرجل التراث الشعبي فاحياه
ورسمه بيد فنان وبفكر مبدع على هذا التراب
المقدس

كان الوقت مرا وعصيبا هزّ الشخصية
الفلسطينية حتى النخاع حتى استقرت المראה
في اعماق النفس وسيطر شيطان التشرد والغربة
على الكيان الفلسطيني شعر الانسان بتمزق
رهيب في روحه واحساسه داعيك عن تكاثر
اعداء الانسان على !نسانيته وهم الجوع
والجهل والممرض .

كيف يغني ؟ كيف تسمح له نفسه بالانخراط
في حلقات الدبكة ؟ كيف يمرح اليس هذا عدا
نراجيديا له ولقيمه ولمثله التي احفظ بها
بحرارة .

هكذا كان الانسان البتيري ان لم نقل
الفلسطيني يشعر بشرخ كرامته وعزته فالأمر
خطير لدرجة الموت من فقدان ثقة الى كآبة
الى شroud الى تمزق كانت المصلحة العامة اما
غربيا كغربة الانسان لا حاجة له بها فهو
يلهث وراء المصلحة الخاصة وتوفير لقمة
العيش مجبولة بالعرق والدماء

وسرعان ما ظهر حسن مصطفى فأخذ
بترميم هذه الشخصية من داخلها مبتدئا
بالشعور ولم يضع حدا للنهاية . ولكنه كيف ؟
فالامر شاق والتعامل مع الشعور غاية في
الخطورة .

رأى حسن وهو القائل ان الحياة من
حيث القيمة نوعان وجود وحياة وموجود
معناها غير فان وحي معناها يقوم بدور على
مسرح الحياة والفرق بين الوجود والحياة فرق
شاسع ولكنه يبدأ بخطوة زيادة .

رأى ان يسبق رحلة التراث رحلة في
النفس البشرية يبت فيها حب التضحية من
اجل الصالح العام وروح التعاون وفق برنامج

الكرام وهذا الرجل الخالد فهو من فلاسفة
الريف البارزين ، اعتبر الريف قاعدة المجتمع
واولاها اهتمامه .

من اقواله الماثورة : كن حادا ان شئت
او كن باردا ولكن لا تكن فاترا لئلا اتقيأك من
فمي . وقال ايضا : من لاجدورله لاسماء له . وقال :
انسان بلا ارض انسان بلا هوية ، وقال وقال
ولد هذا الاديب والفيلسوف والمجاهد
الاجتماعي في بتير بتاريخ ١٩١٤/١٢/٢٥
وتخرج من الجامعة الاميركية
في القاهرة بشهادة ليسانس آداب وفنون .
كرس جهده في الاصلاح والاعمار في بلده
الام بتير حيث سعى جاهدا لتحويل مجتمعه
انذاك الى مجتمع اشتراكي وهو صاحب المبدأ
الجديد في العالم العربي وهو مبدأ تطوير
المجتمع بالعمل التطوعي .

انسان ومفكر وعبقري فذ ما سار على نهج
غيره ليس شغفا منه في الظهور فقد كان أبعد
الناس عن هذه الخصلة المريضة . لاذع
حاضر البديهة رائدا في اختيار الكلبي
= المصطفة والاراء الطريفة البناء لا تلهيه
القشور والتفاصيل المملة جوهرى جرى مقدام
شغوفا بالموسيقى والجمال والماء والخصب
والفضائل .

من مؤلفاته الادبية : خطرات ريفية
وشخصيات حرر مجلة القافلة وكتب في
الصحف الفلسطينية تحت زوايا يومية (صباح
الخير) (في الواقع) توفي رحمة الله بتاريخ
١٩٦١/٦/٤ بعد عمر دام ٤٦ عاما فقدت
فلسطين بفقده رجلا لامعا من ابنائها
المخلصين

ونحن في هذا الصدد مدعوون للاشارة
بفخر واعتزاز الى ميدان من احدى الميادين
التي برع فيها واجاد لاسيما احياء التراث
الشعبي الفلسطيني الذى يعتبر شخصية الشعب
الفلسطيني المتحركة والمرحة والذى سجل

الفريد من نوعه وهو العمل التطوعي ولقد تم له ذلك بمهارة وبعد نظر نادرين - أهلتـه - لتحقيق هدف آخر في مخيلته وهو احياء التراث الشعبي وكان بوسائل ثلاث .
 الأولى: عن طريق المهرجانات الشعبية والاحتفالات بافتتاح مشروع حيوى في القرية يلتف فيها الجمهور البتيرى حول رائده الاول رجالا ونساء وبنانا وشابات وطلابا وطالبات .
 القرية بأسرها في عرس جماهيري ليس له مثل تدوى فيه الشابة او الارغل بالالحن الشعبية وترقص الجماهير في حلقات الدبكة الواسعة العاصفة بالشوب المطرز والقمايز والكوفية العربية والنساء تمطر الجو بالزغاريد كيف لا يفرح الناس وقد صنعوا الفرح بأيديهم وارادتهم التي لم تعرف اليأس الثانية: اعراس القرية!
 كانت التربة المناسبة للاعراس شارع القرية وخاصة في مكان قريب لبيت المرحوم

حسن مصطفى حيث يبلغ الشارع اقصى اتساع له مما ادى الى اشتراك حسن فعليا في العرس فكثيرا ما شارك في هذه المناسبات وخاصة اذا كان العريس فقيرا ذو شعبية ضئيلة او (عزوة قليلة) يؤدى التزامه الاجتماعي المتعارف عليه ثم يأخذ في التشجيع على السامر والا ثم الدبكة بانواعها "غزبل" و"دلونا" وعلا (الطيارة) يجهز لشارع الاحتفال ميكروفونا قدمته مؤسسة اليونسكو هدية له ليقوم بدور فعال - يطلب بشدة مددة من كافة المدعوين الاشتراك في مراسيم العرس فيؤدى الشباب عرضا شيقا وكبار السن عرضا آخر والطلاب عرضا آخر ايضا الجميع بلا استثناء الا العاجزين عن اتقان هذا الفن الاصيل والعريق وصرخة حسن مصطفى تدوى شعب يدق برجله على الارض بمثل هذا الايقاع لن يموت .

الثالثة: الحفلات وهي نوعان :
 أ - حفلات استقبال الضيوف العرب والاجانب





البطيرية تستقبل الضيوف بحفاوة بالغة فالدبكة الشعبية والزغاريد والخطابات والتصفيق هي القهوة السمراء واهلا وسهلا
بـ الحفلات المدرسية

كانت الدبكة احدى البرامج الرئيسية والفقرة الحية التي لا بد منها هكذا لبس التراث الشعبي حلته القشبية الجميلة وازدان بأهله الاوفياء المخلصين، شعر على اثرها الانسان الفلسطيني بأن ما داهمه من اخطار وما عصفت به من نواكب اشياء عارضة عابرة لا تهز كيانه ولا تعيث بترائه الاصيل.

وهكذا استطاع حسن مصطفى ان يصنع الانسان من جديد بعد ان اوشك على الانهيار واعاد البسمة الى الشفاء والقدسية الى تراثنا الفلسطيني وامتد الى ما هو عليه من سحر رحم الله بطل التراث الشعبي وابن بتير الخالد.

المتضامنين مع حركة البناء والتعمير ماديا او معنويا والذين يشغلون مناصب هامة في الدولة يؤدون واجبهم فيما بعد وهذا يذكرنا باحدى مقالاته في مجلة الهدف المقدسية مخاطبا كبار المسؤولين في الدولة للقيام بالتبرع في المشاريع الخيرية تحت عنوان

قرش في الميدان ولا عشرة في الديوان ومثلما يكون مدقق ميزانيات فيجب استحداث منصب مدقق التنفيذات ووظيفة مدقق التنفيذات ضمان (دخل العملة) الى الميدان ومطابقة الرقم الذي على الورق مع واقعية الانتاج في الميدان

في الدخل حركة وفي الحركة بركة واما الرقم فيذهب جفاء واما القرش الداخل الى الميدان فيمكث في الارض،
اثناء هذه الحفلات الموسمية كانت الاسرة

لقاء

مع فوزي البكري

شاعر الصعاليك

في

الأرض المحتلة



اعداد

بطاقة شخصية

الاسم فوزي ياسين البكري

سنة الولادة: ١٩٤٦

الحالة الاجتماعية : متزوج وأب لخمس
اطفال

جميل السلحوت

انهى دراسته الثانوية في المدرسة
الرشيدية بالقدس في العام الدراسي ٦٤-٦٥
عمل في سلك التعليم ما بين أعوام ١٩٦٧ -
١٩٧٠

عمل في صحيفة الشعب ثم الفجر ما بين أعوام ٧٢-٧٦ بشكل منتظم وما زال يعمل في الصحافة بشكل متقطع صدر له ديوان "صلوك من القدس القديمة" عام ١٩٨٢ .

ولد في اسرة متدينة والده المرحوم الشيخ ياسين البكري احد ابرز مقاتلي الثورة الفلسطينية حتى عام ١٩٤٨ . كان رجل دين ورعا، لم يفصل الدين عن البندقية، وكان يعتبر الشهيد عز الدين القسام مثله وقدوته . وقد عمل اماما للمسجد الاقصى من أوائل الخمسينات حتى توفاه الله عام ١٩٧٣ والشيخ ياسين البكري شاعر مبدع ، له ديوان شعر مخطوط - لم يطبع حتى الان - وهو من الشعر العمودي ، يتميز بالبلاغة والفصاحة ، وقد ربى أولاده على حب الادب خصوصا الشعر ومن شعره هذا البيت الذي يعبر به عن مدى مصداقيته وثوريتته .

وابنوا على القدس سورا من جماجمكم
ثم افخروا بعدها انكم عرب
كان لنا مع الشاعر هذا اللقاء في بيته
القديم والفقر فقر فوزى وفوزى شاعر الفقراء
صادق ، يحب وطنه ، ثورى ، بسيط وعميق في آن
معا ، لا يفاخر بشيء ولا يكابر متواضع في كل
شيء في ملبسه ، مأكله ومشربه ، تدفانا واياه
على "مدفأة الفقراء" "بابور كاز" في بيته .
جلسنا مع فوزى وتحدثنا والحديث ذو
شجون ، وفوزى متحدث لبق ومتشعب واستطعننا
بين الفينة والاخرى توجيه بعض الاسئلة اليه
وتلقينا اجوبه عليها

بدأت بكتابة زجل شعبي بسيط جدا وأنا في الصف الثالث الاعدادى عام ٦٠ - ٦١ وأحسست حينها ان باستطاعتي ان أقدم شيئا حيث لم يكن لدى أية حصيلة لغوية أو فكرية وقد لقيت تشجيعا من أستاذتي خصوصا الاستاذ عثمان الشاعر - الذى لا أعرف عنه الان شيئا - ولا انسى دور المرحوم والذى الذى شجعني كثيرا ، وعلمني آوزان وموسيقى الشعر وأنا طفل - وفوزى انسان يحب والده حتى بعد موته وعندما يتكلم عنه يبدو الحزن مرتسما على وجهه - قال مشيرا الى ابنه "اسلام" الذى لم يبلغ العاشرة من عمره لقد كان المرحوم والذى يعلمني ما لم استطيع أنا تعليمه لابني اسلام ، كان يجلسني وأنا في الصف الخامس الابتدائي ويعلمني تفعيلات بحور الشعر ويغنيها امامي حتى حفرت في دماغي ولن أنساها وكان يركز على ضرورة الموسيقى الشعرية ، وقد قال لي ذات يوم : "أما ان تكتب نثرا وأما ان تكتب شعرا ، والشعر لا يخلو من الموسيقى" ويضيف فوزى قائلا وإذا نظرنا الى فحول الشعراء في القرن العشرين أمثال أحمد شوقي ونزار قباني نجد ان كليهما لم يكتب شعرا غير موسيقي .

ديوانك "صلوك من القدس القديمة" لماذا اخترت له هذه التسمية ؟

لاني اعبر بكلمة "صلوك" عن المسحوقين وبالقدس "اعبر عن قضية شعبي .

الصعاليك ماذا يعنون بالنسبة لك ؟
الصعاليك حركة اشتراكية قبل ان يولد

هل تحدثنا ابا اسلام عن بدايتك مع الشعر ؟

لم احلم في يوم من الايام ان اكون مشهورا والذين يبحثون عن الشهره هم يعبرون عن عقدة نقص عندهم وانا مقل لاني اكتب شعري من قلبي ويكفيني هذا . بل يكفيني ان يقرأني قارئ واحد ويفهمني من ان اكون مشهورا ويقرأني الكثيرون ولا يفهموني

أنا اسلام انت متهم "بالبذاءة" في شرك فماذا تقول بهذه التهمة ؟

انا اتمثل بشعر مظفر النواب الذي يقول في مقدمة ديوانه " سفينة الحزن " اغفروا لي حزني وخمري وغضبي وكلماتي القاسية .. بعضكم سيقول بذئمة . لا بأس أروني موقفا أكثر بذاءة مما نحن فيه .؟؟؟ .

ما رأيك بشعراء الارض المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ؟

منهم من أبدع وعبر امثال خليل توما وعبد اللطيف عقل ، ومنهم لم يبدع ولم يعبر وقد سمعت ذات يوم رأيا يقول " يأتينا شعر من الارض المحتلة ونحترمه لانه قادم من الارض المحتلة ، لكنه في الحقيقة ليس شعرا " وهذه شتيمة لا يسنني سماعها لكن "شعرا"نا اضطرروا الآخرين الى قولها .

لك شرك في الخمره مع انك وشعبك نعيشون ظروف قهر طبقي وقومي فما تعليقك لذلك ؟

ومن قال ان الخمره ليست التزاما ، الخمره تكتب ما لم يستطع غير شاربها ان يكتب !!

ماركس ١٣٠٠ سنة ، والصعاليك كانوا رجالا يأخذون أموال الاغنياء لصالح الفقراء ، لانهم احتسوا ان هناك فقراء وبالجانب الاخر اغنياء ويجب ان ينصف الفقراء من الاغنياء .

انت شاعر متميز فنا ومضمونا في الارض المحتلة ويقول عنك قراء شعرك انك متأثر مصطفى وهي التل ومظفر النواب فهل هذا صحيح ؟

اذا كنت متميزا في شعري فهذا يقوله القراء والنقاد ، اما انا فلا اقول ذلك ، وبالنسبة لتأثر مصطفى التل ومظفر النواب فانا افتخر بهذا . وما دام ديواني اسمه "صعلوك من القدس القديمة" فعرار "مصطفى وهي التل" اروع صعلوك وكادح أيضا وكذلك النواب - ولا ازال كلما أنست الى ديوان شعر لا أنس الا بهما ، وانا متأثر بشوقي ايضا .

الم متأثر بشعراء فلسطينيين ؟

بالتأكيد أنا متأثر بالقلم الشامخة امثال "ابي سلمى" عبد الكريم الكرمي وشهيد الشعراء عبد الرحيم محمود وكذلك بابراهيم طوقان . ومتأثر ايضا بمحمود درويش وسميح القاسم واللذان لا بد لشاعر عنده وجدان الا ان يقرأهما . بل ويحفظهما وانا معجب ايضا بشاعر الشعب توفيق زياد الذي يكتب للفقراء والمحقوقين .

لماذا انت مقل في شرك واقل شهرة من غيرك من شعراء الارض المحتلة مع انك اشعر

ذات يوم عن رؤية في الحب العذرى فأجاب
بلهجة عراقية عامية "ويش، كان يريد المجنون
من ليلى ولو" "نتجها" ما جن" وبوض
فوزى بقولة تبقى العذرية عذرية والحب حبا
لكن للجواهرى ان يرى ما يرى .

ما فلسفتك في الحياة؟

الـحـب

لمـن ؟

الـحـب كـل . . الـحـب كـعـطـاء . . الـحـب لـكـل
الناس . والحب أروع فلسفة في الوجود، اما
أحيانا فانك تضطر ان تكون حاقدا .

ما هو مفهومك للشعر ؟

الشعر رسالة ينبغي ان يفعل "يعلم"
الجماهير ويحدثها عن واقعها وهمومها ومشاكلها
ويفهم هذه الحقائق .

من ملهمك في شعرك ؟

ضميرى

كلمة اخيرة من فوزى البكرى للقراء ؟

قولوا للشعراء ان يكتبوا أحاسيسهم ؟
لانهم اذا كتبوا أحاسيسهم صدقوا وأبدعوا،
اما اذا افتعلوا فان الوجدان الشعرى سيقول
لهم بأنهم سقطوا . .

ويضيف فوزى . صار الانسان في وطني
محملا بالهموم . . محملا بالأمان . . وكـم انا
مسحوق؟ فاني لا اريد من الدنيا شيئا ولكن
اذا ارادت الدنيا شيئا مني فلتأخذ . . انا
لي همومي . . انا قلق على قضيتي . . على
شعبي . . على أبنائي . . الا يحق لي ان اخرج
من هذا المأزق بكأس من الخمرة؟ وهل اذا
خرجت من هذا المخرج اخرج عن الوطن؟

ويتابع فوزى قائلا : مظفر النواب يتهمونه
بالسكر ليل نهار ولكنه يبدع ويعبر اكثر ممن
لم يعرفوا طعم الخمرة وأحمد شوقي امير
الشعراء كان يجلس في "كرمة بن هاني" -
حديقة منزلة المطلة على النيل - ويعاقر
الخمرة ثم يكتب شعرا، اما انا فلا أستطيع
الكتابة الا في قمة صحوى .

في ديوانك قصائد من الشعر العمودى
وأخرى من الشعر الحر فما رأيك بكلا الفنين
الشعريين ؟

حتى بهذا وذاك كنت التزم بالموسيقى،
وأحيانا الاحساس الشعرى لا يعبر عنه الا
القصيدة العمودية . . وهل أروع من الشعر
العمودى ؟ مثال على ذلك نزار قباني أروع
ما ابداع في قصائده العمودية وأحيانا تجد
الاحساس ينطلق مع الشعر الحر، وأحيانا
اخرى لا تجد احساسك الا مع الشعر العمودى
وشاعر لا يكتب الشعر العمودى ليس شاعرا . .
وأنا اتحدى بعض الشعراء ان يكتب بيتا من
الشعر العمودى .

الشاعر الكبير محمد الجواهري لا يعترف
بالشعر الحر فهل توافقه ؟

الجواهري شاعر كبير وعلاق وقد سئل

قرع ناقوس الخطر

بقلم

ي. يورغن

جوناثان شيل - مصير الارض - نشرته في الولايات المتحدة شركة الفريد أ. كتوف المحدودة نيويورك ، ونشرته في الوقت نفسه في كندا راندوم هاوس اوف كندا لميتد ، تورونتو ١٩٨٢ ، عدد الصفحات ٢٤٤

مئات الالوف من الناس يحتجون في شوارع اوروبا على سباق التسلح النووي، وعن سبب انتشار هذه الحركة الان في الولايات المتحدة حيث تشمل الكنائس والجامعات وحتى اجتماعات الناخبين في المدن عليه ان يقرأ "مصير الارض" لجوناثان شيل " ويرى الكاهن ثيودور هيسبورغ رئيس جامعة نوتردام في مؤلف جوناثان شيل احدى "الادوات الجبارة لرفع وعي البشرية اينما كان في مواجهة الخطر الرهيب، خطر الاسلحة النووية"

بحكم هذه الامور يستحق مؤلف شيل الاهتمام كأحد المصادر التي تمكن من الحكم على التركيب الفكرى - السياسي الاخذ في التكون للحركة المعادية للحرب في الولايات المتحدة. والحداثة النسبية لهذه الحركة تؤثر في حقيقة انها وان اعلنت نفسها في السياسة كقوة جماهيرية متنفذة ، الا ان ايديولوجيتها ما زالت في طور التكون من حيث الجوهر. وهي في أس الحاجة الى فلسفة سلام متكاملة ترد على الخطر النووي بالذات. ويمكن القول ان كتاب جاناثان شيل ،

لم يكن مؤلف جوناثان شيل "مصير الارض" قد عبر في شكل كتاب (١) حينما بدأت صحافة الولايات المتحدة تتحدث عنه باعتباره "كتاب القعد، وربما كتاب القرن" و "أحد الكتب البادرة التي تتمتع بقوة لتغيير عقول الناس" (٢). لم يكن ذلك إعلان مضخم على نحو مضطع لكتاب شديد الرواج، فهذا المؤلف للمحفي الامريكي مدين بما لقيه من اعتراف اجتماعي للاحتجاج المتزايد في الولايات المتحدة على الاسلحة النووية، وللدور المتعظم الذي تلعبه في الحياة السياسية للبلاد هذه الحركة للعمال والمستخدمين والاطباء ورجال الاعمال وربات البيوت والشبيبة ورجال الدين والعلماء.

والكثير من المشتركين في حركة الاحتجاج (وهي تضم مئات من الجماعات المتفرقة) استقبلوا "مصير الارض" بمثابة بيان لهم، وحتى هيلين كولدريكو رئيسة المنظمة ذات النفوذ "الاطباء" يؤيدون المسوءولية الاجتماعية است مؤلف ج شيل "انجيلا جديدا لزماننا" وكتب المراقب السياسي الامريكي جيمس ريستون "ان كل من يتساءل عن السبب الذي يجعل

اذ يتفق وافكار المشتركين في الاحتجاج على الحرب، يوءثر في الوقت نفسه تأثيرا فعلا في وعيهم، ويشكله، ويوجهه في مسار فكري يلائم آراء المؤلف الفلسفية والاجتماعية السياسية.

على امتداد خمس سنوات تقريبا درس جاناثان شيل مختلف المراجع ذات العلاقة بالخطر النووي من مراجع فيزيائية - تقنية وعسكرية وايكولوجية وايسخاتولوجية وهذه الاخيرة تبحث في مسألة امكان فقدان البشرية لتاريخها وفنائها) - وقابل فيزيائيين واطباء واطلع على مؤلفات الفلاسفة وكانت ثمرة ابحاثه مزيجا فريدا من المسالمة والتفكير بحقائق العصر الذري واذا سعى جاناثان شيل للعثور على رد فكري وعاطفي وسياسي على الخطر النووي وتعيين دائرة الافكار الاساسية التي تشير الى اين ينبغي للحركة المعادية للحرب ان تسير حسب رأيه، برز كايديولوجي لنزعه مسلمة متجددة. فما هو جوهر آرائه الرئيسية؟.

ان الموضوع الرئيسي المعروض بأسهاب في الكتاب هو تبيان عواقب استخدام الترسانة النووية المكدسة في حالة وقوع نزاع عالمي. ان الكثير من العلماء، الذين يبحثون في هذه المسألة، يتوصلون الى استنتاج يدعو الى القلق مفاده ان الحرب النووية ستكون كارثة عالمية وفاجعة حتمية تجعل الحياة البيولوجية نفسها في كوكبنا عرضة للتساؤل. بيد ان تحذيراتهم تشق الطريق الى وعي الجماهير عبر صراع فكري حاد كوكما ينوه شيل فان "بعض المراقبين قد اكدوا، ولا سيما في السنوات الاخيرة. على ان الكارثة لن تمحو

حتى تلك المجتمعات التي ستعرض لضربة مباشرة" بل وان بعض المحللين يصورون الضربات النووية بمثابة عمل اقرب ما يكون الى الخير " وكتوضيح لهذه الهجمة المعاصرة يورد المؤلف قول موظف في الدفاع المدني للولايات المتحدة. " من شأن الحرب النووية ان تطف (٦) عددا من العوامل المؤدية الى الخلل الايكولوجي الحالي نتيجة لتركز السكان العالي الحالي وبسبب الصناعة الثقيلة" (٧) يمكن تصور مدى ما يطلب من الجهود ايضا لا يصل الحقيقة عن الخطر النووي الى وعي الناس في بلد يدلي فيه رسما بمثل هذه التصريحات الغفطية"

واذ يدحض شيل الحجج المقرفة حول جواز الحرب النووية، يوضح ان السلاح النووي ليس رهيبا ومرعبا فحسب، بل يختلف نوعيا عن كل اسلحة الحرب الاخرى لانه " لا يقتل بقسوته الغفطية مباشرة فحسب، بل يقتل بصورة غير مباشرة ايضا، حيث يهدم النظام، الذي اقامه الانسان والطبيعة، والذي تتوقف حياة الناس عليها بصورة جماعية. والسلاح النووي فريد من نوعه انه يضرب انظمة حفظ الحياة على جميع المستويات" (ص٢٣) ومن اقوال سكان هيروشيماء، الذين تعرضوا للهجوم الذري، يرسم المؤلف لوحة لالام النفس البشرية وحزنها وعجزها عن ان تستوعب احوال الفناء النووي.

ويحذر المؤلف قائلا "ان ما حدث في هيروشيماء هو اقل من جزء من المليون من ذلك الحريق الشامل الذي تستطيع الاسلحة النووية

ان نسبته اليوم" (ص ٤٥) . واذ يهبط شيل الى ذلك الجحيم المتخيل ، يبين المصير الذي قد يطال بلده والعالم بأسره . ففي حالة توجيه تروحيه ضربة نووية كاملة لا يفنى في الولايات المتحدة السكان وحدهم ، بل يفنى معهم جزء هام من نظام البيئة ويبدو ان الاصناف الدنيا من الحيوانات والنباتات هي وحدها القادرة على تحمل التلوث الاشعاعي للوسط الطبيعي و" تشير كل الدلائل الى ان الولايات المتحدة من شأنها ان تصبح جمهورية للحشرات والاعشاب " ولهذا فان المراقبين الذين يتحدثون عن "اعادة التعمير" بعد الكارثة او عن "كسب الحرب النووية انما يحلمون . انهم يعيشون في ماض شطبه السلاح النووي الى الابد " (ص ٧٣) .

ب"جواز" ضربة نووية، مبشرين بعقيدة خطيرة مفادها وجود نوع غير انتحاري من الحرب النووية .

بيد ان طابع الكارثة الممكنة واضح في ظل المستوى الحالي للأسلحة النووية، اذ ان استخدامها مقرون بالخطر على وجود البشرية . ويكتب جاناثان شيل " طالما اننا عرفنا ان الكارثة قد تؤدى الى الفناء، فلا يحق لنا ان نخاطر، لاننا اذا خسرنا ستنتهى اللعبة ولن تكون هناك فرصة اخرى ابداء لنا ولا لاي طرف آخر " وحيث ان حياة البشرية تصبح موضع تساؤل ، كما يقول ، فليس ثمة فرق جوهري من وجهة النظر الخلقية بين مجالي غير المحدود والممكن عمليا ؛ ليس عندنا خيار آخر غير تناول قضية الاسلحة النووية وكأننا نعلم علم اليقين ان استخدامها سيقتضي على جنسنا البيولوجي " (ص ٩٥) .

ان الفهم الصحيح للخطر النووي يمنع في رأى المؤلف ، الهوية بين معرفة والشعور ، العقل والعمل ، حينما يعرف الناس بوجود تهديد مباشر ومستمر لوجودهم ، ولكنهم لا يستطيعون عمل شيء ويعيشون وكأنهم في امان يصرح ، مخاطبا مواطنيه : " نحن نعترف عقليا باننا اعدنا للانتحار ونطور هذه الاستعدادات يوميا ، ولكننا لا نرد على هذا انفعاليا وسياسيا " (ص ١٥١-١٥٢) .

واذ يسعى جاناثان شيل لاثارة الرد الانفعالي على الخطر النووي ، يتجه الى موضوع الاخلاقيين المعروف حول مغزى الموت ، المسألة التي يعتبرها الاستراتيجيون الاميراليون " غير مناسبة لانها معنية باخفاء جوهر الحرب النووية المعادى للانسان وتطمسه خلف الرطانة التقنية حول سلام مجرد لا يمت للناس بصلة . وكانما يكشف المؤلف حدود مأساة موت ملايين وملايين الناس قبل الاوان في حالة الكارثة ، مبينا التشريح

ويأخذ المؤلف في الحساب انه لدى اظهار عواقب النزاع النووي ، لا بد من الدخول في ميدان غير محدد ، لانه يستحيل رسم الفاجعة الممكنة على وجه التحديد . والكثير من الاثار المدمرة للسلاح النووي ، ولا سيما الاثار العالمية وطويلة الامد ، لم يعرفها العلم الا في العقد الاخير . وهو لم يعرف كل شيء طبعاً . وقد تكون مقاومة الوسط الطبيعي للتخريب النووي أدنى بكثير مما يفترض اليوم . ولكن القضية لا تنحصر في نسبة ونقص المعارف الحالية . فمن يستطيع ان يحدد مسبقا مقاييس استخدام الترسانات النووية ؟

ويكتب شيل قائلًا ، ان الطابع الجدلي الناتج عن الاحكام المتعلقة بمصير البشرية في حالة نزاع نووى ، يخفف ويقلص احيانا من الاحساس بالالاحاح . وهذا على وجه التحديد ما يراهن عليه المنظرون الذين يقولون

الشخصي فحسب ، بل والفناء البشري العام ، حيث يختفي بلا اثر تاريخ ومنجزات وامال الاجيال الماضية والحالية والتي لم تولد بعد وماساوية الحرب النووية تكمن ، بالتالي في خلوها المطلق من الاخلاق ، وفي جريمتها الشاملة ضد الفرد والمجتمع والجنس البشري

هذا الموقف الخلفي لا يعطي مسوغات للباس والتشاور وفي الواقع فان مصير الارض لم يحدد نهائيا بعد ، وابداء البشرية امر يمكن تجنبه . وانقاذ الحياة امر مهيمن ولا يقبل المؤلف بفلسفة فرانس كافكا التي تزعم انه "يوجد امل غير محدود ، ولكن ليس لنا" انه يؤكد ان بوسع الناس ابعاد الكارثة ويتناول بالانتقاد مختلف انواع التعاليم الفلسفية - الخلقية والدينية التي تختزل فيها مأساة فناء البشرية الى مهاندته هذه المأساة في ضمير الانسان

ان انصار مذهب العصمة ، مثلا يبحثون عن "قيمة" يمكن ان تبقى بعد النزاع النووي ومن أجل هذه القيمة يمكن قبول الفناء الشامل انها "احتثاث الشر" و"تنفيذ التعاليم الالهية و المعركة الفاصلة (هرمجدون) التي توعدها بها الانجيل" . ومن هنا يبدو كم تكون المسلمات الدينية خطرة احيانا .

كان الفيلسوف الوجودي الالماني كارل ياسيرس من الذين اعطوا تبريرا فلسفيا - خلقيا لابادة البشرية . كما قال في كتابه "مستقبل البشرية" فانه لا الحياة الفردية فحسب ، بل "الحياة كلها يمكن المخاطرة والتضحية بها من اجل حياة لائقة" . وهذه بالذات هي خلفية بيعع الدعاية الامبريالية "ان تكون ميتا افضل من ان تكون احمر" . ان جاناثان شيل يرفض هذه الفلسفة

المعنوى - الخلق للخطر النووي . انه يجلب موتا جديدا لم يعرفه تاريخ الحضارات من قبل ، موتا فقد مكانه الطبيعي ، اذ اصبح قوة معادية للارتقاء من شأنها ان تهدم خلال عدة سنوات او حتى عدة ساعات ما أوجده التطور على امتداد مليارات المسنين" . (ص ١١٣)

ويسمى الصحفي الامريكي ابداء البشرية كجنس بيولوجي في نزاع نووي "موتا ثانيا" ، مبينا اختلافها الجوهرى عن الموت الفردى الناجم عن اسباب طبيعية او حادث طارئ او مشيئة اناس آخرين او تضحية بالذات .

وفي هذا الصدد يخوض في مجاهل روحية لم يخض فيها من حيث الجوهر أحد من الفلاسفة الخلقيين واذ يعلل جاناثان شيل موقفه من القضية يصير على القول "اذا كان التفكير في الموت الفردى قد يؤدى الى الخضوع المستكين له ، فان التفكير في الفناء الشامل يجب ان يخلق رد فعل مضاد على وجه التحديد الحفز والرفض والسخط والعمل . فابادة البشرية ليست مادة للتأمل ، انما تتطلب الانتفاض والاحتجاج (ص ١٨٤) .

فما هي مساوية الخطر النووي بالنسبة لوجود الناس الشخصي ؟ يمكن صياغة الجواب ، الذى نجده في الكتاب على النحو التالي : كان بوسع الناس الى الان تصور العالم البشرى خارج حياتهم ، وكانوا يلمسون صلاتهم الشخصية بالمستقبل على هذا النحو او ذاك . كانوا يدركون ان الحياة والتاريخ سيستمران بعدهم في اعمال سيل لا ينقطع من الاجيال المقبلة . وكان الناس يرون المستقبل بهذه البساطة . ان الوجود اللاحق للبشرية كجنس بيولوجي لم يكن متوقفا على مشيئتهم السياسية اما الان فقد انفجرت امام النظرة العقلية هاوية الفناء لا

الحرب كأداة لها. هنا في حين ان "خوض الحرب النووية" جنون مطبق ،لانه تم انجاز آلية الابدانة الشاملة.

وهذه الالية، كما يشير الكتاب، تلغي في حالة النزاع بين الدول النووية أماكن "الاقتمار على استخدام العنف داخل اطار الحرب بمفهومها التقليدي ولن يكون النزاع النووي " حربا" بل تهديم وافناء شاملان لا معنى لهما والنتيجة نفسها، كما يقول المؤلف ، محتلمة ايضا في حالة "الحرب العادية" بين الدول النووية، لان الفرص قليلة لجعلها تقتصر على اهداف "النصر" وحكومة الولايات المتحدة قد صرحت على اى حال بانها لا تعتبر نفسها ملزمة بقواعد "الحرب المحدودة" اذا كانت هذه "القواعد" ستسفر عن هزيمة لها، ومن هنا يصبح مفهومها خطر التفكير الذي يستمر اعتبار الحرب اعلى حكم للنزاعات الدولية ومما يجعل الخطر ادهى ، كما يقول جاناثان شيل ، ان "الكارثة لا يمكن ان تحدث اذا لم نسبها بالسعي لاهدافنا السياسية بواسطة العنف" . ويبين المؤلف تهافت المفاهيم العسكرية التي يتحدث انصارها عن تحقيق "التفوق العسكرى" للولايات المتحدة وامكان "كسب" الحرب النووية او، في اسوأ الحالات "خسارة" هذه الحرب مع البقاء سالمين .

هذه، في رأينا، اهم افكار جاناثان شيل التي تلفت الانتباه الى خطر النزاع وتعلل نداه القائل: "هبوا لتطهير الارض من الاسلحة النووية" (ص ٢٢١)

بيد ان الانطباع عن الكتاب لن يكون كاملا اذا لم نتطرق الى مواقف مؤلفه الاجتماعية - السياسية. لقد اكتسب في السابق سمعة عدو راديكالي ليبرالي لحرب الولايات المتحدة في فيتنام ، ويتحدث الكتاب ببلاغة عن مناصرته الحالية للحركة المناهضة

لفلسفة "عدوان الاقلية على الجميع ، بما في ذلك الاجيال التي لم تولد بعد" . ويتلخص جوهر موقفه في "اننا يجب الا نضع ابدا القيم اعلى من حياة البشرية ومن احترامنا لوجود هذه الحياة. والا فان مثلنا العليا تتحول الى سيوف للانتحار" (ص ١٢٩) . وبالتالي ، فان حياة البشرية هي الثروة الاسمى وهي شرط لوجود كل القيم الاخرى ومصدر لها ولا يمكن بدفع العالم الى نزاع نووى تحقيق اية مبادئ خلقية او لاهوتية او سياسية . ففي اللهيب النووي يحترق كل ما هو انساني "شرا" كان ام "خيرا" وتمنى بالخيبة امال وخطط الرأسماليين والاشتراكيين ، اليمينيين واليساريين، المحافظين والليبراليين على حد سواء

من هذه المواقف الخلقية ينطلق جاناثان شيل الى مسألة الخيار السياسي وكيفية درء الخطر المسلط على البشرية ، وهو ينوه بان رد الولايات المتحدة الرسمي على الخطر الناشئ مشبع "بالجبرية القاتمة" ، حيث الامل في تخليص البشرية من الاسلحة النووية يستبعد من الحسابات السياسية على انه امل طوباوى و"منطرف" . هذا في حين ان القضية ملحة . " . اذا لم نتخلص من ترسانتنا النووية فلن تكون الكارثة محتملة الوقوع فحسب، بل ستقع حتما ان لم يكن اليوم ففدا، وان لم يكن في هذه السنة، ففي السنة المقبلة" (ص ١٨٣)

ان هذه الكلمات تفرع ناقوس الخطر . ويشير المؤلف الى ان الخيار امام البشرية هو التالي: اما فناء شامل، واما سلام بدون خطر نووى . وهو اذا يورد الحجج يكشف عن التناحر بين التفكير السياسي السائد في الولايات المتحدة وواقع العصر النووى . وهذا التفكير فاسد لانه يتمسك بسياسة تعول على

الذين اوغلوا في العداء للسوفييت لدرجة انهم لم يعودوا يبالون بمصير البشرية في الوضع الدولي الخطر المتكون حاليا قد تكتسب التقديرات الداعية والمحاجات المتزنة والقرارات والمبادرات الحكومية المدروسة قيمة ذات اهمية فائقة، بل وحاسمة . وهذا بالذات ما تتسم به الاعمال السياسية الخارجية للاتحاد السوفيتي وغيره من بلدان الاسرة الاشتراكية في الموقف من حل القضية الجذرية، أى كيفية صيانة العالم من الحريق النووى وقد اثارت صدى واسعا في العالم اجمع رسالة ليونيد بريجنيف الى الدورة الثانية للجمعية العامة للامم المتحدة الخاصة بنزع السلاح، والتي اعلن فيها بمهابة ان الاتحاد السوفيتي يتعهد من جانب واحد بالا يكون البادئ باستخدام السلاح النووى ومن المنطقي انه اذا لم يبدأ احد باستخدام السلاح النووى فلن تكون هناك حرب لكن الولايات المتحدة وحلفاؤها في حلف شمالي الاطلسي لم يقدتوا بالاتحاد السوفيتي لا بل انهم ردوا بتشديد مطرد لسباق التسلح ان قارىء كتاب مصير الارض "غير المتضلعين بالسياسة والذين لا يتصورون بدقة المصدر الذى يأتي منه على وجه التحديد الخطر المسلط على البشرية سيكون عندهم مجال للتفكير لدى مقارنة هذه الحقائق

الهوامــــــــــــــــش .

(١) نشر في البداية متسلسلا في مجلة "نيويورك" الامريكية

(٢) نيويورك تايمز "٢١ نيسان (ابريل) ١٩٨٢

(٣) "تايمز" ١٩٠ نيسان (ابريل) ١٩٨٢ .

(٤) "صندى تايمز" ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ .

للالسحة النووية . والى جانب ذلك يشاطر جاناثان شيل الاوساط البرجوازية تحاملاتها الطبقيّة على الاشتراكية . وفي مؤلفه الكثير من التصورات الخرقاء والمشوهة عن الانظمة الاجتماعية للبلدان الاشتراكية وجوهر سياستها والمظاهر العملية لهذه السياسة . ولا يفهم المؤلف كذلك الاسباب الفعلية للخطر النووى (فهو يراها في وجود نظام الدول ذات السيادة) وعلى هذا النحو يرسم الطريق الى قيام عالم بدون عنف وهو، اذ يبرز نصيرا لنزع السلاح الشامل والكامل ، لا يؤمن بإمكان تحقيقه بصورة يعول عليها بدون ثورة سياسية تغير العلاقات الدولية على اساس تعاليم المهاتما غاندى، وبدون ازالة سيادة الدولة

وفي الختام ، لقد سبق وتحدثنا عن الاستقبال الحماسي الذى لقيه هذا الكتاب لدى المشتركين في الاحتجاج على الاسلحة النووية وقد لقي رد فعل مغاير في الطرف المقابل كتب ستروب تالبوت في مجلة "تايمز" الامريكية . "من الواضح انه (شيل - المؤلف) يعتبر ان خطر وش الحرب النووية داهما ن وكبيران لدرجة انهما يفوقان كل الاخطار والشروخ الاخرى ومن بينها، بلا شك ، تلك المتجسدة في النظام السوفيتي والسلوك السوفيتي والمصيبة في نهج التفكير هذا انه قد يؤدى ببعض القراء الى نوع من الاندحارية الساذجة المعبر عنها بشعار : " ان اكون احمر افضل من ان اكون ميتا " (٣) ويشير مايكل هوارد بدوره في "صندى تايمز" الانكليزية الى ان شيل " لا يرى الخيار البغيض . وهو انه اذا لم نخطر بافناء البشرية . فسنخاطر بالتنازل للظفيان (٤)

ان التهجعات على مؤلف كتاب "مصير الارض" تشير ببلاغة الى ان الاحتجاج المناهض للاسلحة النووية لا يرضى اولئك

خليل السواحري

مَرْطَقَة

زمن الاحتلال

قراءة في أدب الأرض المحتلة

فِي زَمَن

الْإِحْتِلَالِ

عشر ملاحظات
سريعة حول

كتاب "زمن الاحتلال"

بقلم هاشم غرايبة

خليل السواحري

لمعلومات أي مطلع على الصحف الثقافية التي تناقلت أخبار فرقة - بلالين - وبلا - لين - وفي مجال الفلكلور يمر السحاب ، وحيداً لو استعان بخبرة من لا اظنهم يخلون عليه بالمساعدة ، فالكتاب يتحدث عن احدي الجمعيات الخيرية ويذكر اسم الفنان مصطفى الكرد أحد اعضاء - بلالين - وكثيرين مثل - راجح - مثلاً . . . اولعله لم يسمع بهم ، لان كل ما قام به هو تجميع عدد من الاخبار والنتف والمقالات من هنا وهناك وصلت اليه بحكم اهتماماته الادبية لا بحكم من يتصدى لدراسة ادب الارض المحتلة .

(٣) بعد ان تقطع ١٢ صفحة من اصل ١٧٣ تشعر ان خليل السواحري اوردك الماء وعاد بك أشد عطشا فانه كالمئتب لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ، يصلو ذات اليمين وذات الشمال ، ولا تتعدى كتابته عن الشعر مثلاً مجرد ابراز لبعض النصوص السيئة والمقارنات الساذجة

لقد صدقت لفترة ما ان خليل السواحري أحد اعلام النقد على ساحتنا الادبية الى ان قرأت كتابه زمن الاحتلال ؛ قراءة في أدب الارض المحتلة من منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق . ولي عذري ، اوجزه لكم

(١) ما ان تفتح غلاف كتاب الناقد الاديب حتى تفاجأ بأن الكاتب لم يكلف نفسه عناء بحث او جهد ، وانما يتكلم عما نما الى علمه لذا فهو يتكلم عن مجموعة قصصية واحدة بالتفصيل وهي - ٢٧ قصة من الارض المحتلة - وعددا من الاشعار التي وصلته . ويشير للباقي اشارة عابرة بحجة انه لم يطلع عليها غافرا لنفسه حسامة المهمة وضخامة العنوان الموضوع لكتابيه

(٢) في حديثه عن هذه القصص يتناولها تناولاً سطحياً يصلح لان يكون دردشة بين قارئين اكثر منه دراسة لحالاتها ظروفها وواقعها . . . وفي مجال حديثه عن المسرح لا يضيف

فتأتي المعالجة سريعة وعاجلة لا تشفي الغليل ولا تؤدى المطلوب .

(٤) حين تصل الى مقالة حول سميح القاسم وأميل حبيبي وتهم بالمطالعة الجادة تقاها تماما بما حشه لك خليل السواحري من تعابير منحوتة لا تمت للادب او للسياسة او للنقد بصلة مثل .

الارتداد الشوفيني الصحي ؟ .

الموقف الكوزمبوليتي الفاسوشي .

الايجابية المتطرفة ؟ .

والعدمية القومية .

وكل هذه الاوصاف تكال لشاعر المقاومة . .
للشاعر الذي اتفق الاصدقاء والاعداء على انه شاعر المقاومة حتى قبل نكسة ٦٧ وظهور المقاومة بشكلها الحالي .

(٥) في مناقشة ادب سميح القاسم ، لا يأخذ خليل بعين الاعتبار تطور معطيات النضال الفلسطيني ولا تطور اداة سميح القاسم الفنية ويتخذ موقفا فنيا من سياسة سميح القاسم وموقفا سياسيا من فنه ، لكن وفي المزاج الذاتي تماما كما قال اديبنا الكبير على لسان بطل روايته السكرية :

نفكر بعواطفنا حين يتعلق الامر بالسياسة ، ونحكم السياسة حين يتعلق الامر بالعواطف .

(٦) وهذه سادسة الاثافي . انه يعيب على سميح صموده في الارض المحتلة . يقول السواحري اثر سميح فيما يبدو الاستمراري للعبة .

واذا كان شاعر مثل محمود درويش قد اعلن بخروجه من فلسطين المحتلة بعدم قدرته على الاستمرار في التوفيقية - ؟ -

.. اثر ان يحل الاشكال بالخروج

(٧) تناقض خليل السواحري فيما يطرحه لنفسه كمنطلق للنقد ، فهو حين يعيب على سميح تشبته بالارض لعدم جدوى التوفيق بين العيش مع اليهود والنضال الفلسطيني . . العدمية القومية عند من - ؟ - . . بعدها يعود

السواحري فيعيب على سميح رؤيته الشاملة للقضية ووضعها في مكانها الصحيح على خارطة العالم السياسية والتي تشكل جوهر موقف سميح الادبي والسياسي وهي التعايش والنضال معا والقضية شكلها واحد ادبيا وسياسيا وموقف سميح يتطور وفق معطيات القضية الفلسطينية ومستجدات الواقع الموضوعي يقول خليل لو ان سميح القاسم اكتفى بتحديد قلبه المسرحي لمجرد مناقشة هذه الانتقادات

كيف وهو يطرح رؤيا شاملة ويرهن شكل العيش مع اليهود بموازين القوى على الساحة الواقع وبالممكن واللاممكن في مستجدات الظروف . .
أم ان خليل يعود بنا لمقولة - نجوع يا سمك البحر -

(٨) اكتشاف خطير سجله السواحري لم يسبق له الاولون ولن يكتشفه اللاحقون يقول .
سعيد ابو النحس الذي جاءت سيرته كما اعتقد تحريفا بطريقة ذكية للمسيرة الذاتية للكاتب نفسه . لا اظن ان السواحري سمع بأن أميل حبيبي رد جوابا على سؤال عن سر عظمة روايته المتشائل فقال انه يعرف القصة على ارض الواقع وعاش احداثها بمعظم تفصيلاته او لعله لا يعرف ان الكاتب لا يعيش حياته فحسب بل يعيش حياة جيلة وعصره .
خاصة اذا كان ملتزما التزام حبيبي

المهم ان السواحري يستغل اكتشافه - الخطير - للتدليل على وجهة نظره السابقة استحالة العيش تحت نير الاحتلال والنضال ضده في ان معا .

ويضيف السواحري اكتشافا جديدا لا يقل عن سابقه وحدة المشاعر والامال لعرب ٤٨ و ٦٧ . وكان احد ينكر هذا . . لكن السواحري يتناول هذه المسألة لينطلق منها مباشرة كي

يرمي اليهود في البحر . ويعيب على كل من
سميح القاسم واميل حبيبي - كتبهم - لهذه
الرغبة التي اكتشفها هو بذكائه الخارق في
ثأب نفوسهم !!

٩) العجيب ان السواحري يتلمس بل ويعرف
جوهر الموقف لدى كتاب الارض المحتلة عام ٤٨
لكنه مع سبق الاصرار ينقلب كي يبرر له
المسائل مقلوبة فهو يرى في اهداء سميح
القاسم احدى مسرحياته - الى بيرزيت التي
هي الرامه عزاء واملا ، والى كل قرانا التي
هي بيرزيت ، ارتداد من الموقف الكوزمبوليتي
المترهل وشبه الماسوشي الى الموقف الشوفيني
المحي . كل هذا العنت في اشتقاق هذا
التعبير لان هناك مسرحية لسميح قبل عام ٦٧
اسمها - الراي مندل - يتحدث فيها عن
التعايش بين العرب واليهود ، ويوضح فيها
موقفه الجوهرى من ان العرب واليهود هم
ضحية الصهيونية والامبريالية . لكن السواحري

- يتناسى .- الجوهر وهو ان المستقبل لعيش
العرب واليهود المعادى للصهيونية والامبريالية
والذى يناضل الان بحزم من أجل الحقوق
المشروعة للشعب الفلسطيني وهذه المعادلة
الجوهرية لم يختل توازنها عند سميح القاسم
لا قبل ٤٨ ولا بعد ٦٧ ولن ينتهي مفعولها الا
بانتهاى الصهيونية والامبريالية اقول هذا سلفا
للسواحري كي لا يضطر لنحت تعابير جديدة
لادب سميح القاسم المقبل

١) كان خليل ضحية خدعة - وجود يسار
صهيوني - طبعاً واليسار بمفهومه الثورى
التقدمي - لا يجتمعان لكن السواحري بعد ان
يكشف لنا عن غفلته تلك يدس همك لا يخفى
على أحد ، شواهد على غفلته تلك من فن
شعراء ينتمون الى ما يسميهم - اليسار الراكح
اخيراً . . . كان بودى ان أناقش باستفاضة
اكثر واشل لكنى لا ارجب ان أعطي الكتاب
اكثر مما يستحق .

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

دعوة

تدعو أسرة تحرير الكاتب كتابنا خصوصاً
الشباب الذين يرسلون لها مواد للنشر ان
يرسلوا صورة شخصية مرفقة بالمقال حتى
يتسنى لجمهور القراء ان يتعرف عليهم .

من الألفاظ

بالتعاون فقط !!

أنصار صدام

بدهم يعملوا، شعر آمشط وحرارة هذا مش طايح روسهم ، وكان الشق الاخير موجه لشاب كان يقدم الشاي للضيوف ، ضحك الشاب وكان قد انهى التوزيع ووضع صينية الشاي على طاولة صغيرة وجلس ليمسك الحديث، ولاحظت ان الشاب بلبس تحت معطفه بلوزة رسم عليها شعار اللجنة العليا للعمل التطوعي، قال الشاب :

"معدل ايام الحراثة لاهل قريتنا تتجاوز ١٠ ايام ،اي ان الواحد ستكلفه عملية الحراثة لهذا العام ليس اقل من ١٠٠ دينار اردني اي اكثر من ربع انتاج الزيتون لهذا العام خاصة ان الزيت لم يسوق معظمه" تناول سيجارة واشعلها ، لوحظ ان الجميع يصنون اليه ، تابع حديثه . "يوجد لدينا اقتراح بأن يشترك كل عشرة مزارعين ببغل، ويتكلف بمصاريف الجميع ،اما ان يقوم بحراثة الارض صاحبها ، واما ان يتفق مع احدهم لحرق جميع الاراضي لهم وكل شيء بحسابة ما هو رأيكم ؟"

نظر البعض الى وجوه الآخرين، البعض الآخر جال بتفكيره، وعاد ابو عاهد للحديث وقال "اي والله ما في أحلى من هالحكي في التعاون مصلحة للجميع" رد اخر "والله هيك مش بس الارض المزروعة بتنحرق ، وكم ان الارض المتروكة لولا الشجر البري طول الزلما فيها" قاطعه الشاب قائلا نحن اعضاء لجنة العمل مستعدين لمساعدة اي واحد يريد استصلاح ارضه ، مش بس احنا وكم ان لجان العمل في منطقة رام الله بل في الضفة كمان "

تنهد الرجل . "والله يا عمي الدنيا فيها خير ، مين بدوا يشترك في بغل ، سجل سبع أشخاص اسماءهم ، وخرج بعضهم لمشاورة اقاربه واصحابه .. احد الضيوف قال - احنا راح انفكر بنفس الطريقة علشان نشترى تراكتور فاحنا على طريق نابلس اننا شقة ارض

دار الحديث طويلا واستعرضت العديد من جوانب الحياة، بعضهم تطرق الى الغلاء ، البعض الآخر تعرض لتقليم الزيتون ، ومنهم من استعرض ايام زمان في عصر تركيا وعهد الانجليز . الكل كان يجتهد لتسلية الضيوف من احدى قرى منطقة نابلس في القرية القريبة من مدينة رام الله "وليفرغوا" عن انفسهم .. اكثر موضوع شارك في نقاشه الجميع هو موضوع "الحراثة" ففي حديثهم اعتبروها أهم المشاكل الاتية ..

فقال ابو محمد . "خلال السنوات العشرين الاخيرة زرعت ٦٠ غرسة وحوالي ٦٨ تينة ، وقلت لعيسى بشأن حرثها . طلب "١٠" دنانير أجرة اليوم تصور احنا لوحدنا بتكلفنا عملية الحرث لوحدنا ، ارض مشجرة وغير مشجرة ٤٠٠ دينار اردني حراثة دون "نكش" الارض واذا نوينا الحراثة مرة اولى وثانية وثالثة .. مشكلة"

الرجل كبير السن الذي تناول موضوع تركيا وبريطانيا قال : "ايام زمان كان لكل عائلة تقريبا دابة ، يا بغل يا فرس المهم الحراثة مؤمنة . اليوم لف البلد اللي كان فيها اكثر من ٥٠ دابة لا يوجد فيها ٤ دواب ، يا عمي هذه الايام فاضية انا عارف شو هالشباب

مهلية ويتعاون . وأضاف كمان رايحين يتعاون في شراء بغل خاصة انه في النارض على قمة جبل عليها العين . وبالتعاون نستطيع حمايتها . . . خرج الجميع باجمال للحديث بالتعاون فقط نستطيع حماية وحل مشاكل ارضنا . لازم تنفيذ هذه الفكرة في كل بلد

طاولة للفرجة ... !

لا يحب تدخين السجائر "الفرنجية" ، فيها هي علبتي دائما في جيبي " هكذا قال صديقي "الختار" عند تفضيله سيجارة بعد ان انتهى من صلاة المغرب في بيته .

جلس يلف سجائر "عربي" من علبته وقاطني وابنه الحديث ، مشيرا الى الطاولة القريبة منا ، قائلا "كيف شايف هالطاولة اجبتة انها منازة مبروك .

وأضاف : "والله هالتجار ما الهم دين ، يا زلمه دفعت سبعين ليرة ، وحده تنطح وحده ، وقلت له هل تصبر علي بمئتي شيكل والله رفض بصر علي ، ودفعتهن نقره وحده سبعين ليره اردني . وتابع صديقي . "الولد الله يرضي عليه ، ويخليك اولادك قرب ييجي من امريكا بتعلم فلنا انحضر لمجيئة عشان الناس بيجوا يسلموا عليه"

قبل ان ينتهي حديثه أحضرت زوجته كأس ماء ، خاطبها بصوت عال : "لا تضعي الكاسة على الطاولة هذه مي ، والخشب يشرب المي ينفس ويتخرب الطاولة ، فيميها" وأدار وجهه الي وهو يبتسم ويفرك السيجاره صحيح ولا يا ابو اللي ما تعدم اسمه .

انثناء الحوار حضرت "خولة" من عملها ، طرحت علينا السلام وتوجهت الى الغرف الاخرى في البيت وعلى الاغلب توجهت نحو المطبخ أكد توقفي احضارها طبق عليه صحن

وخبز ، لم ادرك ما بالصحن حتى قاطعها صديقي بنبرة أخف قليلا من تلك التي خاطب بها زوجته "يا خولة بابا ، الطاولة جديدة لا تحطي عليها الاكل بتخرب" خولة بابا عمرك ما اشتريت طاولة صح ، مبسوط للطاولة صح ، لكن بابا الطاولة للاستعمال مش للمنظر فقط ، لا تستمر في محاضراتك عن الطاولة ، رد عليها . بابا صحيح بس طقة على حافر وطقة على المسمار اي هي قليلة والله . ليرة ٧٠ والله باقي زمان الواحد يتجوز ابهن ثمانى نسوان" وتابع . "أى دشرينا أنت واخوك هاي الطاولة للفرجة اللي بدو يوكل يوكل على الطاولة القديمة ، وهاي الطاولة من شجر "السويد"

الجندي ورغيف الطابون

تحمل على رأسها طبق القش المزركش تحمل فوقه عددا كبيرا من ارغفة الخبز "البلدي" تسير بثقة اي فلاحه فلسطينية ، وطبق القش يتمايل بشكل فني على رأسها ، بألوان القش الاحمر والاصفر . . . الوان مشابهة تماما لالوان ثوبها المطرز ، وعروق التطريز على طول جسدها كأنها اعمدة تغوص في جوف الارض . . . فجأة توقفت سيارة نقل جنود خضراء الى جانبها . فتح السائق الباب المحاذي لها وخاطبها بعربية ركيكة : "أعطيني رغيف — استمرت الفلاحة مسرعة كان اطفالها يفتحون افواههم في الهواء جوعا . . . اضاف الجندي السائق . "ادفلك ثمنه" ردت عليه "أنا أعطيك ، والله لو تطلع روحك ما أخذته امش احسنك امش" بثقة كبيرة جدا استدارت الى الخلف وجدتنى وراءها تبسمت وقالت "بلادنا اخذوها ، ارضنا اخذوها وكمان يفكر اني راح اعطيه خبز ابن . . .

محطات... خفيفة...

بقلم فريد خوري

السعادة:

هي ان يكون الانسان راضيا عن مسيرة حياته، وان يشعر ان وجوده ضروري في مجتمعه

المحسنون:

اناس لا ضرورة لوجودهم في المجتمع الانساني العادل. فوجود المحسن دليل على وجود الفقراء.

الكرم:

سلوك اذا التزم به الغني يعني ان لديه

ضريبة الفشل:

من المسلم به في المجتمعات المتقدمة عرف يقول: بان على المسؤول الفاشل ان يدفع ضريبة فشله وذلك باستقالته من منصبه ولكن هذا التقليد العصري غير متعارف عليه وغير مطبق في اكثر الاحيان في عالمنا العربي.

الحجة الخامسة:

عندما ينزلق وعاء زجاجي من بين يدي نادل، فيقع ارضا وينكسر، فان صاحب الفندق يلجأ الى تغريمه ثمن ما انكسر. اما النادل فانه سيجد بانه من غير المجدي التمسك بمبدأ ان ما حصل كان نتيجة "قضاء وقدر".

الغضب العادل:

هو رد فعل طبيعي وصحي من قبل الانسان المقهور، اما اذا قام بكبته فانه يؤدى به الى الوتوق في امراض مزمنة .

السلبية:

اتهم بوجهه مسوءول فاشل للمواطنين لانهم لا يتجاوبون معه، وهو اعتراف ضمني بانه لا يمثلهم .

مارغريت تاتشر:

الذى يتابع تصريحات ومواقف "المرأة الحديدية" مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا يخرج بنتيجة مفادها بانها تصلي ليل نهار وتقول: يا الله، اعد لنا مستعمراتنا .

"فرقرشك الابيض ليومك الاسود":

مثل تطبيقه على نطاق واسع الشعوب التي تتحكم بها أنظمة ظالمة غير عادلة .

النفاق:

سلوك يلجأ اليه كثيرا اولئك الاشخاص الذين يروجون لافكار غير قابلة للتطبيق .

خمس في خمس:

برامج مسابقات يعرضه التلفزيون الاردني، يخرج بعده المشاهد بنتيجة حسابية مفادها، ان "خمس في خمس" يساوي صفر .

ملاك الرحمة:

صفة مثالية يطلقها بعض الاشخاص على الممرضة بمعنى انهم يطلبون منها القيام بأعمال خارج نطاق طبيعة البشر

اغاني ام كلثوم العاطفية:

سلاح تلجأ اليه بكثرة وسائل الاعلام الرجعية لتخدير المستمعين

التحرك الدبلوماسي للانظمة العربية المتأمركة .

تحرك يشبه كثيرا رقصة بندول الساعة الذي يؤدى الى تحريك الوقت (اي اضاعته) ولا يؤدى الى تحريك القضية .

استحالة:

يستحيل على بعض الانظمة العربية الخروج من دائرة الولا، لامريكا والتمرد عليها، كما يستحيل تصوير الحلم بواسطة جهاز كاميرا .

التدين والنظام السعودي:

عندما يقع معظم ابنا الشعب السعودي في ضائقة الفقر والعوز والجهل، بينما الاسرة الحاكمة تنعم بالخيرات، فكان هذا النظام يخاطب شعبه ويقول له: لا تتمردوا على الفقر، فالجنة لكم ولنا القصور .

الدعايات التلفزيونية:

الدعايات التي يعرضها التلفزيون الاردني والتي تقتصر في معظمها على البضائع الاجنبية المستوردة، تذكر المشاهد بالمثل الذي يقول: "مثل القرعة التي تفتخر بشعرات بنت اختها"

مجلس الامن:

المكان المحرج الذي تضرر فيه الولايات

المتحدة الى القيام بسترينيز سياسي

وتدور في حلقة مفرغة*والحقيقة انني لم اشاهد
فيلما واحدا منها يعالج هذه الظاهرة من
جذورها ، بمعنى ان يعالج الاسباب التي ادت
الى نشوئها .

من الادب الجاهلي .

الانظمة العربية المتأركة تجيد "البكا"
على الاطلاق " و"التغزل" بامريكا واطهار
"الكرم" النفطي

الحساب المكشوف .

الذي يعتمد على جهاز التلفزيون كاداة
للتثقيف في بلادنا يخرج في آخر الامر ليجد
ان حساب رصيده الثقافي مكشوف في بنك
المعلومات .

التعميم المشوه :

اسلوب في التنظير يلجأ اليه البعض اما
عن قصور في الفهم او نتيجة للتسرع او عن
سوء نية . وهو اسلوب تلجأ اليه كثيرا الانظمة
الرجعية حيث تهدف من ورائه الى التعميه .
فمثلا تتحدث مرارا وسائل الاعلام اياها عن
الازمة الاقتصادية الخانقة التي تعاني منها
"كل" دول العالم ، حيث من مظاهرها البطالة
والتضخم والغلاء وهبوط في الدخل القومي .
هذا مع العلم ان هذه الاعراض غير موجوده
في المنظومه الاشتراكية .

الكوارث الطبيعية :

مصائب تستغلها بكثرة وسائل الاعلام
الرجعية لتقول لمواطنيها بانهم في الف نعمه
حيث لم يصيبها المكروه ، وان يقتنعوا بما
قسم الله لهم .

الجريمة :

قضية تعالج بكثرة في الافلام والمسلسلات
البوليسية الغربية ، ويتم حلها عن طريق القاء
القبض على المجرمين هذه الافلام تكرر نفسها

بديل العطش .

المواطنون في الاردن يعانون منذ مدة
طويلة من مشكلة المياه وانقطاعها في صنايرهم
اما السلطة فانها تطرح البديل العلمي فتقول
لهم اشربوا مياه الكوثر .

الوعي والمنظار .

الانسان الواعي يستطيع ان يرى عن بعد
الخطر قبل وقوعه ، بينما الانسان غير المتسلح
بمنظار الوعي فلا ينتبه للخطر الا بعد ان يقع
على رأسه

الرهان الخاسر .

وسائل الاعلام اليمنية تعلق نفسها بين
الحين والآخر بحبل واهي الا وهو الخلاف
الامريكي الاسرائيلي مثلها في ذلك مثل
الشخص الذي يراهن على حمار يشترك في
سباق للخيل

الشعارات الطنانة .

الذين يرفعون الشعارات الطنانة يتعبون
انفسهم كثيرا في التفتيش عن الوسائل
والادوات لتطبيقها . وعندما يقشرون يبدأون
بالتفتيش عن الكراسي .

حكومة في المنفى .

طالب حاكم مصر السابق انور السادات
مرارا منظمة التحرير بتشكيل حكومة في
المنفى . ولا يزال هناك الان من الزعماء
العرب من يصرون على هذا الطلب والهدف
طبعاً ان لا تكون سوى حكومة في "الخرج" .



في مسرحية "المتهم" للكاتب جمال بنورة

بقلم
فائزة الزغير

برز في العدد "٣٢" من الكاتب مسرحية "المتهم" لجمال بنورة الذي عرض فيها قصة واقعية مضمونا ولكنها بعيدة عن الواقع نوعا وسردا وتدوينا

وبعد قراءتي لهذه المسرحية

استطيع القول بأن الكاتب كان موفقا في اختيار موضوع المسرحية ومع ذلك أسجل الملاحظات التالية -

(١) شخصية المسؤول غير القوية وغير المتمكنة والحادة . على عكس من تنصّبهم السلطة في مثل هذه المناصب

(٢) لم يوضح الكاتب موقف الزائر . أهو ضد أم مع ؟! فتارة يبيّنه وكأنه متعاطف وأخرى عدائي . وخاصة بتشكيك المسؤول بافتراضاته للمتهم التي ستنسب ومحاولات الاعتداء ضد المتهم

(٣) وهناك أيضا مبالغة غير واقعية بتمثيل المتهم بمثل القوة التي وصفها الكاتب وكأنه يستطيع كسر الطوق الذي يحيطه وخاصة أمام المسؤول في ويتمثل هذا بعزمه على الخروج من غرفة التحقيق قبل انتهائه أو بالأحرى قبل صدور أوامر عليا بهذا . وردّه بأجوبة جريئة جدا (قلما تحصل بجانب أو أثناء التحقيق) وأن حصلت تؤدي بحياة صاحبها ولربما في نفس الوقت

(٤) السماح للمتهم بالمفاداة رغم معرفتهم الاكيدة بخطورته ولجؤهم لوسائل مختلفة من اجل القضا عليه

(٥) ادخال شخصيات ثلاثة ومن ثم اربعة تمثلت بالمساعدين (وصفهم بالضعف و الخ) مما أعطى تشننا وعدم واقعية لقارئ النص

(٦) إعادة المتهم لمكتب المسؤول بعد محاولة القضا عليه والتي وصفها مساعده بأنها اكيدته وتمت بنجاح . وقول احدهم بأنه رأى جسده تفتت الى اشلاء . وآخر - رأيت دماءه تغطي الشارع . وآخر - لقد هربت جسده هرسا .

و الخ وبعد يوم او يومين من الحادث يعود المتهم للمكتب كما يصوره الكاتب فأنا اتساءل

أيعقل هذا الامر ؟! فلنقل انه لم يتفتت جسده او لم يهرس او لم يغط الشارع دمه الى ذلك . كما وصفه مساعده المسؤول . فانه لو اصيب بأصابه خفيفة لاخذ وقتنا للعلاجه . فكيف مع حادث كهذا

وايضا هل يعقل ان هذه الفترة الزمنية البسيطة كفيلا بشفائه وتعويضه بأرجل من حديد

- من جهة أخرى فقد كان الكاتب غير موفق ايضا في نهاية المسرحية حيث اطال نهايتها والتي تشملت بالحوار المطول بين المسؤول ومساعديه وقصر وخطف تصويره للمتهم وعملية الاعتداء عليه . ومرحلة شفائه كمثوله امام المسؤول في مكتبه وعلى أرجل من حديد

رغم كل هذا . فقد كانت المسرحية ملتزمة وتؤكد على التتميم والقوة والتمسك بالموقف مهما كانت النتيجة لانه لا مهرب من حق العيش للانسان الفلسطيني على أرضه ووطنه

قصة قصيرة

زيتونة الولي مرشد

فضل الربماوي

عند مدخل قريتنا ما زالت تلك الزيتونة
كعهدي بها منذ أيام الصبا تنتصب شامخة..
تمتليّ بناعة وخضرة.. تتحدى عوامل

الشيخوخة والغناء.. ما زالت تتناول وتشمخ
وتزداد نضرة، جمالا كأنها صبية في عز أيام
الشباب

وانا شيدهن .. يزرعن الحماس في النفوس
يجذرن التحدى في القلوب ..
" انعنيك يا مرشد .. يحيا البرّ اللي
رصدك .. يحيا الابو اللي ربّاك يا نشامى
الموت ولا المذلة "

افلح مرشد واهل القرية في ايقاف زحف
جيش العدو طيلة يومين حتى نفذت الذخيرة .
تساور الرجال .. قال بعضهم (المقاومة
الان ضرب من الانتحار) لخظات صمت مصيرية
ينتصب مرشد . " يا اخوتي انها الخيانة
النعل اللي في رجل كل واحد فيكم اشرف من
رو وس زعماتنا .. روحو لبيوتكم .. وفروا
حالكم للايام الجايه " .

جيش العدو يتقدم مرشد بشد حزاما
حول خصره يقف على خندقه يرفع يديه
ملوحا بالاستسلام . لحظه وصولهم اليه
دوى انفجار رهيب قضى على جميع المتقدمين
تمزق جسد مرشد دماؤه تفور . تشخب .
تغوص في جوف الزيتونة ..

وحدة اخرى مدعرة تتقدم بسرعة نحو
الحسد الممزق .. شبح يظهر في تلك الاثناء .
يحتضن الجثة .. يغوص بها في جوف الزيتونة
فلم يعثر له الاعداء على أثر ..
بعد ايام من وقوع الحادث . صار
يتناهى الى اسماع اهل القرية في الليل
اصوات استغاثات ونداءات .
" يا ناس اسقوني . حرام عليكم .
عطشان . اسقوني الله يجازيكم اذا ما
اسقيتوني " .

وعندما يسمع اهل القرية هذه الاستغاثات
والنداءات تسيطر عليهم موجة من التفكير
الفائر ، ولما تهدأ خواطهم .. تتسلل
مجموعات منهم تحت جناح الليل لتروى
عطش الولي مرشد ..

والغريب ان رفيقاتها من بنات عمرها
في كرم الزيتون اصابها الهزل وحلّ بها
اليباس واصبحت اكواما من الحطب .
الصبايا من اهل قريتي اتخذن من
الزيتونة محطة للراحة . يجتمعن فيها يقين
انفسهن حرارة الصيف اللاهية ، ومكانا مناسباً
يتجاذبن فيه اطراف الحديث ، ويقضين وقتاً
ممتعا عند لقاءهن .

الشباب من اهل القرية . صاروا يتحينون
هذه الفرصة . يحومون حول الزيتونة . لعل
احدهم يظفر بنظرة حانية من احدى الصبايا ،
اولعله يوفق في ارواء عطشه من النظر الى من
يحب .. اما في الليل فتتحول الزيتونة الى
شبح مخيف مرعب .. لا يجروء أحد من اهل
القرية على الاقتراب منها .

يروون ان احد اصحاب المراحل من اهل
القرية تجرّ ذات ليلة على الاقتراب من
الزيتونة .. عاد أصم .. ابكم .. لا تفهم
منه سبب ذلك .

بالقرب من الزيتونة شيد اهل قريتي
(مقاما) سموه مقام الوالي مرشد . اذا سألتهم
عن أصله وفصله لا تظفر منهم بجواب شاف .
كل ما يعرفونه انه في عام سبعة وستين حضرت
وحدة من الجيش . عسكرت عند مدخل
القرية ، ولما اشتعلت الحرب .. صدرت الاوامر
العليا الى وحدته بالانسحاب .. رفض مرشد
الانسحاب للاوامر . انزوع في خندقه المجاور
للزيتونة . نيران رشاشه السريع . ابادت
طليعة الجيش المتقدم . حالة من الذعر
والارتباك اصابت جيش العدو المتقدم
الحماس دبّ في اهل القرية .. تحلقوا حوله ..
صاروا يهتفون

" وسن النشامى . انعنيك يا بلدنا ..
اليوم ولا كل يوم .. النساء تعالت زغاريدهن

قصة قصيرة

الوفاء

محمد موسى مناصرة

عينيه الواسعتين، يحدق في الطريق، سيطر الذعر على كيانه حين داهمه الاحساس بظفاعة ما يهدد الحياة

تزامنت في ذهنه الاسئلة :

— هل انجح في اداء هذا الواجب؟ ألن يتم اعتقالي؟ اية احوال تنتظرني هناك اوفي الطريق؟ لماذا لا اوفر على نفسي كل هذا الرعب؟

استرخى على المقعد عله يرتاح، ومذ ساقبه المخدرتين، وحك انفه الطويل طنى على ذهنه الشعور بالضيق والسخط، فكر بالنكوص والتراجع واحس بان الهرب من المسؤولية هو اسهل السبل لضمان السلامة والمحافظة على الحياة. اى شيء يجديه من قضاء سنوات اخرى في الاعتقال وتنهيد من احشائه

— كان عذاب السجن طويلا وفظيحا ...
كاد ان يطلب من السائق ان يعود به الى

انطلقت سيارة "المارسيدس" من محطة الوقوف في ميدان "الشجاعية" باتجاه الجنوب تاركة وراءها مئات الاكشاك الخشبية المنتصبة على جانبي مدخل غزة الجنوبي وبيوت "البليارية" الطينية، سائرة الى الامام بسرعة جنونية، تلتهم الاسفلت رغم تأرجحها يمينه ويسرة وهي تتجاوز عشرات السيارات العمومية المتجهة هي الاخرى صوب الجنوب. لم ير "عزيز" اية سيارة قادمة من الاتجاه المعاكس سوى دوريات الشرطة وبعض شاحنات العسكر الفارغة وكلما تقدمت السيارة للامام، ازدادت قلة الناس في الطريق اكثر ولم يعد يرى احد على جانبي الطريق، وخلا الشارع من عربات الفلاحين التي تجرها الحمير والبغال. وحين اجتازت السيارة منطقة "البوليس الحربي" اندفع الدم في عروق يديه وقدميه وورقبته، وازدادت خفقات قلبه، وسرت في اوصاله قشعريره شديدة، فانفض بدنه وتقلصت

غزة، لكنه تدارك بتساءل

- ماذا سأقول لهم في الحريدة؟ انهم بانتظار ما سأعود به ، بانتظار عودتي سالما ، ان مشاعرهم حتما معي .. فكيف اخذلهم واعدو لهم بخفي حنين ، وكيف اخذل من ينتظرون وصولي اليهم . سيقلقون عليّ . تأفف من كل زملائه ورفاقه العاملين في الحريدة !

- انهم لا يحسون بضغي ، ولا يخطر ببال ادهم كم ابدو سخيفا امام نفسي الان ! لست شجاعا الى الحد الذي يتصورون ..

وتمنى من اعماقه وهو يسبل جفني عينيه - ليتهم يوفنون في الحريدة ، بان الواجب وحده دافعي ، ولا دخل للشجاعة في موقفسي وربما كنت شجاعا او قردا كما يقولون ولكنهم لا يعلمون كم انا ضعيف وخائف الان ، ليتهم يدركون بان مشاعر الوفاء بالواجب ، والوفاء لقضية الشعب والوفاء لغايات الحريدة هو ما يثير في المتعة والرغبة في تحدي المخاطر

واجب لو ينام ويستريح ، لكنه تذكر بان الجبناء وحدهم هم الذين يتغلبون على رعب الانتظار ، باللامبالاة ، وعدم التفكير بما قد يحدث ..

فاستجمع قواه ، وركز ذهنه ، يحاول ان يتذكر تفاصيل المنطقة ودروبها الفرعية ، ليجد طريقا هامشيا او معبرا بعيدا عن اعين الجنود

يتسلل منه الى رفح المحاصرة ...

اغض عينيه من شدة الخوف ، وزم شفثيه يحاول ان يقطع التفكير في رفح ، فالطريق ما تزال طويلة .

انتبه الى صوت السائق يطالبه بتوثيق نفسه بحزام الامان .

اعتدل وشبك طرفي الحزام حول وسطه . حنا رأسه على المقعد ومد يده يفتح زجاج النافذة . يمتع عينيه ببيارات البرتقال

الخضراء المتناشرة على طول الطريق تتخللها بعض التلال الرملية وبساتين الخضروات وبيوت المزارعين الجيرية ، تلمح وجهه نسائم البحر ورائحة الليمون والبرتقال ولما وصلت السيارة الى مشارف وادي غزة لاحت مخيمات "النصيرات" و"البريج" و"الغمازي" تبتسم له وهي التي عرف كل زاوية وكل حارة فيها . فاستحضر في ذهنه قول صديقه الشاعر " لك يا منازل في القلوب منازل ، ومن الجروح تصب فبك مناهل (١) " والى الامام الى اليمين كانت اشجار البلح في منطقتي دير البلح والقاراه " تنتظم امام عينيه في صفوف رائعه الجمال ، وترتفع عالية كهامات الرجال في قطاع غزة . فاحس بالانتعاش .

قطع السائق عليه متعته

- هل الاخ من رفح ؟

لمح في عيني السائق لهفة على معرفة الجواب واجابه :

- لا اني ضيف .

ضحك السائق بصوت عال ثم سكت للحظات . تلفت نحو عزيز وقال باستغراب

- يا راجل انت مش عارف شوفي برفح .

خطبتك ما هي برفيتي . ارجع الى غزة او خليك عندنا في خانيونس ' وكن ضيفنا الليلة .

تظاهر عزيز بانه لا يعرف شيئا مما جرى ونظر نحوه يسأله :

- شو صار برفح ؟

اجابه السائق بانفعال !

- الجنود لن يسمحوا لك بالمرور ، ربما اعتقلوك . منع تجول . طوق محكم حول المدينة والمخيم ، يهدمون البيوت ويقلعون الشجر .

وعدل السائق طاقبته وبصوت في نبراته الطبية - لا تخاطر بنفسك ، اعادته كلمات

السائق الى ذاته للتفكير ثانية بوجهته ، وبدأ يتساءل مع نفسه .

- ربما لا اجد دربا للوصول الى بيت



ولا مجال لاستبداله ، فذلك يقضي البحث عن مكان آخر أكثر رحابة للجريدة ، ولكن الحوار ثقيل أثقل من استغزاز الغرفة "القهوشائية" ، لا توجد امكانيات لدى الجريدة في وضعها الحالي

حمل قهوته ليصعد الى غرفة الجريدة اليتيمه . التي تضم ولا حسد مكتب رئيس التحرير والسكرتير ومجلسي الادارة والمحررين وقسم المونتاج والطباعة والتصحيح والمالية ويجرى فيها استقبال الزوار ايضا .

توقف اسفل الدرج الموصل اليها يتأمل - أأصعد ام اغادر الجريدة ؟ يومين وليس في جيبى ما يستحق الاهتمام من الاخبار كيف سأواجه رئيس التحرير والزملاء ؟ ان ما معي قد يصلح لجريدة عادية . اما هنا . - ماذا افعل ؟ تابع عزيز حديثه مع نفسه

- لعلهم يحضرون الان وفي يد كل منهم أخبار بدل الخبر وتحقيقات بدل التحقيق فماذا سيكون موقفهم مني ؟ سيهزؤون بي . شعر بضيق لا يطاق ، ضغط يكاد يفجر صدره ورأسه . خائنه قدماء وجلس على عتبة الدرج الثانية يفكر بالامر . ويحاول ان يجد ما يطمئن به نفسه يفكر في موقف دون حدوى آلمته مشاعر الخيبة والفشل المسيطر عليه . رشف من القهوة واحس بارتياح حين فطن الى ان رئيس التحرير في العادة يمضي الليلة القائئة من كل اسبوع ساهرا لمنتصف الليل في الجريدة . لذا لن يحضر قبل ظهر اليوم ولا بدا ان يسعفه احد الزملاء بمشورة او اقتراح .

صعد الدرج وكأن اثقال من الملح قد انزاحت عن كتفه . وقبل ان يمد يده الى الباب . . . رآه مفتوحا فتحه صغيرة

تجمد في مكانه وتسارعت دقات قلبه حين رأى رئيس التحرير من فتحة الباب منهكما في الكتابة خلف مكتبه وعاد ببطء الى اسفل

المختار او الى بيت زياد وقد يعتقلوني ، فلماذا لا اعود ؟ ان لدى المبرر امام الزملاء . ولن يعتب عليّ احد بعد ان اشرح لهم الامر . لن يعاملني احد من الرفاق كما لو كنت خيبت ظنه . قاطعه السائق ثانية وسأل . هل فكرت يا خوى ؟ واذف ستنام عندنا الليلة وبأكر ربك بحلها . تردد في الجواب وحاول ان يشغل باله بأى امر وعاد واستدار نحو السائق وقال :

- دعني قليلا وحين وصلنا الى "خانيونس" سئرى ماذا سنفعل .

اغمض عينه قليلا اعادته كلمات السائق الى ثلاث سنوات خلت ، عندما ابتداء عمله في الجريدة يتذكر . يومها ادار المفتاح في باب المتكب ، ومشى الى الداخل بضع خطوات ثم عرج يمينا الى غرفة صغيرة حيث يوجد "البوتوغاز" الغرفة التي يسميها زملاؤه في الجريدة بغرفة العمليات "القهوشائية"

شرع بغسل الغلاية ملاءها بالماء ولقمها بالقهوة والسكر واشعل النار تحتها لمح وجهه في المرآة المعلقة على صفحة الباب ، فرأى ظلال الكسابة تكسو محياه ، واصفرار وجنتيه وعينيه المثقلتين بالنعاس والارق .

اجتاحته الرغبة في تحطيم كل شيء حين لم يجد حلا لقلقه واحباطه الذى استولى على عقله . وتحسس بيده دفنه الخشنه ، وادار وجهه عن المرآة يراقب الغلاية كي لا يمعن النظر في سحنه المقلوبه .

استفزه ضيق المكان ، فالطاولة الموضوع فوقها "البوتوغاز" تستأثر بثلثي المساحة ، والمتبقى من المكان لا يتسع لأكثر من شخص آخر يقف بجانبه ، والرف للعين المعلق على الحائط . اثار فيه الحنق بعرضه وخشبه البالي واليافه المتسخه بالقهوة المدلوقة والسكر المنثور ، التي يعيش فيها بيض (الهسهس)

الدرج منقبض الصدر يتنفس بصعوبة ويتسأل :
- اي رجل هذا؟ الساعة لم تصل بعد الى
السابعة فمتى جاء اذا كان باب الجريدة
الخارجي مغلقا؟ لقد امضى الليلة في العمل
اذن ..

استجمع شجاعته وحمل فنجان قهوة
اذا في وصعد الى الغرفة

- صباح الخير .

- اهلا يا عزيز

ناوله فنجان القهوة وجلس قبالته على
مقعد مكتبه، بينما استمر رئيس التحرير يكتب
دون توقف

رشف عزيز قهوته وغرق في الصمت، الورق
امامه كثير والقلم بين يديه ولا شيء آخر
وكما توقف رئيس التحرير عن الكتابة ليشعل
سيجارة، تلتقى عيونهما فيتصعب وجه عزيز
عرفا ويزداد احمرارا وخجلا، ويظا طيء رأسه
كمن يفكر في شيء ويحاول ان يكتب .. يخط
سطرا ثم يعاود شطبه .

- الوقت يمر ولم يسألني عن الواجب بعد ..
وتابع حديثه مع نفسه . لو كان وضع الجريدة
حسا آه . حينئذ سأكون في غرفة ورئيس
التحرير في اخرى ولا مجال لمثل هذا الاحراج
الزلاء يحضرون تباعا، ومتطوعون يضح
بهم المكان قانات قصيرة وطويلة وشباب
ومسنين يرتدون "حطات" مزركشة ترتديها
هوامات في وجوهها الاصرار ولهجات شعبية من
مختلف انحاء الوطن .

عشرات الشبان والرجال يدخلون
ويخرجون، يتابع خطواتهم وبطيل النظر في
وجوههم بعضهم مبتسما او ضاحكا والاخر
ممس او مكفر الجبين . يحدق فيهم وتتقلب
عينه من هذا الى ذاك . وعجب كثيرا فكل
من يدير ظهره خارجا يطفح البشر من وجهه .
- اي سحر هذا الذي يسحرهم في الجريدة
ولا يسحرني . قال عزيز في نفسه ..

رأى الجريدة امامه وكأنها قلب الوطن
تضخ في شرايينه الدم، وتنظم فيه النبض، وفي
الحادية عشر قبل الظهر، طلب رئيس التحرير
اغلاق الباب الخارجي امام الزائرين لنصف
ساعة فقط. ودعا الزلاء الجالس على
المكاتب وفي الردمة بين الدرج والغرفة الى
اجتماع طارئ، مستفيدا من حضور جميع
العاملين محررين او مراسلين

رغب عزيزلو تبثله الجدران او يصيبه
مكروه لينقلوه الى اقرب طبيب، فذلك كان
أخف ايلاما بالنسبة اليه من مواجهة زملائه
ورئيس التحرير خالي اليدين

اعتدل رئيس التحرير في جلسته واخذ
يجوب الغرفة بعينه، يحدق في وجوه الحضور
يبتعد عن عزيز ثم يعاود النظر اليه وسأله .

- هل ذهبت الى الجنوب ؟

- نعم .. كنت هناك يوم امس وامس الاول

- ما هي اخبار بيت لحم ؟

- تمام

- الا توجد اخبار من الخليل وقراها ؟

توقفت الكلمات في حلق عزيز، ابتلع

ريقه واجاب .

- لا كل شيء تمام والحياة عادية .

تنهد رئيس التحرير واعاد السؤال الى

عزيز

- الا توجد في بيت لحم او الخليل مشاكل

للناس، قضايا، انشطه؟؟

- لا يوجد، وتابع .. زرت المجالس البلدية

وبعض المؤسسات والشخصيات والاحوال عادية

وهادئة

سحب رئيس التحرير نفسا عميقا من

سيجارتته، وبدأ ضيقه واضحا في ملامح وجهه

وحركة يديه اجال النظر في وجوه جميع

العاملين، وبعد لحظة صمت قال بهدوء :

- هل نفهم من نتائج جولة عزيز ان

المواطنين في منطقتي بيت لحم والخليل

رفح، فالطريق إليها مرورا "بخانيونس" محفوظه
بالاهوال وتنتهي بالمواجهه وجها لوجه مع
الطوق، وسيعيده الجنود او يعتقلونه وقد
يحتجزون السيارة التي تقله.

اما التوجه يسارا فيعني ان الزبون مصر
على المضي الى رفح مارا بالمنطقة الشرقية
منها عبر بيارات اللوز والبرتقال في "ام عمد"
على طريق "الماسوره" و"الدهانية" البدويتين.
ظل عزيز مطرقا وواجما يفكر في عمق.
دون ان ينتبه الى استفسار السائق، فاضطر
السائق لاعلاء صوته ثانية.

— ماذا قلت يا أخ . الى اين اتجه..
يمين ام يسار؟

وتابع السائق يرحوه . — يهديك الله
تخليك عندنا الليلة، وبلاش من تعب هالبال
وسأعيد اليك نصف الاجرة ان احببت وان
شئت جميعها، فالمهم عندي ان اسلم وتسلم،
فالتاسه حامية في رفح .

اجابه عزيز بصوت منخفض ومكسوف بده
ان امتص ريقه
— امش يمينا!

تهلل وجه السائق بالبشر وابتم.
ايقن ان زبونه لا يريد ان يتسبب له في
المتاعب بايصاله الى منطقة الطوق برفح
وسيوفر بعض السولار في خزان السيارة للند
استرسل السائق يتحدث بصوت عال

وبحركات متناسقة من يديه مع كلامه عن مخاطر
الطريق واعداد العساكر المنتشرة ما بين
"خانيونس ورفح" على امتداد "السوافي" وبين
اشجار البيارات وفي الطريق الى "المواصي"
وعما سمعه عن افعال العسكر في احيا. رفح
ووعده بانه سيكرمه في بيته الكائن "بحي الامل"
ويجوب به شوارع واحياء المدينة، يطلعه فيها
على معالمها الاثرية و"قلعة الخان" التي
تترعب في قلب الساحة دون عناية اوادنى
اهتمام من بلدية المدينة ودائرة الاثار .

يسبحون بحمد الاحتلال ويشكرونه على نعمته؟!
ضجت الغرفة بضحكات المحررين، ثم خيم
الهدوء، وارتسمت امارات الخجل والحياء
على وجوه الجميع. تبادلوا النظرات، ادرك
كل منهم خبيته وقصوره فليسوا بافضل حال
من عزيز .

ولاحظ رئيس التحرير ملامح الاحراج
والخجل التي طفت على وجوه الجميع
فاستدرك قائلا :

— انا لا اقصد احراجكم، نحن متساوون
في الحقوق والواجبات مع مراعاة الفرق
في الخبرة والمعرفة . .
وتابع حديثه الهادئ .

ان بامكان كل واحد منكم ان يكون صحفيا
مبدعا . وكل ما يتطلبه ذلك، بسيط للغاية . .
ان لا تستصغروا من شأن انفسكم وقيمة
امكانياتكم وان تمتزجوا وتعيشوا مع قضايا
الناس، مشاكلهم اليومية همومهم، امانيهم،
ونجاحاتهم، انهم بحاجة اليكم لمساعدتهم
والوقوف بجانبهم وبحماس . . من غيرنا
يتسطيع تفهم مشاكل الشعب وحقوقه والدفاع
عنها بأمانه؟!

لم ينتظر عزيز انتهاء الاجتماع، وغادر
مقر الجريدة مقسما في قراوة نفسه بان لا يعود
للجريدة في اليوم الثاني الا اذا كان بين
يديه ما يثير في زملائه الرضى ومشاعر الاحترام .
توقفت السيارة عند مفرق طرق "خانيونس
القراة" امام عيادة الهلال الاحمر الفلسطيني
فرع "القراة"

نظر اليه السائق يسأله في جزع :

— ايش رأيك الان . يمين ام يسار؟

الاتجاهات يؤدىان الى "خانيونس"
ولكن التوجه يمينا يعني بالنسبة للسائق ان
زبونه قد وافق على المبيت عنده ضيفا
لانه لن يخاطر بحياته والمجازفة للوصول الى

دخلت السيارة مدخل "خانيونس"
 الشمالي دون ان ينتبه عزيز الى وعورة
 الطريق ومطبات الشارع ودون ان يلحظ جمال
 الماء فيها وهييته، وقرص الشمس الغاربة
 المترتبة غربا على سطح الماء، ترسل بأشعتها
 الى اعالي الفضاء مؤذنه بالرحيل، ولا
 لمرجرة موج البحر الاتية من بعيد تحتفلة
 بنفاق الشمس، مشغولا يفكر في امر مهمته
 المحفية، وما اذا كان سينجو ام يعتقل !

اختلطت في ذهنه رغبتني الاقدام
 والتراجع .
 - هل انا ضعيف بسبب الحب؟ ما الحب؟
 اني اهرب من سوء وليني بفعل ضغط المخاطر .
 فكر قليلا .

انها الانانية اذن . لهذا انا خائف ،
 الميل لانقاذ الذات . الحرص على الحياة ،
 وتراحم في كيانه وامام عينيه ملامح البطولة
 في "بيت لاميا" و "مخيم الشاطيء" ومنظر
 الجرافة تقتلع اشجار اللوز والبرتقال
 بلعشرات . هدم البيوت ، اطلاق الرصاص على
 النساء في "حارة التموين" و "حارة السكة
 الحديد" وتحميل العشرات من الشبان في
 سارات الشحن العسكرية ، الشعب . الرفاق ، رفع
 الفندوره في الصمت ! جموع المتظاهرين
 يتجهون من مفرق "كندا" الى ساحة الموقف
 ثم الى الشرق باتجاه السكة الحديد ، بينما
 العساكر تتراجع امامهم للشرق من السكة .
 قفز الى ذهنه السؤال :

- اية قيمة للذات في ظل الاحتلال اذن ؟
 وهل ابقوالنا طعما للحياة ؟

وحضرته افعال جرافة "جني تال" وهي
 نظير "المواصي" المزروعة بالتفاح والخضروات
 غير آبهه لصيحات النساء والشيوخ
 حضرته صورة تلك العجوز تصيح في وجه
 سائق الجرافة في رفع "الله ينقمك بقطع ايدك

وذريتك" وحين تقدم منها يعرفها على نفسه
 "عربي مثلك" .. وطلب منها السماح له
 بمساعدتها ، صرخت العجوز من احشائها في
 وجهه ، والدموع تغرق وجهها ويدها
 مفتوحتان للسما :

- "قلّة ما تخلي عربي ولا مسلم" !

ارتعد بدنه ، شحنة من الاندفاع تتفجر في
 كيانه . وايقن بينه وبين نفسه مبلغ القوة التي
 يمنحها الشعب لمن يفكر به وينتمي اليه
 ويستمد منه طموحه .

وقبل ان يستدير مقود السيارة دوره كاملة
 الى اليمين غربا باتجاه شارع البحر . مال
 نحو السائق منفعلا :

- لا لا ارجوك . اتجه الى الامام لوسمحت ،
 ارتبك السائق ، وكاد ان يرتطم بجدار
 الشارع ، فزع المارة ، واعاد السائق ادارة
 المقود الى الامام ، نحو ساحة "القلعة" معتقدا
 بان زبونه يرغب في النزول بها . وما ان
 دخلت السيارة الى قلب الساحة ولم ينتظر
 عزيز ان تستدير السيارة حول الجزيرة امام
 القلعة فقال ثانية :

- الى اليسار من فضلك .. الى مفرق عيسان
 "خانيونس" شرقا ---

قال السائق محزونا :

- لا حول ولا قوة الا بالله . ليش يا اخ
 راسك ناشف !

ادرك السائق بان زبونه قد قرر الدخول
 في الطوق الى رفع في حين كان عزيز يتمم
 بينه وبين نفسه ..

- ليتني استطيع ذلك ---

هامش

(١) شعر عيسى قراقع من ديوان "ترانيم
 للزنايق الفلسطينية" مطبعة دار الرواد
 القدس ١٩٨٢ .

قصة قصيدة

هذا الموت، من لا يحب الموت في سبيل ،
اعقاب حديدية ثقله تقدح وتشير الغبار،
تتوسط الجموع المحتشدة في كل مكان ،
تدوس وتسحق سحقاً ، فترشح الارض ، تقام في
اغلب الاحياء حواجز ، شاحنات منطاه تقل
اشخاصا مقيدين ، الى اين ؟
عزيزي رئيس التحرير

منذ عام خرج ابني من البيت ولم يعد .
لقد بحثنا عنه في كل مكان . لم يبق بئر او
زاوية او حاره الا فتشناها ، كما اعلما الشرطه
وادارات السجون ، ولغاية الان لم يصلنا جواب
اننا لسنا اغنياء ولا مشاكل بيننا وبين الناس ،
ابني ذكي ، له اصحاب كثيرون ، مجتهد في
دروسه لم يسبق ان اختفى او تأخر عن البيت
انني اصيحت أخشى ان يخرج ابني الثاني
من البيت ، ان اختفاء ابني ليس اول حادث
هل تنشق الارض وتبتلعهم وتفرسهم الضباع ؟
احتماعات في كل مكان ، بيانات توزع
بانتظام ، مسرحيات تعرض في كل مكان . . في
دور السينما ، والبيوت الواسعة والساحات
المكشوفة وملاعب المدارس . . في احدى
القاعات يكتشف البطل موت ثلاثة الاصحاب ،
ياخذ اموالهم وساعاتهم ويردد عليهم
السؤال الرهيب (لماذا لم تدقوا جدران
الخزان ؟ لماذا) نقابات جديده تلد . نقابه
همال المطاعم والمقاهي ، عمال الطراشه
والدهان ، والمعلمين ، والاحذية . . .

- لماذا نقبل الاكراميه . انها اهانه لنا
- انها فكرة رائعة ، لنعرضها على نقابتنا .
يرد في كلمه لناخب لاحدى الكتل العمالية
من اجل استمرار العمل حتى تتحقق الشعارات
التالية . وقف الموت الذي يتعرض له عمالنا ،
حياة حره كريمه . كثير من الناس ينكبون على
الكتب يلتهمون ما بها ، تزدحم الاسئله في
الافواه وعلى رؤوس الالسنه : ما تبقى لنا ،
ما العمل ؟

الساعة تدق

فايز منصور

السماء رمادية ، معالم الحياة تبدو باهته ،
يلفها ضباب كثيف ، ريح صرصر يعصف ، يقض
مضاجع الهجوع ، الناس ينبعثون كأشباح ثم
يختفون ، لكل واحد شأن يعنيه اصوات انفجارات
متواصلة ، فتهتز البيوت ويتساقط زجاج كثير ،
وتتأرجح مناطق وتخرج ما بداخلها من اجساد
ومعادن : السنه اللهب تشق الفضاء ، وقاطرات
من سحب الدخان الاسود تتصاعد ، تطبق على
الارض ، ترسم اشارات صليب ، تتسلل عبر
الشقوق والثقوب الى الحجرات المقفلة ،
والحصون التي ظن بعض الناس انها مانعة
عنهم الموت .

هل وقتت الواقعة ؟ اين المفر ؟ .
تذوب المراثيات في العيون ، وتتراى عند خط
الافق اسلاك وموانع يطل الموت حبلا من مسد
ذقناه الوانا واشكالا ، لقد فقد معناه ، اهلا
وسهلا ، لن نموت على الفراش . . انه لرائع

تبلغ الارواح الحلو يبعج الناس الخبز
بالدم يظهر مسيحيون كثيرون يشع الناس
وجوههم . لقد شعبنا مواظما بحك جلدك
مثل ظفرك .

ليس امامنا الا الموت او . .

تزكم الجو روائح حث متعته، تسقط مئات
البيوت . تبث قري بسرعه البرق لا مفر
لقد وقعت الواقعة، اما حياة تسر الصديق واما
ممات . .

ليس في الامر جديد، طول عمرنا نواجه الموت
نسبنا ايام السفر يرك او ستة الاشهر او .
يخرج الناس كالعن المنقوش يدا بيد . شباب
وشيوخ عمال وفلاحون يجوبون الشوارع
يحملون لافتات كثيره، يلقيون الحجارة
يصيحون بأقوى الاصوات .

ينفخ في النفير فيصفق الناس ثم ينفخ مره
اخرى . التجول ممنوع كل واحد يلزم بيته . .
يلزم قسم من الناس البيوت ويرفض آخرون .
مشاهد تتكرر كل يوم وكل ساعه ودقيقه .
اهل اليمين في جنات النعيم، اهل اليسار في
سموم وجحيم، لم يبق ما يؤكل ، لا قيمه
للعمله ولا اهمية ، من يقبل بالذل لا يستحق
الحياة "ضرب الخناجر ولا حكم ."

يستف الناس التراب ينام بعضهم في
العراء، لم يبق ما يخسره الناس يطوف
مجهولون بالبيوت يهمسون في الاذان .

ما يصون الحد الا حده ويذيب القيود
الانار

الموت، الموت، الحب، الحب، الاتحاد
الاتحاد . .

من لم يمت بحد السيف مات بغيره،
لن نموت كما يموت البعير . .
تشتعل القلوب وتشق الفضاء القضبان
الفولاذية ويحلم الناس بعالم جديد
يفتقدون فيه الشهداء ويفنون فيه كثيرا، كثيرا
وكثيرا جدا .

قوائم من الكتب الممنوعه اكوام من الكتب
للتهمها النيران وكتب تسحب من رفوفها
تظن المياه بلون الحبر، صفح تشع . .
هل دقت الساعه، ماذا تنتظر، انهم
يخطون افواه الناس . اصوات غريبه تسمع
هنا وهناك . ووقع اقدام ثقيله يقرع الاذان ثم
فجيج وصراخ وصري ابواب في كل مكان . عالم
كالنمل يقترب الطرقات والازقة والحارات
واسطح المنازل والشعاب، يسرون في صفوف
او يركضون باضطراب او يلوحون بقبضاتهم،
ناس باثواب بيضاء او بزيات عسكريه او باسما
باليه، او كما خلقهم الله، يبدو العالم كأنه
يمارس حفله تنكريه . يختلط الحابل بالنابل
تختلط الجهات ويكثر الهرج : انها الساعه
انها القارعه لقد عاد الشهداء والاموات، ان
الشهداء يستصرخون الاحياء . .

يفع الناس اصابعهم في اذانهم، ففي كل
مكان اندجار، وكل اللهب تتساقط في كل ناحيه
فتنخلق قلوب ويشيب فتيان وتسقط نساء
حلمهن، نزع كسرة الخبز، تتدلى الالسنه
كالحه متشققة، تفتح جهنم ابوابها على
مضاربها تلفح الوجوه موجات من الهواء
الساخن . تلسع جلودهم (لا مفر، غربا وعشنا
نحلم بالفردوس المفقود كالظالمين نردحم
ببابه، لكن . .)

عالم كالبحر يتقاذف وفي الاعماق
عالم يمور . اسئلة كثيره تدور على الالسنه
وتتمحض قوارات ، خطب تلقى امام الحشود
وفي البيوت وحول الموائد يدور كلام كثير:
لقد تساقطت البيوت لتلاصق ملاصق السحب .
الجاهل الغبي جعل سيد، دجالون كثيرون
يبدون الناس بالخبر ومقرات كثيره مفتوحة
الابواب للفلاحين الاخ يطعن اخاه الزوج ينكر
اولاده، الرغيف للفرجه الاطمئنان والامن
يهاجرون، الاف من الشباب يختفون او
لا بد من ميزان يرفع ويخفض . .

يا جبل الحلم .. أتيناك

شعر : سليمان السلمان



يغني ، وينادي — ك

× × ×

أنا في الليل اضيء كنجمات
تهرب من ضيق العتمة
يحجب ثوب الليل نواياها

× × ×

يا عاشقة

ستر الليل غطاء الزمن الممدود على الحلم
أزيحي عن وجهك استار الزمن
أطلّي ... غرسة مشتاق
للخضرة ، والفرح ، وطعم الزهر
أديري وجهك لليل
يضئ صبحا
ويعرش دالية

يمتد بسايقين
فألفاك جنئ ، يتكاثر ألواناً
في حضن الزمن الآتي

× × ×

يا مقبلة بين عاصفير الفجر
غناء وبشائر
حين تطلين

تدور مواكب أطفال ونساء ورجال
أغصان ورود وفساتين وأسلحة
وتدور ببيادرنا . .

من فصل الصيف الى كل فصول العمر
وتزهر خبزاً

فوق شفاء ، تبثّل بدمع الخيـر

يطل جبينك
يا جبل الحلم .. أتيناك
ومناكبنا .. تحمل عصر الفرح
نغني ..

يا جبل الحلم

وعصر الفرح

بكينا ترحا

وبكينا فرحا

وحملنا أوجاع العمر لكي نلقاك

الزمن الآتي
يولد من رحم الليل
ويأتي محمولا بين عيون الصبية

× × ×

في الليل يدور الزمن كدولاب
فيطل الصبح بقاربه المحروق
فأعلم ان الروئية ذات الطعم الناري
تشع على ثغري

وتريني وجهك يا وطني

× × ×

يا سارحة في الحلم .. تدقن الابواب ..
أما جئت لقلبي ؟
يا سارحة !!

ثوبك يرقص في الريح ، وتنتظرين مروي
لا يرقص قلب الطفل لغير الفرح
أنا ما زلت على حلبات الرقص
أدور بعربي

وفؤادى طفل يدرج في الساحات

لكنما الوحود في الرياح
تخنفها الوحول
تزدحم الاسماء في بيوت فاسيون
تلتصق العيون بالمربعات بالمكعبات
تعكسها الجدران
ساحر هو المساء
أغنية قديمة تضع في الزوايا
(٢)

تسكب في لب الاشياء
هذا زمن الفقراء
تنطق حروفك فرحى
تحمل أغنيات ، تحمل خبزا ، رؤيا ، فجرا
فقطار الاحلام يهل
فتعاقب ازهار النرجس
ازهار الري ، الشع
تسكب أغنية زرقاء
تتأبط سفر الجوع
ترحل
في الفم اشارات
وبشارة ارواح لا تدع على الارض ظلاما
افرش درب الاتي قمحا ، خصبا
آيات لمواسم معطاءة
افرش كتبنا ، دربا ، مطرا
وتفجر أغنيات سكرى
(٤)

أسمع صوت قطارك
يقطع ازمانا شتى
يقتررب
ممتطيا سحب الانسان
ومحطات الاتي تنتظر البشرى
كان الحزن بعيدا
يبتعد عن العينين القاسيتين
يتفتح عشب
تفتح أبواب الشمس
يهيمي المطر

بركات لطيف يحمل قطار ويمشي

شعر

محمد خالد رمضان

(١)
يطل الحزن من العينين القاسيتين
ضبابا ، لفة تحرق ، وحروفا تشهد
زخات النار

في الاوردة اللاصقة
يابس هو الجسد
يكون أن تخترق المسافة
أن يبعث الفقراء من مستنقع الرمال
تحمّل فوق ظهرك الأبد
ينتشر الدخان في الابعاد
في السهول في الجبال
وفوق الغيمة الحاملة نهرا من الفرح
تنطلق الايدي الباسقه
تمزق الخرافة

(٢)
ساحر هو الدساء في تراشق الفصول

أصداء ثقافية

صدر هذا الكتاب الوثائقي حول مجازر العام ١٩٤٨ عن "دار أبو سلمى" ومنشورات الحديد ويقع في ٢٧٠ صفحة من الحجم المتوسط .

x x x

الصهيونية أمام التاريخ
فيلم تسجيلي سوفياتي

عرض التلفزيون السوفيتي في الاسبوع الثاني من الشهر الماضي فيلما تسجيليا بعنوان "الصهيونية أمام التاريخ" يستعرض الفيلم تاريخ نشوء الحركة الصهيونية وممارساتها حتى الغزو البربري للبنان . ويكشف الفيلم ، عبر الوثائق والحقائق التي يعرضها ، عن جوهر الصهيونية الشوفيني وعن الصلة الوثيقة بينها وبين الامبريالية الامريكية طريق الجماهير العربية الكفاحي في اسرائيل للدكتور اميل توما

صدر هذا الكتاب عن منشورات دار "أبو سلمى" في الناصرة واشتمل على ثمانية فصول أبرز من خلالها الدكتور اميل توما أهم قضايا الجماهير العربية في اسرائيل وصور أصعب معاناتها بصورة عامة وجاء الكتاب في ٣٢٣ صفحة من الحجم المتوسط

x x x

بيت في العاصفة
مسرحية لادمون شحاده

عن المكتبة الحديثة في الناصرة . صدرت

"وعد حديد لعز الدين القسام"
ديوان شعر لسامي الكيلاني

عن منشورات الرواد في القدس صدر ديوان شعر بعنوان "وعد حديد لعز الدين القسام" للشاعر سامي الكيلاني . يقع الديوان في ٧٨ صفحة من القطع الصغيرة وصمم غلافه حواد ابراهيم .

x x x

الولايات المتحدة والفلسطينيون
بين الاستيعاب والتصفية

عن جمعية الدراسات العربية في القدس صدر كتاب "الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية" للدكتور محمد شديد رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة النجاح الوطنية . يقع الكتاب في ٣٠٦ صفحات من الحجم المتوسط .

x x x

احلام الفارس القديم
يترجم للايطالية

صدر عن وزارة الثقافة الايطالية ضمن سلسلة "رسومات وأشعار" ترجمه لديوان الشاعر المصري صلاح عبد الصبور " احلام الفارس القديم " .

مؤخراً مسرحية جديدة للكاتب ادمون شحادة
 بعنوان "بيت في العاصفة" جاءت المسرحية
 في ١٧٤ صفحة من القطع المتوسط وهي
 مسرحية اجتماعية تحاول الكشف عن بعض
 جوانب الواقع الاجتماعي الفلسطيني في
 المرحلة الراهنة

بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى
 نهاية الدولة الايوبية
 للدكتور حمد أحمد عبد الله يوسف

عن دائرة الاوقاف والشؤون الاسلامية
 في القدس صدر كتاب "بيت المقدس من العهد
 الراشدي وحتى نهاية الدولة الايوبية"
 للدكتور حمد أحمد عبد الله يوسف، يقع
 الكتاب في ٣٨٢ صفحة من الحجم الكبير، وهو
 مقسم الى ثمانية فصول

x x x

أضواء على الادب والفن في الارض المحتلة
 لمحمد المشايخ

صدر هذا الكتاب من منشورات دار اسيا
 للنشر والتوزيع في عمان، يقع الكتاب في ٨٨
 صفحة من القطع الصغير وجاء في خمسة فصول
 نافش فيها محمد المشايخ أوضاع القصة
 القصيرة والقصيدة والمسرح والفن التشكيلي
 والتراث الشعبي في الوطن المحتل من خلال
 جهود المؤلف في جمع كثير من المعلومات
 والحقائق عن هذه الاوضاع

x x x

الكاتب السوداني الطيب صالح
 يترجم الى الروسية

ستصدر ترجمة الى الروسية لكتب الاديب

السوداني التقدمي الطيب صالح "عرس الزين"
 و"موسم الهجرة الى الشمال" و"بندر شاه"
 وكانت رواية "موسم الهجرة الى الشمال" قد
 نشرت باللغات السوفيتية في مجلة "الادب
 الاحبي السوفيتية"

فلسفة العالم والعقلانية المعاصرة
 للدكتور سالم يفوت

عن دار الطليعة في بيروت صدر كتاب
 (فلسفة العالم والعقلانية المعاصرة) للدكتور
 سالم يفوت وجاء الكتاب في ستة فصول هي .
 (١) النسق العلمي والفلسفة
 (٢) العلماء والفلسفة
 (٣) العقل والعقلانية
 (٤) التجربة والتصورات العلمية
 (٥) السلم والمثالية
 (٦) والخاتمة حدود العقلانية المعاصرة
 x x x

عروة يحضر زمانه ويأتي
 مسرحية لاحمد العراقي

عن "دار الشوكي للبشر" في الرباط صدر
 مؤخراً مسرحية "عروة يحضر زمانه ويأتي"
 للكاتب المسرحي المغربي احمد العراقي .
 المسرحية سبق وان نالت عدة جوائز، وقد
 شخصتها احدى فرق المسرح الهاوي في المغرب
 وهي تعالج بكيفية رمزية الاحباط والمعاناة التي
 تلت العالم العربي، على عدة مستويات .
 والمسرحية تعتمد مجموعات تراكيب مسرحية،
 وتتمثل استلهام التراث العربي في شخصية
 "عروة" لتلامس قضايا معاشة في الوقت
 الحاضر

الثورة العربية " لصالح عيسى

هذا الكتاب يقدم الثورة العربية باعتبارها حلقة من محاولات البرجوازية المصرية لتحقيق ثورتها فيضغها في الاطار الصحيح لفهمها وتقييمها موضوعيا ويستند الى رؤية منهجية واضحة لا تتجاهل خصوصية تطور التاريخ العربي والمصرى وفي هذا الصدد تحلل الدراسة الخريطة الطبقية للثورة والبنية الايدولوجية لها ونظرتها الى مسألة السلطة وترصد كيفية تكوينها .

كتاب السويدينيون

العدوان الاسرائيلي على لبنان

— اذ ان الكتاب السويديون بشدة العدوان الهجمي الاسرائيلي على لبنان .
وجاء في بيان وقعه ١٧٠ من الادباء السويديين البارزين ان تدمير المدن والقرى اللبنانية ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين وأعمال القتل الجماعي للسكان الامنيين يدل على القسوة الوحشية للغزاة ، وهي تتناقض مع كافة احكام الاخلاق الانسانية وقد استخدم المعتدون الاسرائيليون أثناء القصف الجوي قنابل النابالم والقنابل الفراغية والفسفورية وطالب الادباء السويديون حكومة السويد بالعمل على وقف العدوان الاسرائيلي في لبنان كما دعوا الى زيادة المساعدات لضحايا الطغيان الصهيوني

تكريم خليل حاوى
في جامعة مدريد

تلبية لدعوة المستشرق الدكتور بيدرو مارتينث رئيس قسم اللغة العربية والاسلام في كلية الاداب في الجامعة المستقلة في مدريد العاصمة الاسبانية جرى احتفال تكريمي

للشاعر اللبناني الراحل خليل حاوى واشترك في حفل التكريم الشاعر عبد الوهاب البياتي بالقاء قصائده "الى خليل حاوى" كما حاضرت ناديا ظافر شعبان بالاسبانية عن خليل حاوى وقرأت بعضا من قصائده .
جدير بالذكر ان خليل حاوى قد انتحر أثناء الغزو الاسرائيلي للبنان احتجاجا على الصمت العربي

حرب الاعداء

لخليل السواحري

الكويت :- عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، فرع الكويت صدر كتاب حرب الاعداء للاديب الفلسطيني خليل السواحري يقع الكتاب في ١٢٠ صفحة من الحجم المتوسط ويحوى بين دفتيه شهادات لجنود وضباط اسرائيليين عن الغزو الاسرائيلي للبنان . وكان قد صدر للكاتبة نفسه عن رابطة الكتاب الاردنيين كتاب الارض والعنفاء والذى يتكلم فيه الكاتب عن الاحزاب الصهيونية اليمينية كحركة هتحياء التي تتزعمها غيئولا كوهين وغوشايمويم التي ينزعها الراي مثير كهاناس

x افتتح في الرابع من الشهر الماضي المهرجان الفني والمسرحي في مصر أقيم بمقر الاتحاد العام لعمال مصر .

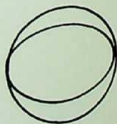
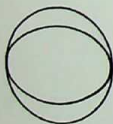
وقد عرضت في المهرجان الذى شاركت فيه أربع شركات صناعية ومؤسسات اجتماعية عمالية ، عرضت أربع مسرحيات وعدة عروض للفنون الشعبية من اعداد : ابراهيم عامر ومصطفى خليل وتابلوهات غنائية للفنان شمس حسين وفقرات موسيقية وكورالية من اعداد رفعت حماد . كما أقيم ضمن المهرجان معرض للفنون التشكيلية .

شارون ليس وحده المسؤول

■ وصلت الكاتب رسالة من الاخ عدنان سالم الايوبي ابن مدينة رام الله الذي يقوم باعداد رسالة الاستاذية "الدكتوراة" عن "واقع الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة بكلية العلوم السياسية في العاصمة الاسبانية مدريد ، يطلب فيها الاشتراك بمجلة الكاتب ويعرض ان يقوم بتغطية مقالات وتقارير ولقاءات للكاتب من اسبانيا والبرتغال ودول امريكا اللاتينية .

واسرة تحرير الكاتب اذ تشكر الاخ عدنان الايوبي على ما تضمنته رسالته الرقيقة من مشاعر الود تجاه الكاتب ترحب به مشتركا وكاتباً فيها والعدد ٣٤ في طريقه اليه كما ترحب بعرضه بتزويد الكاتب بمقالات ولقاءات يراها مناسبة كما ترحب بمشاركة كافة ابناء شعبنا ووطننا العربي للمساهمة في دعم الكاتب سواء بالاشتراك فيها او بالمساهمة في الكتابة اليها لانها تعتبر الكاتب منبرا لكل الاقلام الشريفة من شعبنا ووطننا العربي والعالم اجمع ●

■ في الاسبوع الماضي ، ونزولا عند توصيات لجنة كاهان القضائية ، اضطرت حكومة بيغن الى البحث عن مخرج لهذه الورطة ، فلم تجد امامها ، غير الصاق التهمة بوزير الدفاع شارون وبالتالي اقالته من منصبه ، نحن نكبر في اللجنة توصياتها ، ولكننا لا نكبر في الحكومة الاسرائيلية تصرفها ، اذ أنها أفرغت القضية في شخص شارون ، وكان شارون وحده هو المسؤول عما حدث في صبرا وشاتيلا ، ونحن نقول ، أن القيادة وتوجيهها بأجمعه هو المسؤول عما حدث ، وهو بمجموعه الذي يجب أن يتحمل المسؤولية وليس شارون وحده ، أما ان يكون شارون كبش الفداء ، فهذا تزوير للحقيقة ، ومحاولة للتهرب من مواجهتها ●



المجلس الوطني الفلسطيني

■ ينعقد المجلس الوطني الفلسطيني في الوقت الذي يصدر فيه هذا العدد من مجلة الكاتب، وكنا نأمل ان نتحدث عن هذا الحدث العظيم في تاريخ شعبنا الفلسطيني، وخاصة في هذه المرحلة الهامة من تاريخ قضيتنا الفلسطينية، ونعد بالعودة للموضوع في العدد القادم .

ومع ذلك فنحن ندرك تماما، أن المجلس الوطني سوف يخرج بنتائج ومقررات هامة، سوف تكون . يعكس ما يتمنى البعض ممن يحاولون فبركة الامور كما يشتهون، رغم الضغوطات على قيادة منظمة التحرير لجرها الى مخططات اليمين العربي والرجعية، الرامية الى رسم مستقبل المنطقة وخارطتها على هواها، وبشكل يخدم مصالح الامبريالية في المنطقة العربية، من خلال التذليل لها وتركيع الجماهير العربية لمخططاتها وحتى تصدر مقررات مؤتمر الجزائر، نتوجه الى كل المراهنين على هذه المقررات، ان لا يتفاءلوا كثيرا فلن تتحقق امانيتهم، لان الصحيح هو الذي سوف يتحقق . ولا شيء غيره، أما اللعب على الحبال، فلن يجدى ولن ينفـع ●